كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثامن

القسم ٢٩ - ٣٢

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٧

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثامن

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثامن
من كتاب الاغاني

نسب جرير وأخباره

نسبه من قبل ابويه :

جَرير بن عطيَّة بن الخَطَفَى . والخَطَفَى لقبٌ ، وأسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سلَمة بن عَوْف بن كُليب بن يَربوع بن حَنظَلة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم ابن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ويُكنى أبا حَزْرة . ولُقِّب الخَطَفَى لقوله :

يَرفَعنَ للَّيل إذا ما أَسدَفا[1] أعناقَ جِنّان وهاماً رُجَّفا

وَعَنَقاً[2] بعد الكَلال خَيطَفا

---

(١) أسدف الليل : أظلم . والجنان : جنس من الحيات اذا مشت رفعت رؤوسها ، واحدها جان . والهام : الرؤوس .

(٢) العنق : السير المنبسط . والخيطف والخيطفي : سرعة انجذاب السير ، كأنه يختطف في مشيه عنقه ، أي يجتذبه .

ويُروى : خطَفى .

وهو والفرزدقُ والأخطل المقدَّمون على شعراء الاسلام الذين لم يُدركوا الجاهلية جميعاً . ومختلَفٌ في أيِّهم المتقدِّم، ولم يَبقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسنَّ ونفِد أكثرُ عمره . وهو وإن كان له فضله وتقدُّمه فليس نَجْره[1] من نِجار هذين في شيء؛ وله أخبار مفردة عنهما ستُذكر بعد هذا مع ما يُغنَّى من شعره .

أخبرني أبو خليفة الفَضل بن الحُباب الجُمحيّ قال حدّثنا محمد بن سَلّام الجُمحيّ، وأخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا حدّثنا أبو سَعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب وأبي غسَّان دَماذا وإبراهيم بن سَعدان عن أبيه جميعاً عن أبي عُبيدة مَعمَر بن المثنّى ، بنسب جرير على ما ذكرْتُه وسائرِ ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكِيه عن أبي عُبيدة او عن محمد بن سَلّام . قالوا جميعاً :

وأمّ جَرير أمّ قَيس بنتُ مُعَيد بن عُمَير بن مسعود بن حارِثة بن عَوف بن كُلَيب بن يَربُوع . وأمّ عطيَّة النَّوار بنت يَزيد بن عبد العُزّى بن مسعود بن حارِثة بن عَوف بن كُلَيب .

جرير وطبقته من الشعراء :

قال أبو عُبيدة ومحمد بن سَلّام ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبَّة عنه :

---

(١) النجر والنجار : الأصل والحسب . يريد أنه ليس من معدنهما .

إتفقت العرب على أن أشعر أهل الاسلام ثلاثة : جريرٌ والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض . قال محمد بن سَلّام : والراعي معهم في طبقتهم ولكنّه آخرهم، والمخالِف في ذلك قليل . وقد سمعتُ يونسَ يقول : ما شهدت مَشهَداً قط قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فأجتمع أهلُ المجلس على أحدهما . وكان يونس فَرَزدقياً .

قال ابن سَلّام : وقال ابنُ دأب : الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً . وقال أبو عُبيدة : كان أبو عمرو يشبِّه جريراً بالأعشى، والفرزدقَ بزُهير، والأخطل بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتجّ مَن قدّم جريراً بأنه كان أكثرَهم فنونَ شعرٍ، وأسهلَهم ألفاظاً، وأقلّهم تكلفاً، وأرقّهم نَسيباً، وكان دِّيناً عفيفاً . وقال عامر ابن عبد الملك : جرير كان أشبهَها وأنسبَها .

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ : قال خالد بن كُلثوم : ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال :

عجبتُ لِعجْلٍ إذ تُهاجي عبيدها ... كما آلُ يَرْبوعٍ هَجَوْا آل دارِمِ

يَعني بعبيدها بني حَنيفة . وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة :

إن الفرزدق والبَعيث وأُمّه ... وأبا البَعيث لشَرُّ ما إستارِ

قال : وقال جرير : لقد هجوتُ التَّيمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعراً قبلي، قلتُ :

من الأصلاب يَنزِل لؤمُ تَيمٍ ... وفي الأرحام يُخلق والمَشيمِ

وقال محمد بن سَلّام : قال العَلاء بن جرير العَنبريّ وكان شيخاً قد جالس

الناس : إذا لم يجئ الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيت[١]، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكّيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً[٢] وسكّيتاً . قال محمد بن سلّام . ورأيت أعرابياً من بني أَسد أعجبني ظَرْفُه وروايته، فقلت له : أَيُّهما عندكم أشعرُ ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ ومَديح وهجاء ونَسيب، وفي كلّها غلَب جرير؛ قال في الفخر :

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميمٍ حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

والمديحِ :

أَلَستُم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالَمين بطونَ راح

والهجاء :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

والنَّسيبِ :

إنّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ قتلْننا ثم لم يُحيين قتلانا

قال أبو عبد الله محمد بن سَلّام : وبيتُ النَّسيب عندي :

فلما ٱلتقى الحيَّانِ أُلقيتِ العصا ومات الهوى لما أُصيبتْ مَقاتِلُهْ

قال كَيسان : أمَا والله لقد أوجعكم (يعني في الهجاء) فقال : يا أحمق ! أَوَ ذاك يمنعه أن يكون شاعراً !

فضله عبيدة بن هلال على الفرزدق :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال قال أبو عُبيدة،

(١) السكيت (بتشديد الكاف وتخفيفها) : الذي يجيء آخر الخيل في السباق .
(٢) المصلي : الذي يجيء بعد الاول في السباق .

وأخبرنا أبو خَليفة قال حدّثني محمد بن سَلَّام الجُمَحيّ قال حدّثني أبانُ بن عثمان البَلْخِيّ قال :

تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلّب ، فارتفعا اليه وسألاه ؛ فقال : لا أقول بينهما شيئاً ولكنّي أدلُّكما على من يَهُون عليه سُخطُهما : عُبيدةَ ابن هِلال اليَشكُريّ — وكان بازائه مع قَطَريّ[1] وبينهما نهر . وقال عمر بن شَبَّة : في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبال[2] كلّ واحد منهما — فأمّا أنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسي لهما . فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج ؛ فبدر من الصفّ ثم دعا بُعبيدة بن هلال للمبارزة فخرج اليه . فقال : إني أسألك عن شيء تحاكمنا اليك فيه ؛ فقال : وما هو ؟ عليكما لعنة الله . قال : فأيّ الرجلين عندك أشعرُ : أجريرٌ أم الفرزدق ؟ فقال : لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق ! أمثلي يُسأل عن هذين الكلبين ! قالا : لا بدّ من حكمك . قال : فإني سائلكم قبل ذلك عن ثلاث . قالوا : سَلْ . قال : ما تقولون في إمامكم اذا فَجَر ؟ قالوا : نُطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ . قال : قبّحكم الله ! فما تقولون في كتاب الله وأحكامه ؟ قالوا : نَنبِذه وراء ظهورنا ونُعطِّل أحكامه . قال : لعنكم الله إذاً ! فما تقولون في اليتيم ؟ قالوا : نأكل ماله ونَنيك أمّه . قال : أخزاكم الله إذاً ! والله لقد زِدتُموني فيكم بَصيرةً . ثم ذهب لينصرف ؛ فقالوا له : إن الوفاء يَلزَمك ، وقد سألتَنا فأخبرناك ولم تُخبرنا ؛ فرجع فقال : من الذي يقول :

إنّا لنَدْعَر يا قُفَيْرَ[3] عدوَّنا بالخيل لاحقةَ[4] الأياطِلِ قُودَا

---

(١) هو قطري بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج ومتقدميها، وكان شاعراً .

(٢) السبال : جمع سبلة وهي طرف الشارب ومقدّم اللحية .

(٣) هي أم الفرزدق الشاعر .

(٤) الأياطل : جمع أيطل وهي الخاصرة . ولاحقة : ضامرة . والقود : جمع أقود وقوداء . والأقود من الخيل : الطويل العنق العظيمه .

وتحوطُ حوزَتَنا وتحمي سَرْحَنا جُرْدٌ تَرى لمُغارِها[1] أُخدُودا
أُجرى قلائدَها وقدَّدَ لحمَها أَلّا يَذُقْنَ مع الشَّكائمِ عُودا
وطَوَى القِيادُ مع الطِّرادِ مُتونَها طَيَّ التِّجارِ بحضرَمَوْتَ بُرودا

قالا : جريرٌ ؛ قال : فهو ذاك ، فانصرفا .

حديث الاصمعيّ وغيره عنه :

أخبرني عمّ أبي عبدُ العزيز بن أحمد قال حدّثنا الرّياشيّ قال قال الأصمعيّ وذكر جريراً فقال :

كان يَنهَشُه ثلاثة وأربعون شاعراً فيَنبِذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً، ومنهم من كان يَنفَحه فيرمي به، وثبَت له الفرزدقُ والأخطل . وقال جرير : والله ما يهجوني الأخطل وحدَه وإنه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيزٌ ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان اذا أراد هجائي جمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، وينتحل هو القصيدةَ بعد أن يُتِمّوها .

قال ابن سَلّام : وحدّثني أبو البَيداء الرّياحيّ قال قال الفرزدق : إنّي وإيّاه لنغترفُ من بحرٍ واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني زيرك بن هُبَيرة المنانيّ قال :

كان جريرٌ مَيدانَ الشعر، من لم يَجرِ فيه لم يَرْوِ شيئاً، وكان مَن هاجى جريراً فغلَبه جرير أرجحَ عندهم ممن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلَب .

(١) المغار : الإغارة . والأخدود : الشق، يريد أثر حوافرها في الارض .

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال: تذاكروا جريراً والفرزدق في حلقة يونس بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ومسمع وعامر ابنا عبد الملك المسمعيان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول: كان جرير والله أنسبهما وأسبّهما وأشبههما.

سمع الراعي شعره فأقرّ بأنه جدير بالسبق:

قال ابن سلّام: وحدّثني أبو البيداء قال: مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنّي بيتين لجرير، وهما:

وعاوٍ عوى من غير شيء رميتُه   بقارعةٍ أنفاذُها تقطرُ الدّما
خروجٍ بأفواه الرُّواةِ كأنّها   قرا هُندُوانيٍّ[1] اذا هُزّ صمّما

فأتبعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجنّ والإنس ما أغنوا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويحكم أألام على أن يغلبني مثلُ هذا!

رثاؤه ابنه:

قال ابن سلّام: وسألت بشّاراً المرعّث: أيُّ الثلاثةِ أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكنّ ربيعة تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النّوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير. فقلتُ لبشّار: وأيُّ شيء لجريرٍ من المراثي إلّا التي رثى بها امرأته! فأنشدني لجرير يرثي ابنه سوادة ومات بالشام:

---

(١) الهندواني (بكسر الهاء وتضم): المنسوب للهند.

قالوا نَصيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالي
فارقتَني حينَ كفَّ الدهرُ من بَصَري ... وحينَ صِرتُ كعظمِ الرِّمَّة البالي
أمسى سَوادةُ يَجلو مُقلَتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرصِرُ فوق المَرْبَإ العالي[1]
قد كنتُ أعرفه منّي اذا غَلِقتْ ... رُهُنُ الجِياد ومَدَّ الغايةَ الغالي[2]
إنّ الثَّوِيَّ[3] بذي الزَّيتون فاحتسبي ... قد أسرعَ اليوم في عقلي وفي حالي
إلّا تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَين مُعوِلَةٌ ... فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعوال
كأمِّ بَوٍّ عَجولٍ عند مَعهدِهِ ... حَنَّتْ الى جَلَدٍ منه وأوصال
حتى اذا عرفتْ أن لا حياةَ به ... رَدَّتْ هَماهِمَ[4] حَرَّى الجوفِ مِثكال
زادت على وَجْدِها وَجداً وإن رَجَعتْ ... في الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بَلبال

أخبرني عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحرز الباهليّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عُقيل قالا:

خرج جرير الى دِمَشق يَوْمُ الوَليد، فرض ابن له يقال له سَوادة، وكان به مُعجَباً، فمات بالشام؛ فجزِع عليه ورثاه جرير فقال:

أَوْدَى سَوادةُ يَجلو مُقلَتَي لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرصِرُ فوق المَربإ العالي

حديث الفرزدق عنه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني

---

(١) اللحم: البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيه. وصرصر: صوّت وصاح أشد الصياح. والمربأ: المرقب.

(٢) الغالي: الرامي بالسهام.

(٣) الثويّ: المقيم.

(٤) الهماهم: جمع همهمة وهي ترديد الزئير في الصدر من الهمّ.

أحمد بن معاوية قال حدّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدّثني ابو نصر اليَشكُريّ عن مولًى لبني هاشم قال :

إمترى[1] أهلُ المجلس في جرير والفرزدق أيُّهما أشعر، فدخلتُ على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال : يا نَوَار، أدركتْ بَرْنِيَّتُك؟ قالت : قد فعلتْ او كادتْ . قال : فابعثي بدرهم فاشتري لحماً، ففعلتْ وجعلت تشرّحه وتُلقيه على النار ويأكل . ثم قال : هاتي بَرْنِيَّتك، فشرب قدحاً ثم ناولني، وشرب آخرَ ثم ناولني . ثم قال : هاتِ حاجتَك يابنَ أخي . فأخبرتُه؛ قال : أعَنِ ابنِ الخَطَفى تسألني! ثم تنفّس حتى قلتُ : انشقّتْ حيازيمُه[2]؛ ثم قال : قاتله الله! فما أخشنَ ناحيتَه وأشرَدَ قافيتَه! والله لو تركوه لأبكى العجوزَ على شبابها، والشابّةَ على أحبابها، ولكنهم هرّوه فوجدوه عند الهِراش نابحاً وعند الجِراء[3] قارحاً، وقد قال بيتاً لأَنْ أكون قلته أحبُّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس :

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تميم حسِبتَ الناسَ كلّهمُ غِضابا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة، وأخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن ابيه عن أبي عُبيدة، قالا :

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدِم المدينةَ . فقال الأحوص : ما تشتهي؟ قال : شِواء وطِلاء[4] وغِناء . قال : ذلك لك؛ ومضى به الى قَيْنة بالمدينة؛ فغنّته :

---

(١) أي تجادلوا .

(٢) الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر او وسطه او ما استدار بالظهر والبطن .

(٣) جاراه مجاراة وجراء : جرى معه وسابقه .

(٤) الطلاء : من أسماء الخمر .

صوت

أَلا حَيِّ الديارَ بسُعْدَ إني ... أُحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا
إذا ما حلَّ أهلُكِ يا سُلَيمى ... بدارةِ صُلصُلٍ شَحَطوا مَزارا
أراد الظاعنون ليَحزُنوني ... فهاجوا صَدْعَ قلبي فاستطارا

– غنّاه ابن مُحرِزٍ خفيفَ ثقيلٍ اول بالبنصر – فقال الفرزدق : ما أرقَّ أشعارَكم يا أهلَ الحجاز وأملَحَها ! قال : أو ما تَدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله . قال : فهو والله لجريرٍ يهجوك به . فقال : وَيلُ ابنِ المَراغة ! ما كان أحوجَه مع عفافه الى صلابة شعري، وأحوَجَني مع شَهَواتي الى رِقّة شعره !

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاقَ المَوْصِليّ، وأخبرني محمد بن مَزْيد عن حَمّاد عن أبيه قال قال إسحاق بن يحيى بن طلحة :

قدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحَشَدْنا له . فبَينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آنفاً، ما تريد منه ؟ قال : أُخزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف . فأقبل جريرٌ علينا وقال : مَنِ الرجلُ ؟ قلنا : الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن ابي الأقلح . قال : هذا الخبيث ابنُ الطيِّب . ثم أقبل عليه فقال : قد قلتَ :

يَقَرُّ بعَيني ما يَقَرُّ بعينها ... وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

فإنه يَقَرّ بعينها أن يدخُل فيها مثلُ ذراع البَكْر، أفيَقَرُّ ذلك بعينك ؟ – قال :

---

(١) موضع بنجد .

(٢) دارة صلصل : أعلى دارها بنجد .

وكان الأحوصُ يُرمى بالأُبنة – فانصرف وأرسل اليه بتمر وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخّر البيت وأشعبُ عند الباب؛ فأقبل أشعبُ يسأله؛ فقال له جرير : والله إنك لأقبَحُهم وجهاً ولكنّي أراك أطولهم حَسَباً، وقد أبرمتَني . فقال : أنا والله أنفعُهم لك . فانتبه جريرٌ فقال : كيف ؟ قال : إني لأُملّح شعرَك؛ واندفع يغنّيه قولَه :

صوت

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الفراق وقبل لَوْم العُذّلِ
لو كنتُ أعلم أن آخرَ عهدكم يوم الفراق فعلتُ ما لم أفعل

قال : فأدناه جريرٌ منه حتى ألصق رُكبتَه بركبته وجعله قريباً منه؛ ثم قال : أجل! والله إنك لأنفعُهم لي وأحسنُهم تزييناً لشعري، أعِد؛ فأعاده عليه وجرير يبكي حتى أخضلَت لِحيته، ثم وهَب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكَساهُ حُلّةً من حُلَل الملوك . وكان يُرسل اليه طولَ مُقامه بالمدينة فيغنّيه أشعبُ ويُعطيه جريرٌ شعرَه فيغنّي فيه . قال : وكان أشعبُ من أحسنِ الناس صوتاً . قال حماد : والغناء الذي غنّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج .

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سَعيد السُّكَّريّ عن الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المغيرةُ بن حَجْناء قال حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه يحيي بن أعيَن، وذكر ذلك هشامُ بن الكَلْبيّ قال حدّثني النَّهشَليّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعيّ بن سَلمى بن جَندَل قال حدّثني مِسحَل بن كُسَيب بن عِمران بن عَطاء بن الخَطَفى، وأمّه الزَّبداء بنتُ جرير – وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحتَوٍ على سائر اخبار مَنْ ناقَض جريراً أو أعتَنَّ[1] بينه وبين الفرزدق وغيرِه، فذكرتُه هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار – :

(١) اعتن بينه وبينه : اعترض .

أنَّ جريراً قدِم على الحكَم بن أيوب بن يحيى بن الحكَم بن أبي عُقَيل، وهو خليفة للحجّاج يومئذٍ، فمدحه جرير فقال:

أقبلتُ من ثَهْلانَ أو جَنْبَي خِيَمْ ... على قِلاصٍ مثلِ خِيطانِ[1] السَّلَمْ

— ثَهْلانُ: جبلٌ كان لباهِلة ثم غلبتْ عليه نُمَيْرٌ. وخِيَم: جبلٌ يُناوِحه من طَرَفه الأقصى فيما بين رُكْنِه الأقصى وبين مَطلِع الشمس، به ماء ونخل —.

قد طُوِيتْ بطونُها طَيَّ الأدَمْ ... يَبحثْنَ بحثاً كمُضِلّاتِ الخدَمْ[2]

إذا قَطعنَ عَلَماً بَدا عَلَمْ ... حتى تناهَينَ الى باب الحكَم

خليفةِ الحجّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ ... في مَعقِدِ[3] العِزِّ وبُؤْبُوء الكرَم

بعد انفِضاجِ[4] البُدْنِ واللحمُ زِيَمْ

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظَرْفُه وشعره؛ فكتب الى الحجّاج: إنه قدِم عليَّ أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين. فكتب اليه أن ابعثْ به إليَّ، ففعل. فقدِم عليه فأكرمه الحجّاج وكساه جُبّة صَبِرِيّة[5] وأنزله فمكث أياماً. ثم أرسل اليه بعد نومه فقالوا: أجِبِ الأميرَ؛ فقال: ألبس ثيابي؛ فقالوا: لا! والله لقد أُمِرْنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدُك عليها؛ ففزِع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء. فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال: لا بأسَ عليك، إنما دَعاك للحديث. قال جرير: فلما دخلتُ عليه قال: إيه يا عدوَّ الله! عَلامَ تَشتُم الناسَ وتظلِمُهم؟ فقلتُ: جعلني الله فداء الأمير، والله إني ما أظلِمهم ولكنّهم يظلِمونني فأنتصر.

---

(١) الخيطان: جمع خوط وهو الغصن.

(٢) الخدم: جمع خدمة وهي الخلخال.

(٣) المعقد: موضع العقد.

(٤) الانفضاج: السمن والضخم. والبدن: النوق. والزيم: المتفرق على رؤوس الاعضاء.

(٥) صبرية: نسبة الى صبر وهو الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز.

ما لي ولاَبن أمّ غسّان ! وما لي وللبَعيث ! وما لي وللفرزدق ! وما لي وللأخطل ! وما لي وللتَّيمي ! حتى عَدّدهم واحداً واحداً . فقال الحجاج : ما أدري ما لك ولهم ! قال : أُخبِرُ الأميرَ أعزّه الله : أمّا غسّانُ بن ذُهيل فانه رجل من قومي هجاني وهجا عشيرتي وكان شاعراً . قال : فقال لك ماذا ؟ قال قال لي :

لعَمري لئن كانت بَجيلةُ زانَها ... جريرٌ[1] لقد أخزى كُلَيباً جريرُهَا
رميتَ نِضالاً عن كُلَيبٍ فقَصّرت ... مَراميكَ حتى عاد صِفراً جَفيرُها[2]
ولا يَذبَحون الشاةَ إلا بمَيسِرٍ[3] ... طويلٌ تَناجيها صِغارٌ قُدورُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

ألا ليتَ شِعري عن سَليطٍ[4] ألم تجدْ ... سَليطٌ سِوى غسّانَ جاراً يُجيرُهَا
فقد ضَمّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوءةٍ ... يُناجي بها نفساً خبيثاً ضميرُها
كأنّ سَليطاً في جَواشِنِها الخُصى ... اذا حلّ بين الأملَحَينِ وَقِيرُها[5]
أَضجّوا الرّوايا بالمَزادِ فإنّكم ... ستُكفَون رَكضَ الخيلِ تَدمى نحورُها[6]
كأنّ السَّليطِيّاتِ مَجناةُ كَمأةٍ ... لأوّلِ جانٍ بالعصا يَستثيرُها[7]

---

(١) يريد جرير بن عبد الله البجلي ، كان من أفاضل أهل الكوفة ، قيل : إنه أسلم في السنة التي قبض فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومات في سنة ٥١ هجرية ، وهو الذي هدم الصنم المسمى بذي الخلصة .

(٢) الجفير : جعبة السهام .

(٣) الميسر : اللعب بالقداح .

(٤) سليط : قبيلة غسان بن ذهيل .

(٥) الجواشن : الصدور . وفي جواشنها الخصى أي هي عظام الصدور . والأملحان : ماءان ، ويقال : هما جبلان لبني سليط . والوقير : الغنم فيها حماران او أحمرة ، ولا تسمى الغنم وقيراً إلا بحمرها .

(٦) أضجوا الروايا اي ألحوا عليها بالاستقاء حتى تضج وترغو . والروايا : الإبل يستقى عليها . والمزاد : جمع مزادة وهي القربة .

(٧) «كأن السليطيين أنقاض كمأة» . والأنقاض : جمع نقض وهو هنا ما خرج من رأس الكمأة اذا انشقت عنها الارض . يصفهم بالذل وأنهم لا يمتنعون كما لا تمتنع هذه الكمأة اذا استثيرت بالعصا .

عَضاريطُ يَشوُون القَرَاسِنَ بالضُّحى اذا ما السَّرايا حَثَّ رَكْضاً مُغيرِها [1]
فما في سَليطٍ فارسٌ ذو حَفيظةٍ ومَعقِلُها يومَ الهِيـاجِ جُعُورها [2]
عجِبتُ من الدّاعي جُحَيشاً وصائداً وعَيساءِ يسعى بالعِلاب نَفيرُها [3]

قال : ثم مَن ؟ قال : البَعيث . قال : ما لك وله ؟ قال : اعترض دونَ ابنِ أمّ غسّان يفضّله عليّ ويُعينه . قال : فما قال لك ؟ قال قال لي :

كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قد تَعلمونه وأنتَ اذا عُدَّتْ كُلَيبٌ لئيمُهَا
أَترجو كُلَيبٌ أن يجيءِ حديثُها بخيرٍ وقد أعيا كُليباً قديمُها

قال : فما قلت له ؟ قال قلت :

ألم تَرَ أني قد رميتُ ابنَ فَرتَنى بصمّاءَ لا يرجو الحيـاةَ اميمُهَا [4]
له أمّ سَوءٍ بئس مـا قدَّمتْ له اذا فَرَطُ [5] الأحسابِ عُدَّ قديمُها

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : الفرزدقُ . قال . وما لك وله ؟ قلتُ : أعان البعيثَ عليّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

تمنّى رجالٌ من تَميمٍ ليَ الرَّدى وما ذادَ عن أحسابهم ذائدٌ مِثلي
كأنّهمُ لا يعلمـون مَواطني وقد جرّبوا أني أنا السابقُ المُبلي
فلو شاء قومي كان حِلمِيَ فيهمُ وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهلي

---

(١) العضاريط : الأتباع ، والقراسن : أخفاف الابل واحدها فرسن .

(٢) الجعر : ما يبس من العذرة في الدبر .

(٣) جحيش هو جحيش بن زياد أحد بني زبيد بن سليط . وصائد : سليطي . وعيساء : جدّة غسان بن ذهيل . والعلاب : جمع علبة وهي التي يحلب فيها ، وهي تعمل من جلود الابل . ونفيرها : قومها .

(٤) الفرتنى : الزانية . والأميم : المشجوج الرأس .

(٥) فرط الأحساب : ما مضى وسبق منها ؛ يعني أوائلها .

وقد زَعموا أنّ الفرزدقَ حَيّـةٌ وما قتَـلَ الحيّاتِ من أحدٍ قبلي

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : الأخطل . قال : ما لك وله ؟ قلتُ : رَشاه محمد بن عُمَير بن عُطارِد زِقاً من خمر وكَساه حُلّةً على أن يفضِل عليّ الفرزدق ويَهجوني . قال : فما قال لك ؟ قال قال :

إخسأْ إليكَ كُلَيبُ إنّ مُجاشِعاً وأبا الفوارس نَهشَلاً أخـوانِ
وإذا وردْتَ المـاءَ كان لدارِمٍ جُمّاتُـه وسُهولةُ الأعطان[١]
وإذا قذَفتَ أباكَ في ميزانهم رَجَحُوا وشالَ أبوكَ في الميزان

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

يا ذا العَباءةِ[٢] إنّ بِشراً قد قضى ألّا تَجوزَ حكومةُ النَّشوانِ[٣]
فدَعُوا الحكومةَ لستُمُ من أهلِها إنّ الحكومةَ في بني شَيبان
قَتلوا كُلَيبَكُمُ بلِقحةِ جارِهم يا خُزْرَ تَغلِبَ لستُمُ بهِجان[٤]

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : عمر بن لَجَأ التَّيميّ . قال : ما لك وله ؟ قال : قلت بيتاً من شعر فقبّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه ؛ قلت :

لَقَومِيَ أحمى للحقيقة منكمُ وأضرَبُ للجَبّار والنَّقعُ ساطِعُ
وأوثقُ عند المُرهَفاتِ عشيّةً لَحاقاً اذا ما جرّدَ السيفَ لامعُ[٥]

(١) الجمة : مجتمع الماء ومعظمه . والأعطان : جمع عطن وهو مناخ الابل حول وردها .

(٢) العباءة : الكساء .

(٣) في الاصول : « النسوان » . وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم .

(٤) اللقحة : الناقة الحلوب . والخزر : جمع أخزر، والخزر : حول إحدى العينين . والهجان : البيض الكرام . يشير الى حادثة كليب بن ربيعة ومقتله .

(٥) اللامع : المشير بالسيف منذراً .

فزعم أنّي قلتُ :

وأوثقُ عند المُردَفات عشيَّةً لَحاقاً اذا ما جرَّد السيفَ لامعُ

فقال : لحِقتُهنَّ عند العَشيِّ وقد أُخِذنَ غُدْوةً ، والله مـا يُمسِينَ حتى يُفضَحنَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلت :

يا تَيمُ تَيمَ عَدِيٍّ لا أبا لكم لا يُوقِعنَّكمُ في سَوءةٍ عُمَرُ
خَلِّ الطريقَ لمن يَبني المنارَ به وَابرُزْ ببرزةَ[١] حيثُ اضطرَّكَ القَدَر

حتى أتى على الشعر . قال : ثم مَن ؟ قلتُ : سُراقةُ بن مِرداس البارقيّ . قـال : ما لك وله ؟ قال قلت : لا شيء ، حمَله بِشر بن مَروان وأكرهه على هجائي ، ثم بَعث إليَّ رسولاً وأمرني أن أجيبَه . قال : فما قال لك ؟ قال قال :

إنّ الفَرزدق بَرَّزتْ أعراقُه عَفواً وغُودِر في الغُبار جريرُ
ما كنتَ اولَ مِحمَرٍ[٢] قعدتْ به مَسعاتُـه إنّ اللئيم عَثور
هـذا قضاءُ البارقيِّ وإنه بالمَيـل في ميزانكم لبَصير

قال : فما قلت له ؟ قال قلت :

يا بِشرُ حقٌّ لوجهك التبشيرُ هَلّا غَضِبتَ لنـا وأنت أميرُ
بِشرُ أبو مَروانَ إن عاسَرتَه عَسِرٌ وعنـد يَساره مَيسور
إنّ الكريمةَ ينصُر الكرمَ ابنُها وابنُ اللئيمةِ للئام نَصُور
قد كان حقُّك أن تقول لبارقٍ يا آلَ بارقَ فِيمَ سُبَّ جريرِ
وكَسَحتَ باستِك للفَخار وبارقٌ شَيخانِ أعمى مُقعَدٌ وكسير

(١) برزة : اسم أم عمر بن لجأ .

(٢) المحمر : اللئيم .

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : البَلْتع وهو المُستنيرُ بن سَبرةَ العَنبريّ . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ ابن لَجأ . قال : فما قال لك ؟ قلت قال :

إنّ التي رَبَّتكَ لما طُلِقتْ ... قَعدتْ على جَحْشِ المَراغةِ[١] تمرَغُ
أتعيبُ مَن رضيتْ قريشٌ صِهرَه ... وأبوكَ عبدٌ بالخَورنَقِ أذلَغُ[٢]

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

فما مستنيرُ الخُبثِ إلا فَراشةٌ ... هَوَت بين مُؤتَجِ[٣] الحريقَين ساطعِ
نهيتُ بناتِ المستنيرِ عن الرُّقى ... وعن مشيهنّ الليلَ بين المَزارعِ

ويروى ... بين مؤتجٍ من النار ساطعِ

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : راعِي الإبل . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : قدِمتُ البصرةَ وكان بلغني أنه قال لي :

يا صاحبيّ دنا الرّواحُ فسيرا ... غَلَب الفرزدقُ في الهجاء جَريرا

وقال ايضاً :

رأيتُ الجحش جحشَ بني كُليبٍ ... تَيَمّم حوضَ دِجلةَ ثم هابا

فقلت : يا أبا جَندل، إنك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها، وقد بلغني أنك تُفضِّل عليّ الفرزدقَ، وأنت يُسمع قولُك، وهو ابنُ عمّي دونك؛ فان كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقّ به لمدحي قومَك وذكري إيّاهم . قال : وابنه جَندلٌ على فرسٍ له ،

---

(١) المراغة في الاصل : الأتان التي لا تمتنع عن الفحول، وبه لقب الاخطل أم جرير .
(٢) الأذلغ : الغليظ الشفتين، وهو ايضاً الأقلف .
(٣) ائتجاج النار : التهابها .

فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضرب عَجُزَ دابّتي وأنا قائم فكاد يقطع أصبعَ رجلي وقال : لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كُليب ؛ فمضى ، وناديته : أنا ابن يربُوع ! إنّ أهلك بعثوك مائراً من هَبُود[1] وبئس المائرُ ، وإنما بعثني أهلي لأقعدَ على قارِعة هذا المِرْبَدِ فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلا سببْتُه ، وإنّ عليّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمْضاً حتى أُخزيَك . قال : فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت :

فغُضّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ   فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

قال فغدوتُ عليه من الغَدِ فأخذتُ بعنانه ، فما فارقتُه حتى أنشدتُه إيَّاها . فلما مررتُ على قولي :

أَجندَلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ   إذا ما الأَيرُ في أَستِ أبيك غابا

قال : فأرسَل يَدِي وقال : يقولون والله شرّاً .

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : العباس بن يزيدَ الكِنديّ قال : ما لك وله ؟ قال لمّا قلتُ :

إذا غَضِبتْ عليكَ بنـو تَميم   حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

قال :

ألا رَغِمَتْ أنوفُ بني تَميمٍ   فُساةِ التمرِ إن كانوا غضابا
لقد غضِبتْ عليـك بنو تميمٍ   فما نَكَأَتْ بغَضبتِها ذُبابا
لو اَطَّلع الغرابُ على تَميم   وما فيهـا من السَّوءات شابا

قال : فتركتُه خمسَ سنينَ لا أهجوه ، ثم قدمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلسَ كِندةَ ، فطلبتُ اليهم أن يكفّوه عنّي ؛ فقالوا : ما نَكُفُّه وإنه لشاعر وأوعدوني ؛ فقلت :

---

(١) هبود : اسم موضع ببلاد بني نمير .

أَلا أَبلِغْ بني حُجرِ بن وَهبٍ ... بأَنَّ التمرَ حُلوٌ في الشتاء
فَعودوا للنَّخيل فأَبِّروها[1] ... وعِيشوا بالمُشَقَّر فالصَّفاء

قال : فمكثتُ قليلاً ، ثم بعثوا إليّ راكباً فأخبروني بمثالبه وجوارِه في طيئ، حيث جاور عتّاباً ، وحبّل أخته هُضَيبةَ حيث حَبلتْ . قال : فقلتَ ماذا ؟ قال قلتُ :

إذا جهل الشَّقِيُّ ولم يُقدِّرْ ... لبعضِ الأمرِ أوشكَ أن يُصابا
أعبْداً حَلَّ في شُعَبَى[2] غريباً ... أَلؤماً لا أبالكَ واغترابا
فما خَفِيتْ هُضيبة حينَ جُرّتْ ... ولا إطعامُ سَخلتِها الكِلابا
تُخرِّقُ بالمَشاقصِ[3] حالِبَيها ... وقد بَلّتْ مَشيمتُها الترابا
فقد حملتْ ثمانيةً وأوفتْ ... بتاسِعِها وتحسَبُها كَعابا

قال : ثم من ؟ قلت : جَفْنة الهِزّانيّ بن جعفر بن عَبايةَ بن شَكس من عَنَزة . قال : وما لك وله ؟ قال : أقبلَ سائلاً حتى أتاني وأنا أمدُرُ[4] حوضاً لي، فقال : يا جرير، قُمْ إليّ هاهنا ؛ قلت نعم . ثم أتيتُه فقلتُ : ما حاجتُك ؟ قال : مدحتُك فاستمعْ مني . قلتُ : أنشِدني فأنشد؛ فقلتُ : قد والله أحسنتَ وأجملتَ؛ فما حاجتُك ؟ قال : تكسوني الحُلّةَ التي كساكها الوليدُ بن عبد الملك العامَ . فقلت : إنّي لم أقِف فيها بالموسم ، ولا بدَّ من أن أقفَ فيها العامَ، ولكنّي أكسوك حلّة خيراً منها كان كَسانيها الوليدُ عاماً أولَ . فقال : ما أقبلُ غيرَها بعينها . فقلت : بلى، فاقبل وأزيدُك معها دنانيرَ نفقةً . فقال : ما أفعل ؛ ومضى

---

(١) أبر النخل : أصلحه . والمشقر : حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصناً لهم آخر يقال له الصفاء قبل مدينة هجر .

(٢) شعبى : موضع في جبل طيئ .

(٣) المشقص من النصال : ما طال وعرض . والمعابل : المشاقص .

(٤) المدر : تطيينك وجه الحوض بالطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء .

فأتى المرّارَ بنَ مُنقذ أحدَ بني العَدَويّةِ، فحمله على ناقةٍ له يقال لها القصواء. فقال جَفنة :

لَعَمرُكَ لَلمَرّارُ يومَ لَقيتُهُ على الشَّحطِ خيرٌ من جريرٍ وأكرمُ

قال : فما قلتَ له؟ قال قلتُ :

لقد بَعثتْ هِزّانُ جَفنةَ مائراً فآبَ وأحذى[1] قومَه شرَّ مَغنَمِ
فيا راكبَ القَصواءِ ما أنت قائلٌ لِهزّانَ إذ أسلَمتَها شَرَّ مسلَمِ
أظنُّ عِجانَ[2] التَّيسِ هِزّانَ طالباً عُلالةَ سَبّاقِ الأضاميمِ مِرجَمِ[3]
كأنّ بني هِزّانَ حينَ رَدَيتُهم وِبارٌ تَضاغَتْ تحتَ غارٍ مهدَّمِ[4]
بَني عَبدِ عمرٍو قد فَرَغتُ اليكمُ وقد طال زَجري لو نَهاكُمْ تقدُّمي
ورَصعاءِ هِزّانيّةٍ قد تَحَفّشتْ[5] على مِثلِ حِرباءِ الفَلاةِ المعمَّمِ

قال : ثم مَن؟ قلتُ : المرّارُ بن مُنقِذ. قال : ما لكَ وله؟ قلتُ : أعان عليّ الفرزدقَ. قال : فما قلتَ له؟ قال قلتُ :

بَني مُنقِذٍ لا صُلحَ حتى تَضُمَّكم من الحربِ صَمّاءُ القَناةِ زَبونُ[6]
وحتى تَذُوقوا كأسَ مَن كان قبلَكم ويَسلَحَ منكم في الحِبالِ قَرينُ

(١) أحذاه : أعطاه مما أصاب.

(٢) العجان : الدبر.

(٣) العلالة : الجري بعد الجري. والأضاميم : الجماعات، واحده إضمامة. والمرجم : الشديد.

(٤) الوبار : مفرده وبر، وهي دويبة على قدر السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم في البيوت. وتضاغت : صوّتت.

(٥) الرصعاء : الزلاء التي لا عجيزة لها. وماص : اغتسل. وتحفشت المرأة على زوجها : أقامت عليه ولزمته وأكبت عليه.

(٦) حرب زبون : يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

فإن كنتم كَلْبَى[١] فعندي شفاؤكم ... وللجنّ إن كان أعتراكَ جنونُ

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : حكيم بن مُعَيَّةَ من بني ربيعة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم . قال : وما لك وله ؟ قلتُ : بلغني أنه أعان عليّ غسّانَ السَّليطيّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

إذا طلَع الرُّكبانُ نَجداً وغوّروا ... بها فارجُزا يأبَنَيْ مُعيَّةَ أو دَعَا

أتَسمَنُ أستاهُ المَجرِ[٢] وقد رأوا ... مُجراً بوَعْساوَيْ[٣] رُماحَ مصرّعا

ألا إنّما كانت غَضوبُ[٤] مُحامياً ... غداةَ اللِّوى لم تدفع الضَّيمَ مَدفَعا

قال : ثم مَن ؟ قلتُ ثَور بن الأشهب بن رُمَيلة النَّهشَليّ . قال : وما لكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ الفرزدق . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

سيَخزى إذا ضَنَّتْ حَلائبُ مالكٍ ... ثُوَيرٌ ويَخزى عاصمٌ وجَميعُ[٥]

وقَبلكَ ما أعيا الرُّماةَ اذا رَمَوْا ... صَفاً ليس في قاراتهن[٦] صُدوعُ

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : الدَّلهَمسُ أحدُ بني رَبيعةَ بن مالك بن زيد مَناة . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

---

(١) الكلبى : الذين أصابهم مرض الكلب ، جمع كلب .

(٢) بنو المجر : من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة .

(٣) الوعساء : الارض اللينة ذات الرمل . ورماح : موضع بالدهناء .

(٤) غضوب : امرأة من بني المجر كانت شاعرة بذية ، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به .

(٥) عاصم وجميع : رجلان من بني عامر .

(٦) القارة : الصخرة العظيمة .

لقد نفخَت منكَ الوَريدَينِ عِلجَةٌ خَبيثةُ رِيح المَنكِبينِ[١] قَبوعُ
ولو أنجَبتْ أمُّ الدَلْهمَسِ لم يَعِبْ فَوارِسَنا لا عاش وهـو جميع
أليس ابنَ حَمراء العِجانِ كأنما ثلاثةُ غِربانٍ عليـه وُقوع
فلا تُدنِيا رَحلَ الدَلْهمَسِ إنـه بَصيرٌ بما يأتي اللئـامُ سَميع
هو النَخبةُ[٢] الخَوَّارُ ما دونَ قلبِه حِجابٌ ولا حولَ الحِجابِ ضُلوع

قال : ثم مررتُ على مجلس لهم فاعتذرتُ اليهم فلم يقبلوا عذري، وأنشدوني شعراً لم يُخبروني من قاله :

غضِبتَ علينا أن عَلاكَ ابنُ غالبٍ[٣] فهلّا على جَدّيكَ في ذاكَ تغضَبُ
هُما إذ عَـلا بالمرء مَسعاةُ قومِه أناخا فشَدّاكَ العِقـالُ المؤرَّبُ[٤]

قال : فعلمتُ أنه شِعر قَبْضة الكلب . قال : فجمعتُهم في شعري فقلت :

وأكثرُ ما كانت رَبيعـةُ أنها خِباءانِ شَتّى لا أنيسٌ ولا قَفرُ
مُحالِفُهم فَقرٌ شديدٌ وذِلَّـةٌ وبئس الحَليفانِ المَذلَّةُ والفَقر
فصَبراً على ذُلٍّ رَبيعَ بنَ مالكٍ وكلُّ ذليلٍ خيرُ عادتِـه الصبر

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : هُبيرَةُ بن الصَّلتِ الرَّبعيّ من ربيعةَ بن مالكٍ أيضاً، كان يَروي شعرَ الفرزدق . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

---

(١) القبوع : التي تقبع السقاء وهو أن تثنى رأس السقاء الى داخـله ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه .

(٢) النخبة : الجبان .

(٣) ابن غالب : الفرزدق .

(٤) المؤرب : المحكم .

يَمشي هُبَيرةُ بعد مَقتَل شَيخِه مَشيَ المُراسِل[1] أُوذِنَت بطَلاقِ
ماذا أردتَ إليَّ حينَ تحرَّقَتْ ناري وشُمِّرَ مئزَري عن ساقي
إنَّ القرافَ[2] بمَنخرَيكَ لَبيِّنٌ وسوادُ وجهك يابنَ أمِّ عِفاقِ[3]
سيرُوا فربَّ مُسبِّحينَ وقائلٍ هذا شَقاً لبني ربيعةَ باقي
أَبَني ربيعةَ قد أَخسَّ بحظِّكُمْ لؤمُ الجدودِ ودِقَّةُ[4] الأخلاقِ

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : عِلقَةُ والسَّرَندى من بني الرِّبابِ كانا يُعينان ابنَ لَجأ . قال : فما قلتَ لهما ؟ قال قلتُ :

عَضَّ السَّرَندى على تَثليمِ ناجذِه من أمِّ عِلقةَ بَظراً غَمَّه[5] الشَّعَرُ
وعَضَّ عِلقةُ لا يَألو بعُرعُرَةٍ[6] من بَظرِ أُمِّ السَّرَندى وهو منتصِرُ

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : الطُّهَويُّ ، كان يَروي شعر الفرزدق . قال : ما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

أَتنسَونَ وَهْباً يا بَني زَبدِ أَستِها وقد كنتُم جيرانَ وَهبِ بنِ أَبجرا[7]
فما تَتَّقون الشرَّ حتى يُصيبَكم ولا تَعرِفون الأمرَ إلا تَدبُّرا

---

(١) المراسل : التي أحست من زوجها أنه يريد تطليقها فهي تزين لآخر ، وهي ايضاً التي مات عنها زوجها . أو المراسل : التي طلقت مرات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه .

(٢) يريد قرفة أنفه أي قشرته وهي المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف .

(٣) عفاق : اسم رجل .

(٤) الدقة : الخسة .

(٥) غمه : غطاه .

(٦) العرعرة : رأس كل شيء وأعلاه .

(٧) هو وهب بن أبجر بن جابر العجلي .

ألا رُبَّ أعشى ظـالمٍ متخمِّطٍ[١] جعلتُ لعينيه جِـلاءً[٢] فأبصرا

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : عُقبة بن السُّنَيع الطُّهوِيّ وكان نذَر دَمي . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

يا عُقبَ يابنَ سُنَيعٍ ليس عندكُم مأوى الرِّفاقِ ولا ذو الرايةِ الغادِي
يا عُقبَ يابنَ سُنَيعٍ بعضَ قولِكُم إن الوِثابَ لكم عنـدي بمِرصاد
ما ظنُّكم ببَني مَيثاء إن فَزِعوا ليلًا وشَدَّ عليهم حَيَّةُ الوادي
يَغدو عليَّ أبو ليـلى ليقتلَني جهلًا عليَّ ولم يثأر بشدَّادِ[٣] !
إرْوُوا عليَّ وأرضُوا بي صديقَكُم واستَمِعوا يا بَني مَيثاء إنشادي

مَيثاء هي بنت زُهير بن شدَّاد الطُّهوِيّ وهي أم عَوف بن أبي سُود بن مالـك ابن حنظلة .

وقال أيضاً لبني مَيثاء :

نُبِّئتُ عُقبةَ خصَّافاً تَوعَّدَني يا رُبَّ آدَرَ[٤] من ميثاء مأفونِ
لَوْ في طُهَيَّةَ أحلامٌ لما اعترضوا دون الذي كنتُ أرميه ويَرميني

قال : ثم مَن ؟ قلت : سُحمةُ الأعـورُ النَّبهانِيّ ، كانت له امرأة من طيِّىء وُلِدت في بَني سَلِيط فأعطَوه وحَمَلوه عـليّ . فسألني فاشتَطّ ، ولم يكن عندي فحرَمتُه ، فقال :

(١) المتخمط : المتكبر الشديد الغضب والجلبة .

(٢) الجلاء : الكحل .

(٣) هو شدّاد الميثاوي ، كان يتحدث الى امرأة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، فألقـاه أهلها في بئر .

(٤) الخصاف : الكذاب . والآدر : الذي أصابه فتق في إحدى خصيتيه .

أقول لأصحابي النَّجاء فإنــه كَفَى الذَّم أن يأتي الضيوفَ جريرُ
جريرُ ابنَ ذاتِ البَظرِ هل أنت زائلٌ لِقدرِك دون النازلــين سُتور
وهل يُكرِمِ الأضيافَ كلبٌ لكلبةٍ[١] لها عنــد أطنابِ البيوت هَرير
فلو عندَ غسّانَ السَّليطيِّ عرَّستَ رغا قَرَنٌ منها وكاسَ عَقير[٢]
فتًى هو خيرٌ منكَ نفساً ووالداً عليكَ اذا كان الجــوار يُجير

فقال جرير :

وَجدْنا بَني نَبهانَ أذنابَ طيِّئٍ وللنــاسِ أذنابٌ تُرى وصُدورُ
تَغنّى ابنُ نَبهانيّةٍ طال بَظرُها وباعُ أبيها عند الهِياج قَصير
وأعورَ من نَبهــانَ أمّا نَهارُه فأعمى وأمّا ليلُــه فبَصير
ستأتي بَني نَبهــانَ منّي قصائدٌ تَطالَــعُ من سَلمى وهنَّ وُعُور[٣]
تَرى قَزَمَ المِعزى مُهورَ نسائهم وفي قَزَمِ المِعــزى لهنَّ مُهور[٤]

قال : وطلع الصبحُ فنهض ونهضتُ . قال : فأخبرني من كان قاعداً معه أنه قال : قاتله الله أعرابياً ! إنه لجِروُ هِراش .

قصته مع الراعي وابنه جندل :

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنــا أبو سَعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المُغيرة بن حَجناء، قال حدّثني أبي عن أبيه قال :

---

(١) شبهه في قلة خيره بالكلب .

(٢) القرن : البعير المقرون بآخر . وكاس عقير، يريد أنه عقر له بعير فقام على ثلاث .

(٣) سلمى : اسم جبل لطيئ، وهو لبني نبهان خاصة . ووعور : خشنة غلاظ، يعني القصائد .

(٤) القزم : الصغار العليلة واحدتها قزمة .

كان راعي[١] الإبل يَقضي للفرزدق على جرير ويفضِّله، وكان راعي الإبل قد ضخُم أمرُه وكان من شعراء الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال: هلّا تعجَبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضرَبتُ رأيي فيه. ثم خرج جرير ذاتَ يومٍ يمشي ولم يركب دابّته، وقال: واللهِ ما يسرُّني أن يعلم أحد. وكان لراعي الإبل والفرزدقِ وجلسائهما حَلقةٌ بأعلى المِربَد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرّض له لألقاه من حِيالٍ حيثُ كنت أراه يمرّ اذا انصرف من مجلسه، وما يسرُّني أن يعلم أحد، حتى اذا هو قد مَرّ على بغلة له وابنُه جَندَلٌ يَسير وراءه على مُهرٍ له أحوى محذوفِ[٢] الذَّنبِ وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السبب، فلما استقبلتُه قلتُ: مَرحباً بك يا أبا جَندل! وضربتُ بشِمالي على معرفة بغلتِه، ثم قلت: يا أبا جَندل! إن قولَك يُستمع وإنك تُفضِّل الفرزدقَ عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويَكفيكَ من ذاك هيِّنٌ: إذا ذُكِرنا أن تقول كِلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتملُ مني ولا منه لائمةً. قال: فبَينا أنا وهو كذاكَ واقفاً عليّ وما رَدّ عليّ بذلك شيئاً حتى لَحِق ابنُه جَندلٌ، فرفع كرمانيّةً معه فضرَب بها عَجُزَ بغلتِه ثم قال: لا أراكَ واقفاً على كلبٍ من بني كُليب كأنك تَخشى منه شرًّا أو ترجو منه خيراً! وضرَب البغلةَ ضربةً، فرَمَحتني رمحةً وقعتْ منها قَلَنسُوتي، فوالله لا يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سَفيهٌ غَوى — يَعني جَندلاً ابنَه — ولكن لا واللهِ ما عاج عليّ، فأخذتُ قَلَنسُوَتي فمسحتُها ثم أعدتُها على رأسي ثم قلتُ:

أَجندلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ ... إذا ما الأَيرُ في اُستِ أبيك غابا

---

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها، وهو شاعر فحل من شعراء الاسلام.

(٢) الأحوى: الذي يضرب الى السواد من شدّة خضرته. والحذف: قطف الشيء من الطرف، يقال: حذف شعره وذنب فرسه اذا قطع طرفه.

فسمعتُ الراعيَ قال لأَبنه : أما واللهِ لقد طرحتَ قَلَنسُوَته طَرْحــةً مشؤومة . قال جريرٌ : ولا واللهِ ما القلنسوةُ بأغيظِ أمرِه اليَّ لو كان عاجَ عليَّ . فانصرف جريرٌ غضبانَ حتى اذا صلّى العِشاء بمنزله في عِلِيَّةٍ[١] له قال : ارفَعوا إليَّ باطِيَــةً من نبيذ وأسرِجوا لي، فأسرَجوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ . قال : فجعــل يُهَمْهِمُ[٢] ؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ في الدار فاطّلعَتْ في الدَّرَجةِ حتى نظرتْ اليه، فاذا هــو يَحبو على الفراش عُرياناً لما هو فيه، فانحدرتْ فقالت : ضيفُكم مجنــون ! رأيت منه كذا وكذا ! فقالوا لها : اذهبي لِطيَّتِكِ، نحن أعلم به وبما يُمارِس . فــا زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم اذا هو يــكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُميرٍ . فلما ختمها بقوله :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ من نُميرٍ ... فــلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

كَبَّرَ ثم قال : أخزيتُه وربِّ الكعبة . ثم أصبح ، حتى اذا عرَف أن الناس قــد جلسوا في مجالسهم بالِمرْبَد، وكان يعرِف مجلسَه ومجلسَ الفرزدق ، دعــا بدُهنٍ فادَّهَنَ وكَفَّ[٣] رأسَه، وكان حسنَ الشَّعر، ثم قال : يا غلام، أسرِجْ لي، فأسرِجَ له حِصاناً، ثم قصد مجلسَهم ؛ حتى اذا كان بموضِع السلام قــال : يا غلامُ — ولم يسلِّم — قل لعَبيدٍ : أبعثَك نِسوَتُك تَكسِبهُنَّ المالَ بالعراق ! أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعنَّ اليهنَّ بميرٍ يَسوءهن ولا يَسرّهنَّ ! ثم أندفع فيها فأنشدها . قال : فنكَس الفرزدقُ وراعي الابل وأرَمَّ[٤] القومُ، حتى اذا فرَغ منها سار، وثبَت راعي الابل ساعةً ثم ركب بغلته بشَرٍّ وعُرٍّ وخَلّى المجلسَ حتى ترَقّى الى منزله الذي ينزله، ثم قال لأصحابه : رِكابَكم رِكابَكم، فليس لكم هاهنــا مُقام، فضحكم

(١) العلية : الغرفة .

(٢) الهمهمة والهينمة : الصوت الخفيّ .

(٣) كف شعره : جمعه وضم أطرافه .

(٤) أرمّ القوم : سكتوا .

والله جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمك وشؤم ابنك. قال: فما كان إلا ترحلهم. قال فسرنا الى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهم بالشريف وهو أعلى دار بني نمير. فيحلف بالله راعي الإبل إنا وجدنا في أهلنا:

فغض الطرف إنك من نمير

وأقسم بالله ما بلغه إنسي قط، وإن لجرير لأشياعاً من الجن. فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وابنه، فهم يتشاءمون به الى الآن.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال حدثني مولى لبني كليب بن يربوع كان يبيع الرطب بالبصرة أنسيت اسمه قال:

كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأرويه. فجاءني ليلة فقال: إن راعي الإبل النميري قد هجاني، وإني آتيك الليلة فأعد لي شواء رشراشا[1] ونبيذاً مخفساً[2]؛ فأعددت له ذلك. فلما أعتم جاءني فقال: هلم عشاءك، فأتيته به، فأكل ثم قال: هلم نبيذك، فأتيته به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دواة وكتفاً[3]؛ فأتيته بهما، فجعل يملي علي قوله:

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

حتى بلغ الى قوله:

فغض الطرف إنك من نمير

(١) شواء رشراش: خضل ند يقطر دسماً.

المخفس: السريع الإسكار.

(٣) كانوا يكتبون في عظم الكتف لقلة القراطيس عندهم.

فجعل يردِّده ولا يزيد عليـه حتى حَملتني عيني، فضربتُ بذَقني صدري نائماً فاذا به وقد وثب حتى أصاب السَّقفَ رأسه وكبَّر ثم صاح: أخزيتُه والله! أكتُبْ:

فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

غضضتُه وقدّمتُ إخوتَه عليه! والله لا يُفلح بعدها أبداً. فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُميريّ بعدها.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عُبيدة قال:

أقبل راكبٌ من اليمامة، فمرّ بالفرزدق وهو جالس في المِربَد؛ فقال له: من أين أقبلتَ؟ قال: من اليمامة. فقال: هل رأيت ابن المراغة؟ قال نعم. قال: فأيَّ شيء أحدث بعدي؟ فأنشده:

هاجَ الهوى لفؤادك المُهتاج

فقال الفرزدق:

فانظُر بتُوضِحَ باكِرَ الأحداجِ [1]

فأنشده الرجل:

هذا هوًى شغَفَ الفؤادَ مبرِّحٌ

فقال الفرزدق:

ونوًى تَقاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ [2]

فأنشده الرجل:

إن الغراب بما كرهتَ لمُولَعٌ

---

(١) توضح: كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة. والأحداج: مراكب النساء.

(٢) غير ذات خلاج أي نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشك والريب.

فقال الفرزدق :

بِنوى الأَحِبَّـةِ دائمُ التَّشحاجِ [1]

فقال الرجل : هكذا واللهِ، قال أفسمعتَها من غيري ؟ قال : لا ! ولكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أوما علمت أن شيطاننا واحد ! ثم قال : أَمَـدَحَ بها الحجّاجَ ؟ قال نعم . قال : إياه أراد .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ قال حدّثني أبو عُبَيدة قال :

إلتقى جريرٌ والفرزدقُ بمِنًى وهما حاجّانِ؛ فقال الفرزدقُ لجرير :

فإنك لاقٍ بالمنازل من منًى فَخاراً فخَبِّرْني بمن أنت فاخرُ

فقال له جريرٌ : بلَبَّيكَ اللهم لبيك . قال إسحاق : فكان أصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويَعجَبون منه .

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم :

أخبرني أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلّام، وأخبرني وَكيعٌ عن محمد بن إسماعيل عن ابن سَلّام قال حدّثنا أبو الخطّاب عن أبيه عن حَجناء بنِ جَرير قال :

قلت لأبي : يا أبتِ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلا أفسدتَهم سِوى التَّيمِ . فقال : إني لم أجد حَسَباً أَضَعُه، ولا بِناء أهدِمُه .

(١) تشحاج الغراب : صوته .

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء :

قال ابن سَلّام أخبرني أبو قيس عن عِكرِمةَ بن جَرير قال : قلت لأبي : يا أَبتِ ، من أشعرُ الناس ؟ فقال : أَلجاهليةَ تريد أم الإسلامَ ؟ قلتُ : أخبِرني عن الجاهلية . قال : شاعرُ الجاهلية زُهير . قلت : فالإسلام ؟ قال : نَبعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صفة الملوك ويُصيب نَعتَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دَعْني فإني نَحرتُ الشعرَ نَحرا .

أَخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الحسن بن عُلَيل قال حدّثني محمد بن عبد الله العَبديّ عن عُمارة بن عُقَيل عن جدِه قال :

وقف الفرزدقُ على أَبي بِرزَبد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الراعي؛ فلما بلَغ الى قوله :

فغُضَّ الطَرفَ إنك من نُميرٍ فلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

أقبل الفرزدقُ على راويتِه فقال : غَضَّه واللهِ فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلِح بعدها . فلما بلغ الى قوله :

بها بَرَصٌ بجانبِ إسكتيها (١)

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطّى عَنفَقَتَه (٢)؛ فقال أبي :

كعَنفَقةِ الفرزدقِ حين شابا

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول : اللهم أَخزِه ! واللهِ لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غيرَ هذا ، ولكن طَمِعتُ أَلا يَأْبهَ فغطّيتُ وجهي ، فما أغناني

(١) الإسكتان : جانبا الفرج .

(٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن

ذلك شيئاً . قال العَنَزيّ حدّثني مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة قال قال يونُس : ما أرى جَريراً قال هذا المِصراعَ إلا حينَ غطّى الفرزدقُ عَنفقتَه ، فإنه نبَّهه عليه بتغطيته إيّاها .

سئل الفرزدق عمن يجاريه في الشعر فلم يعترف إلا به :

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنيّ عن أبي بَكر الهُذَليّ قال :

قال رجل من بني دارِم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فِراس ، هل تعلم اليوم أحداً يَرمِي معك ؟ فقال : لا ! والله ما أعرف نابحاً إلا وقد آستكان ولا ناهشاً إلا وقد آنجحر إلا القائلَ :

فإن لم أجدْ في القُربِ والبعدِ حاجتي ... تشأَمتُ أو حوّلتُ وجهي يمانيا
فرُدّي جِمالَ الحيِّ ثم تحمَّلي ... فما لَـكِ فيهم من مُقامٍ ولا ليا
فإنّي لمغرورٌ أعلِّـل بالمُنى ... ليالِيَ أرجو أنّ ما لكَ ما ليا
وقائلةٍ والدمعُ يَحدُر كُحلَها ... أبعدَ جرير تُكرِمون المَواليا
بأيِّ نجادٍ تَحمِل السيفَ بعدما ... قطعتَ القُوى من مِحمَلٍ كان باقيا
بأيِّ سِنانٍ تطعُنُ القومَ بعدما ... نزَعتَ سِناناً من قَناتِك ماضيا
لساني وسيفي صارمـانِ كلاهما ... وللسَّيفُ أشوى[1] وَقعةً من لسانيا

قال : وهذا الشعر لجرير .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يَزيد عن عُمـارةَ بن عقيل عن أبيه قال :

---

(١) يقال : رماه فأشواه إذا أصاب شواه أي أطرافه

قال جرير : وفدتُ الى يزيدَ بنِ معاوية وأنا شابٌ يومئذٍ ؛ فاستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إليّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنه لا يَصِلُ الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذنَ لك على بَصيرة . فقلت له : تقولُ لأمير المؤمنين : أنا القائل :

وإنّي لَعَفُّ الفقر مُشتَرَكُ الغنى سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا
جريءُ الجَنانِ لا أهاب مِن الرَّدى إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانيا
وليس لسيفي في العظـامِ بَقيَّةٌ ولَلسَّيفُ أشوى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ ؛ ثم خرج إليّ وأذِن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزةَ مع الشعراء؛ فكانت اولَ جائزة أخذتُها من خليفــة ، وقال لي : لقد فارق أبي الدنيا وما يظنّ أبياتَك التي توسّلتَ بها إليّ إلا لي .

موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق :

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَديّ عن حمّاد الراوية قال :

أتيتُ الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي : هل أتيتَ الكلبَ جريراً ؟ قلت نعم . قال : فأنا أشعر أو هو ؟ فقلت : أنت في بعض الأمر وهو في بعض . فقال : لم تُناصِحْني . فقلت : هو أشعرُ إذا أرخي من خِناقه، وأنت أشعر منه اذا خِفتَ أو رجوتَ . فقال : وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ !

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته :

أخبرني عمي قال حدّثني أحمــد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ عن يحيي بن عَنبسة القُرشيّ وعَوانةَ بن الحكم :

أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشر بن مَروان؛ فقال لهما بِشر: إنكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما. فأمّا الهجاء فليست بي اليه حاجة، فجدِّدا بين يديّ فخراً ودَعاني مما مضى. فقال الفرزدق:

نحن السَّنامُ والمَناسِمُ[1] غيرُنا فمَن ذا يُساوي بالسَّنامِ المناسما!

فقال جرير:

على موضع الأستاهِ أنتم زعمتُمُ وكلُّ سَنامٍ تابعٌ للغَلاصِمِ[2]

فقال الفرزدق:

على مُحرثٍ للفَرثِ أنتم زعمتُمُ ألا إنّ فوق الغَلصمات الجماجما

فقال جرير:

وأنبأتُمونا أنكم هامُ قومِكم ولا هامَ إلا تابعٌ للخراطمِ

فقال الفرزدق:

فنحن الزِّمامُ القائدُ المقتدى به من الناس، ما زِلنا ولسنا لَهازِما[3]

فقال جرير:

فنحن بَني زيد قطعنا زِمامَها فتاهت كسارِ طائش الرأسِ عارِمِ[4]

فقال بشر: غلبتَه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذهابِك بالناقة. وأحسن الجائزةَ لهما وفضّل جريراً.

(١) المنسم: طرف خف البعير.

(٢) الغلصمة: رأس الحلقوم.

(٣) اللهازم: جمع لهزمة. واللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين.

(٤) العرام: الشدّة والقوّة والشراسة.

جرير وسكينة بنت الحسين :

قال المدائنيّ وحدّثني عَوانة بن الحكم قال :

جاء جرير الى باب سُكينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت اليه جاريةٌ لها فقالت : تقول لك سيّدتي : أنت القائل :

طَرَقتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا حينَ الزيارةِ فارْجعي بسلامِ

قال نعم . قالت : فألّا أخذتَ بيدها فرحّبتَ بها وأدنيتَ مجلسَها وقلتَ لها ما يقال لمثلها ! أنت عفيفٌ وفيك ضعف، خذ هذين الألفي الدرهم فالْحقْ بأهلِك

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق :

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أبو يعقوب الثّقفيّ عن الشّعبيّ : أنّ الفرزدق خرج حاجاً؛ فلما قضى حجّه عدَل الى المدينة فدخل الى سُكينة بنت الحسين عليهم السلام فسلّم . فقالت له : يا فرزدق، مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت: كذبتَ! أشعرُ منك الذي يقول :

بنفسي مَنْ تَجنُّبُه عزيزٌ عليّ ومَن زيارتُه لِمامُ
ومَن أُمسي وأُصبح لا أراه ويَطرُقني إذا هجَع النِّيامُ

فقال : والله لو أذنتِ لي لأسمعتُكِ أحسنَ منه . قالت : أقيموه فأُخرج . ثم عاد اليها من الغد فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق، مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزُرتُ قبركِ والحبيبُ يُزارُ
كانت اذا هجَر الضَّجيعُ فِراشَها كُتِمَ الحديثُ وعَفّت الأسرارُ (١)

---

(١) الضجيع : الحليل .

لا يَلبَثُ القُرَناءُ أن يتفرّقوا   ليلٌ يَكُرّ عليهمُ ونهارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنّك أحسنَ منه ، فأمرتْ به فأُخرج . ثم عاد اليها في اليوم الثالث وحولها مولّداتٌ لها كأنهنّ التماثيل ؛ فنظر الفرزدق الى واحدة منهنّ فأُعجب بها وبُهت ينظُر اليها . فقالت له سُكَينة : يا فرزدق ، مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! صاحبُك أشعر منك حيث يقول :

إنّ العيونَ التي في طَرفها مَرَضٌ   قتلننا ثم لم يُحيِينَ قتلانا
يَصرعنَ ذا اللُّبِ حتى لا حَراكَ به   وهنّ أضعفُ خَلقِ الله أركانا
أتبعتُهم مُقلةً إنسانُها غَرِقٌ   هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا

فقال : والله لئن تركتني لأسمعنّك أحسنَ منه ؛ فأمرت بإخراجه . فالتفت اليها وقال : يا بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنّ لي عليكِ حقًّا عظيماً . قالت : وما هو ؟ قال : ضربتُ اليكِ آباطَ الإبل من مكةَ إرادةَ التسليم عليكِ ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَردي وتفضيلَ جريرٍ عليَّ ومنعَكِ إيّاي أن أنشدَكِ شيئاً من شعري ، وبي ما قد عِيلَ منه صبري ، وهذه المَنايا تَغدو وتَروح ، ولعلّي لا أفارق المدينة حتى أموت ؛ فإذا أنا متُّ فمُري بي أن أدرَج في كَفَني وأُدفَنَ في حِرِ هذه (يَعني الجاريةَ التي أعجبته) . فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برَيطتها⁽¹⁾ ؛ وأمرت الجواري فدَفَعن في أقفيتهما ، ونادته : يا فرزدقُ احتفظ بها وأحسِن صحبتَها فإني آثرتُك بها على نفسي .

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أبو عِمرانَ بنُ عبد الملك بن عُمَير عن أبيه ، وحدّثنيه عَوانةُ أيضاً قالا :

صنع عبدُ الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا اليه الناسَ فأكلوا .

---

(١) الربطة : الملاءة .

فقال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعامَ ! ما نَرى أن أحداً رأى أكثرَ منه ولا أكل أطيبَ منه . فقال أعرابيّ من ناحية القوم : أمّا أكثرُ فلا، وأمّا أطيبُ فقد واللهِ أكلتُ أطيبَ منه ، فطفِقوا يضحكون من قوله . فأشار اليه عبد الملك فأُدنيَ منه؛ فقال : ما أنت بمُحِقٍّ فيا تقول إلّا أن تُخبرني بما يَبِينُ به صدقُك . فقال : نعم يا أميرَ المؤمنين؛ بَينا أنا بهَجَر[1] في بَرثٍ[2] أحمـر في أقصى حَجْر[3]، إذ تُوُفي أبي وترك كَلًّا[4] وعِيالًا، وكان له نخل، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر الى مثلها، كأن تمرها أخفافُ الرِّباع[5] لم يُرَ تمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلب ولا أصغرُ نوًى ولا أحلى حلاوةً منه . وكانت تطرُقها أتانٌ وحشيَّةٌ قد ألِفتْها تأوي الليلَ تحتها، فكانت تُثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتَعطُو[6] بِفيها فلا تترك فيها إلا النبيذَ[7] والمتفرِّق؛ فأعظَمني ذلك ووقَع مني كلَّ موقـع، فانطلقتُ بقوسي وأسهُمي وأنا أظنّ أني أرجع من ساعتي؛ فمكثتُ يوماً وليلةً لا أراهـا ، حتى اذا كان السَّحَرُ أقبلتْ، فتهيأتُ لها فرشقتُها فأصبتُها وأجهزتُ عليهـا ، ثم عمدتُ الى سُرَّتها فاقتَدَدْتُها[8]، ثم عمدتُ الى حطب جَزْلٍ فجمعتُه الى رَضْفٍ[9] وعمدتُ الى زَنـدي فقدَحتُ وأضرمتُ النارَ في ذلك الحطب، وألقيتُ سُرَّتها فيـه ؛ وأدركني نوم الشباب فلم يُوقِظْني إلا حَرُّ الشمس في ظهري؛ فانطلقتُ اليها فكشفتُها وألقيتُ

---

(١) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر .

(٢) البرث : الارض اللينة السهلة .

(٣) في أقصى حجر أي في أبعد ناحية .

(٤) الكل : الثقل والعيال .

(٥) الرباع : جمع ربع (كصُرَد) وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو اول النتاج .

(٦) تعطو : تتناول .

(٧) النبيذ : المنبوذ .

(٨) اقتدّ الشيء : قطعه .

(٩) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس او النار .

ما عليها من قَذًى وسواد ورَماد، ثم قلبتُ منها مثلَ المُلاءة البيضاء، فألقيتُ عليها من رُطبٍ تلك النخلةِ المُجزَّعة[١] والمُنصِّفة، فسمعتُ لها أَطيطاً[٢] كتَداعي عامرٍ وغطفانَ، ثم أقبلتُ أتناول الشَّحمة واللحمة فأضعُها بين التمرتين وأهوي الى فَمي، فما أحلِف اني ما أكلتُ طعاماً مثلَه قطُّ. فقال له عبد الملك: لقد أكلتَ طعاماً طيِّباً، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبتُني عَنعنةُ تَميمٍ وكَشكَشةُ أسد وكسكسة رَبيعةَ وحُوشيّ[٣] أهل اليمن وإن كنتُ منهم. فقال: من أيِّهم أنت؟ قال: من أخوالِك من عُذرَة. قال: أولئك فصحاء الناس؛ فهل لك علم بالشعر؟ قال: سَلني عمّا بدا لكَ يا أميرَ المؤمنين. قال: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ ركبَ المَطايا … وأندى العالمين بطونَ راحِ

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها. ثم قال: فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر؟ قال: قولُ جرير:

إذا غضبت عليك بنو تَميمٍ … حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

قال: فتحرّكَ لها جريرٌ. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ أهجى؟ قال: قولُ جرير:

فغُضَّ الطَّرفَ إنك من نُميرٍ … فلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

قال: فاستَشرَفَ لها جريرٌ. قال: فأيُّ بيتٍ أغزَل؟ قال: قول جرير:

إن العيون التي في طَرْفِها مَرَضٌ … قَتَلْنَنا ثم لم يُحيينَ قَتلانا

قال: فاهتزَّ جريرٌ وطرِب. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ قالته العرب أحسن تشبيهاً؟ قال: قولُ جرير:

---

(١) جزع البسر: بلغ الإرطاب نصفه، ونصف البسر: أرطب نصفه.

(٢) أطيط كل شيء: صوته. وعامر وغطفان: قبيلتان.

(٣) الحوشيّ من الكلام: الغامض.

سَرى نحوَهم ليلٌ كأنّ نجومَه قناديلُ فيهنّ الذُّبالُ[1] المفتَّلُ

فقال جرير : جائزتي للعُذريّ يا أميرَ المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلُها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تُنتقَصُ منها شيئاً . وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُملان والكُسوة . فخرج العُذريّ وفي يده اليمنى ثمانيةُ آلاف درهم وفي اليسرى رِزمةُ ثياب .

تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق :

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال :

بَينا المهلّبُ ذاتَ يوم أو ليلةٍ بفارسَ وهو يقاتل الأزارقةَ إذ سمع في عسكره جَلَبَةً وصياحاً؛ فقال : ما هذا؟ قالوا : جماعةٌ من العرب تحاكموا اليكَ في شيء. فأذِن لهم فقالوا : إنّا اختلفنا في جرير والفرزدق؛ فكلّ فريقٍ منّا يزعم أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر، وقد رَضينا بحكم الأمير . فقال : كأنكم أردتم أن تُعرّضوني لهذين الكلبين فيمزّقا جِلدتي ! لا أحكُم بينهما، ولكنّي أدلُّكم على من يهون عليه سِبالُ جرير وسِبالُ[2] الفرزدق، عليكم بالأزارقة ، فانهم قومٌ عربٌ يَبصِرون بالشعر ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشكُريّ ودعا الى المبارزة، فخرج اليه رجل من عسكر المهلّب كان لقَطَريٍ صديقاً، فقال له : يا عُبيدة، سألتُك اللهَ إلّا أخبرتَني عن شيء أسألك عنه . قال : سَلْ . قال : أوَ تُخبرُني؟ قال : نعم إن كنتُ أعلمه . قال أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدق؟ قال : قبحَك الله ! أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَني عن الشعر ! قال : إنا تشاجرنا في ذلك ورَضينا بك . فقال من الذي يقول :

(١) الذبالة : الفتيلة التي توضع في القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به .

(٢) السبال : الشوارب .

وَطوى الطِّرادُ مع القِيادِ بطونَها طَيَّ التِّجارِ بحَضْرَ مَوْتَ بُرُودا

قال : جرير . قال : هذا أشعرُ الرجلين .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال :

قال جرير : ما عشِقتُ قطُّ، ولو عشقت لنسبتُ نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها، وإني لأرى من الرَّجَز أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرى، ولولا أني أخاف أن يستفرِغني لأكثرتُ منه .

جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد :

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمي قالا حدّثنا ابن الأعرابيّ قال حدّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بَيهس بن صُهيب الجَرْميّ عن عامر بن شِبْل الجرميّ قال :

قدِم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدير مُرّان[1] ؛ فكنا نغدو اليه بَكَراً[2]، فيخرج الينا ويجلس في بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلِّمنا كلمةً حتى يجيء طبَّاخُ عبد العزيز اليه بقدحٍ من طِلاء مسخَّن يَفور، وبكُتلةٍ من سمن كأنها هامةُ رجل فيَخوضها فيه، ثم يدفعه اليه فيأتي عليه، ويُقبِل علينا ويحدّثنا في كل فنّ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره، حتى يحضرَ غداء عبد العزيز فنقومَ اليه جميعاً . وكان يختِم مجلسَه بالتسبيح فيُطيل . فقال له رجل : ما يُغني عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحصَنات ! فتبسّم وقال : يابنَ أخي (خَلَطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً عسى اللهُ أن يَتوبَ عليهم) إنهم والله يابنَ أخي يَبدءوني ثم لا أحلُم .

---

(١) دير مرّان : قرب دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملون .

(٢) البكر (بالتحريك) : البكرة .

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال حدّثني الأخفش عن أبي محذورة الورّاق عن أبي مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول، وأخبرني بهذا الخبر محمد ابن خلف بن المرزبان قال حدّثني إبراهيم بن محمد الطائيّ قال حدّثني محمد بن مَسعَدةَ الأخفش عن أبي محذورةَ الورّاق عن أبي مالك الراوية قال:

سمعتُ الفرزدقَ يقول: أبقَ غلامانِ لرجلٍ منا يقال له الخَضِرُ، فحدّثني قال: خرجتُ في طلبها وأنا على ناقةٍ لي عَيساء كوماء[1] أريد اليمامة؛ فلما صِرتُ في ماء لبني حَنيفةَ يقال له الصَّرصرانُ ارتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرَقتْ وأرخَتْ عَزالِيَها[2]؛ فعدَلتُ الى بعض ديارهم وسألتُ القِرى فأجابوا؛ فدخلتُ داراً لهم وأنختُ الناقةَ وجلستُ تحت ظُلَّةٍ لهم من جَريد النخل، وفي الدار جُوَيريةٌ لهم سَوداء، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنها سَبيكةُ فضة وكأن عينيها كوكبان دُرّيّانِ؛ فسألتِ الجاريةَ: لمن هذه العَيساء؟ (تعني ناقتي) فقالت: لضيفكم هذا. فعدَلتْ إليّ فقالت: السلام عليكم، فرددتُ عليها السلام. فقالت لي: ممن الرجل؟ فقلت: من بني حَنظلةَ. فقالت: من أيهم؟ فقلت: من بني نَهشَل. فتبسَّمتْ وقالت: أنت إذاً ممن عَناه الفرزدقُ بقوله:

إن الذي سمَكَ السماء بَنى لنا   بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
بيتاً بناه لنا المليكُ وما بَنى   مَلِكُ السماء فإنه لا يُنقَل
بيتاً زُرارةُ مُحتَبٍ بفنائه   ومُجاشعٌ وأبو الفوارِس نَهشَل

قال: فقلت نعم جُعِلتُ فِداكِ! وأعجبني ما سمعتُ منها. فضحكت وقالت: فإن ابنَ الخَطَفَى قد هدَم عليكم بيتَكم هذا الذي فخرتم به حيث يقول:

---

(١) العيساء من النوق: التي يضرب لونها الى الأدمة. وكوماء: عظيمة السنام طويلته.

(٢) العزالي: جمع عزلاء، والعزلاء في الاصل: مصب الماء من الراوية والقربة. شبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة.

أخزى الذي رفَع السماء مُجاشِعاً وبَنى بِناءك بالحضيض الأسفلِ
بيتاً يُحمِّم[١] قَينُكم بفِنائه دَنِساً مَقاعِدُه خبيثَ المدخلِ

قال: فوجَمتُ. فلما رأتْ ذلك في وجهي قالت: لا عليكَ؛ فان الناس يُقال فيهم ويقولون. ثم قالت: أين تَؤُمُّ؟ قلت: اليامةَ. فتنفَّسَتِ الصُّعَداء ثم قالت: ها هي تلك أمامَك؛ ثم انشأت تقول:

تُذكِّرُني بلاداً خيرُ أهلي بها أهلُ المروءة والكرامهْ
ألا فسقى الإلهُ أجشَّ صَوباً يَسُحُّ بدَرِّه بلدَ اليامه
وحيّاً بالسلام أبا نُجيدٍ فأهلٌ للتحيَّة والسلامه

قال: فأَنِستُ بها وقلت لها: أذاتُ خِدْنٍ أم ذاتُ بَعلٍ؟ فأنشأتْ تقول:

إذا رَقَد النيامُ فإن عمرواً تؤرِّقه الهمومُ الى الصباحِ
تُقطِّع قلبَه الذِّكرى وقلبي فلا هو بالخَلِيِّ ولا بِصاح
سقى اللهُ اليامةَ دار قوم بها عمرٌو يَحِنُّ الى الرَّواح

فقلتُ لها: من عمرو هذا؟ فأنشأتْ تقول:

سألتَ ولو علمتَ كففتَ عنه ومن لكَ بالجواب سِوى الخبيرِ
فإن تَكُ ذا قَبولٍ إن عمرواً هو القَمرُ المُضيء لمستنير
وما لي بالتبعُّلِ مُستراحٌ ولو رَدَّ التبعُّلُ لي أسيري

قال: ثم سكتتْ سكتةً كأنها تتسمَّع الى كلامٍ، ثم تهافتتْ[٢] وأنشأت تقول:

---

(١) يحمم: يسخن. والقين: الحداد.

(٢) يريد أنها تساقطت من ضعفها وخورها.

يخيَّل لي هَياَ عمرُو بنَ كَعبٍ كأنكَ قـد حُمِلتَ على سريرِ
يَسيرُ بكَ الهُوَينى القومُ لمـا رَماكَ الحبُّ بالعَلَقِ[١] العسيرِ
فإن تَكُ هكذا يا عَمرُو إني مُبكِرةٌ عليـك الى القبورِ

ثم شَهقتْ شَهقةً فخرَّت ميتةً . فقلتُ لهم : من هذه ؟ فقالوا : هذه عَقيلةُ بنتُ الضحَّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النُّعمان بن المُنـذِر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرٌو هذا ؟ قالوا : ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرّق بن النعمان بن المنـذر ؛ فارتحلتُ من عندهم . فلما دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فاذا هو قد دُفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت .

قصته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه :

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدّثنـا محمد بن الحَكَم ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّـة قال حدّثنا أبو الهَيثم بدر بن سعيد العَطَّار قال حدّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال :

لمَّا استُخلِف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلون اليه ؛ فجـاء عَونُ بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود وعليه عِمامة قد أرخى طرَفيها فدخل ؛ فصاح به جرير :

يأيُّها القارئُ المُرخي عِمامتَه هذا زمانُك إني قد مضى زمني
أبلِغ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه أني لدى البابِ كالمَصفودِ في قَرَنِ

قال : فدخل على عمر فاستأذن له ، فأدخله عليه . وقد كان هيأ له شِعراً ، فلما دخل عليه غيّره وقال :

---

(١) العلق : الهوى يكون للرجل في المرأة .

إنا لنرجو اذا ما الغيثُ أخلفَنا ... من الخليفةِ ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً ... كما أتى ربَّه موسى على قدَر
أأذكرُ الجهدَ والبَلوى التي نزلتْ ... أم تكتفي بالذي بُلِّغتَ من خبري
ما زِلتُ بعدكَ في دارٍ تَعرَّقُني ... قد طال بعدك إصعادي ومُنحدَري
لا ينفَع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ... ولا يجود لنا بادٍ على حَضَر
كم بالمواسمِ من شَعثاءَ أرملةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصر
يدعوكَ دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به ... خبلاً من الجنِّ أو مَسّاً من النُّشَر (١)
ممن يَعُدُّكَ تكفي فَقدَ والدِه ... كالفَرْخِ في العشِّ لم ينهض ولم يَطِر

قال: فبكى عمرُ ثم قال: يابنَ الخطَفى، أمِن أبناء المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناء الأنصار فيَجِبَ لكَ ما يجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحبَ صدقاتِ قومِك فيصلَكَ بمثل ما يَصِلُ به قومَك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإني لمن أكثرِ قومي مالاً، وأحسنِهم حالاً، ولكني أسألك ما عوَّدَتنيه الخلفاء: أربعةَ آلافِ درهم وما يَتبعها من كُسوةٍ وحُملانٍ. فقال له عمر: كلُّ امرئٍ يَلقى فعلَه، وأمّا أنا فما أرى لك في مال الله حقّاً، ولكن انتظرْ يَخرُجُ عطائي، فأنظرُ ما يَكفي عيالي سنةً منه فأدَّخرُه لهم، ثم إن فضَل فضْلٌ صرَفناه اليك. فقال جرير: لا، بل يوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرجُ راضياً؛ قال: فذلك أحبُّ إليَّ؛ فخرج. فلما ولّى قال عمر: إنّ شرَّ هذا ليُتَّقى؛ رُدّوه إليَّ، فردّوه. فقال: إن عندي أربعين ديناراً وخِلعتين اذا غُسِلتْ إحداهما لبِستُ الأخرى، وأنا مُقاسِمُك ذلك، على أن الله جلَّ وعزَّ يعلم أن عمر أحوجُ الى ذلك منك. فقال له: قد وَفَّرك الله يا أميرَ المؤمنين وأنا والله راض. قال: أمّا وقد حلفتَ فإن ما وَفَّرتَه عليَّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثرُ في نفسي من المدح، فامضِ مُصاحَباً؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ: ما صَنع بك أميرُ

(١) النشر: جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض.

المؤمنين يا أبا حَزرةَ ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرّب الفقراء ويُباعِد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ؛ ثم وضع رِجلَه في غَرْزِ راحلتِه وأتى قومَه . فقالوا له : ما صنع بكَ أميرُ المؤمنين أبا حَزْرة ؟ فقال :

تركتُ لكم بالشام حَبلَ جماعةٍ أمِينَ القُوى مُستَحصِدَ[1] العَقْدِ باقيا
وجدتُ رُقَى الشيطانِ لا تستفِزُّه وقد كان شيطاني من الجِنّ راقيا

هذه رواية عمر بن شَبَّة . وأما اليزيديّ فإنه قال في خبره : فقال له جريرٌ يا أمير المؤمنين، فإني ابنُ سَبيل . قال : لك ما لأبناء السبيل ، زادُكَ ونفقةٌ تبلّغـكَ وتُبدَّل راحلتُك إن لم تحملك . فألحّ عليه؛ فقالت له بنو أميَّة : يا أبا حَزرَة، مَهلاً عن أمير المؤمنين، ونحن نُرضِيكَ من أموالنا عنه، فخـرج . وجمعت له بنو أميَّة مالًا عظيماً ؛ فما خرَج من عند خليفةٍ بأكثرَ مما خرج من عند عمر .

رؤيا أمه وهي حامل به :

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة قال :

رأتْ أمُّ جريرٍ وهي حاملٌ به كأنها ولدتْ حَبلًا من شَعَرٍ أسود، فلما سقط منها جعل يَنزُو فيقع في عُنُقِ هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ، فانتبهتْ فَزِعةً فأوّلتِ الرؤيا فقيل لها : تَلِدينَ غـلاماً شاعراً ذا شَرّ وشِدَّةٍ شَكيمة وبلاءٍ على الناس . فلما ولدتْه سمّته جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها . قال : والجرير : الحبل .

(١) المستحصد : المستحكم .

قال إنه أشعر الناس لانه فاخر بأبيه وهو دنيء :

قال إسحاق وقال الأصمعيّ حدّثني بِلال بن جرير – أو حُدِّثتُ عنه – :

أنّ رجلًا قال لجرير : من أشعرُ الناس ؟ قال له : قُمْ حتى أعرِّفكَ الجواب؛ فأخذ بيده وجاء به الى أبيه عطيّةَ وقد أخذ عَنزاً له فاعتقلها وجعل يَمَصُّ ضَرعَها، فصاح به : اخرجْ يا أَبتِ؛ فخرج شيخٌ دَميمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنز على لِحيته؛ فقال : أَلا تَرى هذا ؟ قال نعم . قال : أوَ تعرِفُه ؟ قال لا . قال : هذا أبي، أفتدري لِمَ كان يشرب من ضَرْعِ العَنز ؟ قلت لا . قال : مَخافةَ أن يُسمعَ صوتُ الحلب فيُطلبَ منه لبن . ثم قال : أشعرُ الناس مَنْ فاخر بمثل هذا الأبِ ثمانين شاعراً وقارَعهم به فغلَبهم جميعاً .

إخوته :

حدّثني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حدّثني عُمارة بن عُقَيل عن المُغيرة بن حَجناء عن أبيه قال :

وُلد جريرٌ لسبعةِ أشهر؛ فكان الفرزدقُ يعيّره ذلك، وفيه يقول :

وأنت ٱبنُ صُغرى لم تَتِمَّ شهورُها

قال وولَد عطيّةُ جريراً – وأمّه أمُّ قَيس بنتُ مُعَيد من بني كُلَيب – وعَمْرواً وأبا الوَرْد . فأمّا أبو الورد فكان يَحسُد جريراً ؛ فذهبتْ لجرير إبلٌ فشمِتَ به أبو الورد فقال له جريرٌ :

أبا الوَرْدِ أبقى اللهُ منها بَقيّةً كَفَتْ كلَّ لَوّامٍ خَذولٍ وحاسِدِ

وأما عمرٌو فكان أكبر من جرير، وكان يُقارِضُه الشعرَ . فقال له جريرٌ :

وعمرو قد كرهتُ عتابَ عمرٍو وقد كثُر المعاتِبُ والذنوبُ
وقد صدعتُ صخرةَ مَن رماكم وقد يُرمى بيَ الحجرُ الصَّليب
وقد قطع الحديدَ فلا تماروا فِرِنْدٌ لا يُفَلّ ولا يَذوب

قال: وأول شعر قاله جرير في زمن معاوية، قاله لابنه:

فرُدّي جِمالَ البَينِ ثم تَحمّلي فما لكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيا
لقد قادَني الجيرانُ يوماً وقُدْتُهم وفارقتُ حتى ما تَصبُّ جِماليا
وإنّي لمغرورٌ أُعلَّلُ بالمُنى ليالِيَ أرجو أن مالَكَ ماليا
بأيّ سِنانٍ تَطعَنُ القَرْمَ بعدما نَزَعتَ سِناناً من قَناتِك ماضيا
بأيّ نِجادٍ تحمِل السيفَ بعدما قطعتَ القُوى من مِحمَلٍ كان باقيا

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتَب أباه بهذه الأبيات ونَسَبها الى نفسه؛ لأن جريراً لم يكن شعرُه شُهر حينئذٍ. فقدِم جرير على يزيد في خلافته فاستُؤذِن له مع الشعراء، فأمر يزيدُ ألّا يدخلَ عليه شاعر إلّا من عَرَف شعرَه؛ فقال جرير: قولوا له: أنا القائل:

فرُدّي جِمالَ الحيّ ثم تحمّلي فما لكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيا

فأمر بإدخاله. فلمّا أنشده قال يَزيد: لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلّا أنّي قائلها، وأمر له بجائزة وكُسوة.

استعار من ابيه فحلاً يطرقه في ابله:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال قال أبو عُبيدة قال أبو عمرو:

استعار جرير من أبيه نحلًا يُطرِقه في إبِله، فلما استغنى عنه جاءه أبوه في بَتّ[1] خَلَقٍ يستردُّه؛ فدفَعه اليه وقال: يا أبتِ، هذا «تُرَدّ الى عطيّة تُعتَلُ».
يعرّض بقول الفرزدق فيه:

ليس الكرامُ بناحِليكَ أباهُم حتى تُرَدّ الى عَطيّة تُعتَلُ[2]

اتعاظه بجنازة مرت عليه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ وعمر بن شَبّة قالا حدّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا أبو عَمرو بن العَلاء قال:

جلس جرير يُملي على رجل قوله:

وَدِّع أُمامةَ حانَ منكَ رحيلُ إنّ الوَداعَ لمن تحبّ قليلُ

فمرّوا عليه بجنازة؛ فقطع الإنشادَ وجعل يَبكي، ثم قال: شيّبتْني هذه الجنازة. قال أبو عمرو: فقلت له: فعلامَ تَقذِفُ المُحصَنات منذ كذا وكذا! فقال: إنهم يَبدءونني ثم لا أعفو.

أخبرني عمي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثنا عبد الله بن المُعذَّل قال:

كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون: إنما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ، وأفضل شعرٍ قاله جرير:

---

(١) البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر.

(٢) نحل: أعطى. وتعتل: تساق قسراً.

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَواعِيسِ [١]

هجا بني الهجيم لانهم منعوه الإنشاد في مسجدهم :

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنا أبو الغرّاف قال :

أتى الفرزدقُ مجلسَ بني الهُجَيم [٢] في مسجدهم فأنشدهم؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغدِ ليُنشِدَهم كما أنشدهم الفرزدق . فقال له شيخ منهم : يا هـذا اتّقِ الله ! فإنّ هذا المسجد إنما بُني لذكرِ الله والصلاة . فقال جرير : أقررتُم للفرزدق ومنعتموني ! وخرج مُغضَباً وهو يقول :

إنّ الهُجَيمَ قبيلةٌ ملعونـةٌ حُصٌّ [٣] اللِّحى متشابهو الألوانِ
هم يتركون بَنيهمُ وبنـاتِهم صُعرَ الأنوفِ لريحِ كلِّ دُخانِ
لو يَسمعون بأُكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمانَ أصبحَ جَمعُهم بعُمانِ

قال : وخفّة اللِّحى في بني هُجَيم ظاهرة . وقيل لرجل منهم : مـا بالكم يا بني الهُجَيم حُصّ اللِّحى ؟ قال : إن الفحل واحد .

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعت عُمارةَ بن عُقَيل يحدّث عن أبيه عن جدّه قال :

قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير : مَن أشعر الناس ؟ قـال فقال : ابنُ

---

(١) الهدملة : موضع بعينه . والمواعيس : موضع .

(٢) بنو الهجيم : بطنان من العرب : أحدهما الهجيم بن عمرو بن تميم، والثاني الهجيم بن علي بن سود من الأزد .

(٣) حص : جمع أحص وأحص اللحية : قليل شعرها .

العِشرين[١] . قال : فما رأيك في ابنَي[٢] أبي سُلمى ؟ قال : كان شعرهما نَيّراً يا أميرَ المؤمنين . قال : فما تقول في أمرئ القيس ؟ قال : اتّخذ الخبيثُ الشعر نَعلين ، وأقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلاذِلَه[٣] . قال : فما تقول في ذي الرُّمَّة ؟ قال : قَدَر من ظريفِ الشعر وغريبه وحَسَنِه على ما لم يقدِر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابنِ النَّصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله يا أميرَ المومنين نَبعةٌ من الشعر قد قبَض عليها . قال : فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً ! قال : بلى والله يا أميرَ المؤمنين ! إنّي لَمدينة الشعر التي منها يخرج واليها يعود ، نسبتُ فأطربتُ ، وهجوتُ فأرديتُ ، ومدحتُ فسنّيتُ[٤] ، وأرملتُ فأغزرت ، ورجَزتُ فأبجرت ؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلّها ، وكلٌّ واحد منهم قال نوعاً منها . قال : صدقتَ .

طلبت جارية له ان يبيعها فعيره الفرزدق ذلك :

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال :

كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَباً ، فاستخفّتِ المَطعَم والمَلبس والغِشيانَ واستقلّتْ ما عنده ، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد ، أهلُ خصب ونَعمة ، فسامتْه أن يبيعها وألحّت في ذلك ؛ فقال فيها :

---

(١) يعني به طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك أحد شعراء المعلقات ، قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين .

(٢) يعني زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير .

(٣) ذلاذل القميص : ما يلي الارض من أسافله . ولعله يريد أنه كان يلزمه ويخدمه .

(٤) سنى الشيء : سهله وفتحه . وأسنى : رفع وأعلى .

تكلّفني معيشةَ آلِ زيدٍ ... ومَن لي بالمُرقَّقِ والصِّنابِ [١]
تقول ألا تضُمّ كضَمِّ زيدٍ ... وما ضَمّي وليس معي شبابي

فقال الفرزدق يعيّره ذلك :

فإن تُفقِرْكَ عِلجةُ آلِ زيدٍ ... ويُعجِزْكَ المرقَّقُ والصِّنابُ
فقِدْماً كان عيشُ أبيك مُرّاً ... يَعيشُ بما تعيش به الكلابُ

قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبد الله :

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا العباس بن مَيمون قال حدّثنا التَّوَّزِيّ عن أبي عُبيدة عن أيّوب بن كُسَيب قال :

دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرُّمّة يُنشِده . فقال المهاجِر بن عبد الله لجرير : كيف تَرى ؟ قال : لقد قال وما أنعم : فغضب ذو الرُّمّة ونهض وهو يقول :

أنا أبو الحارث وأسمي غَيلان

فنَهض جرير وقال :

إنّي امرؤٌ خُلِقتُ شَكساً أَشوَسا ... إن تَضرِساني تَضرِسا مُضرَّساَ [٢]
قد لبِس الدهرَ وأبلى مَلبَسا ... من شاء من نارِ الجحيم اقتبسا

قال : فجلس ذو الرُّمّة وحاد عنه فلم يُجبه .

---

(١) المرقق : الارغفة الواسعة الرقيقة . والصناب : أدم يتخذ من الخردل والزبيب .

(٢) الشكس : الصعب الخلق . والاشوس : الذي ينظر بمؤخر عينه تكبراً او تغيظاً والجريء على القتال الشديد . وضرسه : عضه وعجمه ليختبره .

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا ابن النطاح عن أبي عبيدة قال:

كان ذو الرمة ممن أعان على جرير ولم يصحر[١] له؛ فقال جرير فيه:

أقول نصاحة لبني عدي ثيابكم ونضح دم القتيل

وهي قصيدة. قال: وكانوا يتعاونون عليه ولا يصحرون له.

حديثه مع ذي الرمة وهشام المرئي:

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال:

قال الفرزدق لذي الرمة: ألهاك البكاء في الديار وهذا العبد يرجز بك (يعني هشاماً المرئي) بمقبرة بني حصن. قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقرية لبني امرئ القيس يقال لها: مرأة[٢]، فلم يقروه ولم يعلفوه له، فارتحل وهو يقول:

نزلنا وقد طال[٣] النهار وأوقدت علينا حصى المعزاء[٤] شمس تنالها
أنخنا فظللنا بأبراد يمنة[٥] رقاق وأسياف قديم صقالها

---

(١) لم يصحر له: لم يبرز له، من قولهم: أصحر الرجل اذا برز الى الصحراء.

(٢) مرأة: قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم.

(٣) رواية الديوان: «غار». وغار النهار: انتصف.

(٤) المعزاء: الارض الصلبة ذات الحصى.

(٥) الأبراد: جمع برد وهو الثوب. واليمنة: ضرب من برود اليمن.

فلمّا رآنا أهـلُ مَرأةَ أغلقوا مَخادِعَ[1] لم تُرفَع لخيرٍ ظِلالُها
وقد سُمّيتْ باسم امرئ القيس قريةٌ كِرامٌ صَوادِيها[2] لئامٌ رجالُها
يَظَلُّ الكِرامُ المُرمِلونَ[3] بجوّها سواءٌ عليهم حَملُها وحِيالُها
ولو وُضِعتْ أكوارُها عند بَيهَسٍ على ذاتِ غِسلٍ لم تُشمَّسْ رِحالُها[4]

فقال جرير لهشام، وكان يتّهم ذا الرُّمّة بهجائه التَّيمَ وهم إخوة عَديٍّ: عليك العبدَ (يعني ذا الرمّة). قال: فما أصنع يا أبا حَزْرة وهو يقول القَصيدَ وأنا أقول الرَّجزَ، والرجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رَفَدتَني! قال: قل له:

عَجِبتَ لِرَحلٍ من عَديٍّ مُشمَّسٍ وفي أيِّ يومٍ لم تُشمَّسْ رحالُها
وفيمَ عَديٌّ عند تَيمٍ من العُلا وأيامُنا اللاّتي يُعَدُّ فَعالُها
مددتَ بكفٍّ من عديٍّ قصيرةٍ لِتُدرِكَ من زيد يداً لا تنالُها
وضَبَّةُ عمّي يابنَ جِلٍّ فلا تَرُمْ مساعيَ قومٍ ليس منك سِجالُها
يُماشي عَديّاً لؤمُها ما تُجِنُّه من الناس ما ماشتْ عَديّاً ظِلالُها
فقل لعَديٍّ تَستعِنْ بنسائها عليَّ فقد أعيا عَديّاً رجالُها
أذا الرُّمِّ قد قَلّدتَ قومَك رُمّةً بطيئاً بأيدي المُطلِقين انحلالُها
تَرى اللؤمَ ما عاشتْ عديٌّ مُخلَّداً سَرابيلُها منه ومنه نِعالُها

قال: فلَجَّ الهجاءُ بين ذي الرمّة وهشام. فلما أنشد المَرَئيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرمّة قال: كذبَ العبدُ السَّوء! ليس هذا الكلام له، هذا كلامُ نَجديٍّ

(١) المخادع: البيوت.

(٢) الصوادي: النخل التي لا تسقى وانما تشرب بعروقها.

(٣) أرمل القوم: فني زادهم.

(٤) لم تشمس رحالها: لم تعرّض للشمس.

حنظلي، هذا كلام ابنِ[١] الأتان. قال: ولم يزل ذو الرمّة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فوفّده هذه الأبيات.

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدنان قال حدّثني أبو صخر من ولد حجناء بنِ نوح بن جرير قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال:

أتى هشامُ بن قيس المرئيّ أبي (يعني جريراً) فاسترفده على ذي الرمّة، وقد كانا تهاجيا دهراً، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية لبني امرئ القيس فلم يُدخِلوا رحله، فذمّهم في القرى، ومدح بَيْهَساً صاحبَ ذات غِسل — وهو مرئيّ. وذات غِسل: قرية له — فقال ذو الرُّمّة:

ولمّا وردْنا مَرأةَ اللُّؤمِ أغلقتْ   دساكرُ لم تُفتح لخيرٍ ظِلالُها
ولو عُرّيتْ أصلابُها[٢] عند بَيهَسٍ   على ذاتِ غِسلٍ لم تُشمَّس رِحالُها
إذا ما امرؤُ القيسِ ابنُ لؤمٍ تطعّمتْ   بكأسِ الندامى خَبّثتها سِبالُها

فقال جرير للمرئيّ: قل له:

غَضِبتَ لرَحلٍ من عديٍّ مُشمَّسٍ   وفي أيِّ يومٍ لم تُشمَّس رحالُها

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خليفة. قال: فلقي ذو الرُّمّة جريراً فقال له: تعصّبتَ للمرئيّ وأنا خالُك! قال: حين قلتُ ماذا؟ قال: حين قلتَ له أن يقول لي:

عجبتَ لرَحْلٍ من عديٍّ مشمَّسٍ

---

(١) ابن الاتان: لقب كان ينبز به جرير.

(٢) الأصلاب: جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل الى العجب.

فقال له جرير : لا ! بل ألهاك البكاء في دار مَيَّــة حتى أُبيحت مَحارِمُك . قال : وكان قد بلغ جريراً ميلُ ذي الرُّمّة عليه، فجعل يعتذر اليه ويحلِف له . فقــال له جرير : اذهب الآن فقل للمَرَئي :

يَعُدّ الناسبون الى تَميم بيوتَ المجدِ أربعةً كِبارا
يَعُدّون الرِّباب وآلَ سَعدٍ وعَمرواً ثم حَنظلةَ الخيارا
ويَهلِكُ بينها المَرَئيُّ لَغواً كما ألغيتَ في الدِّيةِ الحِوارا[١]

فقال ذو الرمّة قصيدته التي أوّلها :

نَبَتْ عيناك عن طَلَلٍ بحُزوى[٢] عَفَته الرِّيحُ وامتُنِحَ القِطارا

وألحقَ فيها هذه الأبياتَ . فلما أنشدها وسمعها المَرَئيّ جعــل يلطِم رأسه ووجهه ويدعو بوَيلِه وحَرَبه ويقول : مالي ولجرير ! فقيل له : وأين جريرٌ منــك ! هذا رجل يُهاجيك وتُهاجيه ! فقال : هيهات ! لا واللهِ ما يُحسِن ذو الرمّة أن يقول :

ويذهَب بينها المَرَئيّ لَغواً كما ألغيتَ في الدِّيةِ الحِوارا

هذا والله كلام جرير ما تعدّاه قطّ . قال : ومرّ الفرزدق بذي الرمّــة وهو يُنشد هذه القصيدة ؛ فلما أنشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق : أعِــدْ يا غَيلان، فأعاد؛ فقال له : أأنت تقول هذا ؟ قال : نعم يا أبا فِراس . قال : كذَب فُوكَ ! والله لقد تَحلّكها أشدُّ لَحيَينِ منك، هذا شعر ابن الأتان . قال : وجاء المَرَئيّون الى جرير فقالوا : يا أبا حَزرة، قد أستعلى علينا ذو الرمّة، فأعِنّا على عادتِك الجميلة . فقال : هيهات ! قد والله ظلمتُ خالي لكم مرّةً وجاءني فأعتــذر وحلَف ، وما كنتُ لأُعينكم عليه بعدها . قال : ومات ذو الرُّمّة في تلك الأيام .

---

(١) الحوار : ولد الناقة .

(٢) حزوى : موضع في ديار تميم .

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُراني قال حدّثني العُمَري عن لَقيط قال حدّثني أبو بكر بن نَوفل قال حدّثني من سأل النُّصَيبَ قال: قلت لـه: يا أبا مِحجَن، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأُحِبّ أن تخبرني أيُّكم فيه أشعرُ؟ قال: وما هو؟ قلتُ قولُك:

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها أَكُبَّ عليها جازِرٌ مُتَعَرِّقُ (١)

وقال جميل:

أَضرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها بقايا سُلالٍ (٢) لم يَدَعها سُلالُها

وقال جرير:

إذا بلغوا المنـازلَ لم تُقيَّدْ وفي طُول الـكَلالِ لها قيودُ

فقال نُصَيب: قاتل الله ابنَ الخطَفى! ما أشعرَه! قال: فقال له الرجل: أمّا أنتَ فقد فضلتَه؛ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قـال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الرحمن بن القاسم العِجلي قال حدّثني الحسن بن علي المِنقَري قال قال مسعود ابن بِشر:

قلت لابن مُناذِر بمكة: مَن أشعرُ الناس؟ قال: من اذا شئتَ لَعِب، واذا شئتَ جَدّ؛ فاذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه، واذا رُمْتَه بَعُد عليك؛ واذا جدّ فيا قصد له أيأسك من نفسه. قلتُ: مثلُ مَن؟ قال: مثل جرير حين يقول اذا لَعِب:

---

(١) المتعرّق: إزالة ما على العظم من اللحم.

(٢) السلال: مرض السل.

إنّ الذين غَدَوْا بِلُبِّكَ غادروا وَشَلاً بعينك ما يزال مَعينا

ثم قال حين جَدّ :

إنّ الذي حَرَمَ المكارِمَ تَغلِباً جعل الخلافةَ والنبوّةَ فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لكم يا آلَ تَغلِبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمّي في دمشقَ خليفةٌ لو شئتُ ساقكُم اليَّ قَطِينا (١)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال :

لمّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير :

هذا ابن عمّي في دمشقَ خليفةٌ لو شئتُ ساقكُم اليّ قَطينا

قال : ما زاد ابنُ المراغة على أن جعلني شُرطِيّاً ! أما إنّه لو قال :

لو شاء ساقكم اليّ قطينا

لسقتُهم اليه كما قال .

فضله بشار على الاخطل وعلى الفرزدق :

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال :

سألت بشّاراً العُقَيليّ عن الثلاثة فقال : لم يكن الأخطلُ مثلَهما ولكنّ رَبيعةَ تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . قلت : فجريرٌ والفرزدقُ ؟ قال : كان جريرٌ يُحسِن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق ، وفضّل جريراً عليه .

---

(١) القطين : الخدم والحشم .

موازنة بينه وبين الاخطل والفرزدق :

وقال ابن سَلّام : قال العَلاء بن جَرير – وكان قد أدرك الناسَ وسمع – : كان يقال : الأخطلُ اذا لم يجئ سابقاً فهو سُكَّيت، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلِّي أبداً، وجرير يجيء سابقاً ومصلّياً وسُكّيتاً. قال ابن سَلّام : وتأويل قوله : إن للأخطل خمساً أو ستاً او سبعاً طِوالًا روائعَ غُرَراً جِياداً هو بهنّ سابق، وسائرُ شعره دون أشعارهما، فهو فيا بقي بمنزلة السُّكَّيت – والسكَّيت : آخر الخيل في الرِّهان – والفرزدق دونَه في هذه الروائع وفوقَه في بقيَّة شعره، فهو كالمصلِّي أبداً – وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكَّيت – وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق، وأوساطٌ هو بهنّ مصلّ، وسَفسافات(١) هو بهنّ سُكَّيت.

مناقضة بينه وبين الفرزدق :

أخبرنا أبو خَليفة قال حدثني محمد بن سَلّام قال حدثني حاجب بن زيد بن شَيبان بن عَلقمة بن زُرارة قال :

قال جرير بالكوفة :

لقد قادَني من حُبِّ ماويَّةَ الهوى ... وما كنتُ تَلقاني الجَنيبةُ أقودَا(٢)
أُحِبُّ ثَرى نَجدٍ وبالغَورِ حاجةٌ ... فغارَ الهوى يا عبدَ قَيسٍ وأنجدا
أقول له يا عبدَ قَيسٍ صَبابةً ... بأيِّ تَرى مستوقِد النارِ أوقدا
فقال أرى ناراً يُشَبُّ وُقودها ... بحيثُ أستفاضَ الجزع شيحاً وغَرقَدا(٣)

---

(١) سفساف الشعر : رديئه .

(٢) الجنيبة : التي تجنب معه . والأقود : المنقاد المطيع .

(٣) الغرقد : كبار العوسج .

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها . قال : فحدّثني جابر بن جندل قال : فقال لنا جريرٌ : أعجبتكم هذه الأبياتُ ؟ قالوا : نعم . قال : كأنكم بابْنِ القَينِ[1] وقد قال :

أعِدْ نظراً يا عبدَ قيسٍ لعلّما أضاءت لك النارُ الحمارَ المقيَّدا

قال : فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده :

حمارٌ بمرُّوتِ السُّحامَةِ قاربتْ وَظيفيه حولَ البيتِ حتى تَردّدا[2]
كُلَيبيَّة لم يجعل اللهُ وجهها كريماً ولم يَسنَح بها الطيرُ أسعُدا

قال : فتناشدها الناسُ . فقال الفرزدق : كأنكم بابْنِ المراغةِ قد قال :

وما عِبتَ من نارٍ أضاء وَقودُها فِراساً وبِسطامَ بنَ قيسٍ مقيَّدا[3]

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه :

وأوقدتَ بالسِّيدانِ[4] ناراً ذليلةً وأشهدتَ من سوءاتِ جِعثِنَ مَشهدا

جرير والاخطل في حضرة عبد الملك بن مروان :

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم عن عمارة بن عُقيل عن أبيه قال :

---

(١) ابن القين : لقب كان ينبز به الفرزدق .

(٢) المروت : لبني حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد . والسحامة : ماءة لبني كليب باليمامة . والقينان : الوظيفان او موضع القيد منها .

(٣) يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود (عن النقائض) .

(٤) السيدان : موضع . وجعثن : أخت الفرزدق .

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده ، وقد كانا تهاجيا ولم يرَ أحدٌ منهما صاحبَه، فلما استأذنوا عليه لجرير أذِن له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمَح طَرْفُ جريرٍ الى الأخطل وقد رآه ينظر اليه نظراً شديداً فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومَك وتهضَّمتُ قومَك. فقال له جرير : ذلك أشقى لك كائناً من كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ! فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة . فردّ عليه بصره ثم قال : فلا حَيَّاك الله يابنَ النصرانية ! أما منعُك نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك . وأما تهضُّمك قومي فكيف تهضَّمهم وأنت ممن ضُربتْ عليه الذلّة وباء بغضبٍ من الله وأدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغر . وكيف تتهضّم لا أمّ لكَ قوماً فيهم النبوّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم . ثم أقبل على عبد الملك فقال : أئذنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ابنِ النّصرانية؛ فقال : لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي .

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلّام قال حدثني أبو يحيي الضَّبّيّ قال: نازَع جريرٌ بني حِمّانَ[١] في رَكِيَّةٍ لهم ؛ فصاروا الى إبراهيم بن عَدِيّ باليَمامة يتحاكمون اليه؛ فقال جرير :

أعوذ بالأمير غيرِ الجبَّارْ من ظُلمِ حِمّانَ وتحويلِ الدارْ
ما كان قبلَ حفرِنا من محِفارْ وضربيَ المِنقارَ[٢] بعدَ المِنقار
في جبلٍ أصمّ غيرِ خوّارْ يَصيحُ بالجُبّ[٣] صِياحَ الصرّار[٤]

(١) بنو حمان : حي من تميم .

(٢) المنقار : حديدة يحفر بها .

(٣) الجب : البئر .

(٤) الصرّار : ضرب من الخنافس يصوت في الصحارى من اول الليل الى الصبح .

له صَهيـلٌ كصَهيلِ الأمهارْ فاسألْ بني صَخبٍ[1] ورَهطَ الجرَّارْ
والسَّلِمِيِّينَ[2] العِظـامَ الأخطارْ والجارُ قد يُخبِرُ عن دارِ الجارْ

فقال الحِمّانيّ :

ما لِكُلَيبٍ من حِمًى ولا دارْ غيرُ مُقامِ أُتُنٍ وأعيارْ[3]
قُعْسِ الظهورِ داميـاتِ الأثفارْ[4]

قال فقال جرير : فمن مُقامِهن، جُعِلتُ فِداكَ، أجادِل . فقال ابن عديّ للحِمّانيّ : قد أقررتَ لخصمك؛ وحكم بها لجرير .

نزل ببني مازن وبني هلال فمدحهم بعد ان هجاهم :

قال ابن سَلّام وأخبرني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال :

بينا جريرٌ يسير على راحلته إذ هجمَ على أبياتٍ من مازنٍ وهلال – وهما بطنان من ضَبَّة – فخافهم، لسوء أثَرِه في ضَبَّة، فقال :

فلا خوفٌ عليكَ ولن تُراعي بعَقوةِ[5] مازنٍ وبني هِـلالِ
هما الحَيّانِ إن فَزِعا يَطيرا الى جُرْدٍ كأمثالِ السَّعالي[6]

---

(١) بنو صحب : قبيلة من باهلة .

(٢) السلميون : أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٣) الأتن : جمع أتان، وهي الحمارة . والأعيار : جمع عير، وهو الحمار .

(٤) القعس : جمع أقعس وقعساء . والقعس : خروج الصدر ودخول الظهر خلقة .

(٥) العقوة : ساحة الدار .

(٦) السعالي : جمع سعلاة، وهي الغول .

أمازِنُ يابنَ كعبٍ إنّ قلبي لكم طولَ الحياة لَغيرُ قالي
غَطاريفٌ يَبيتُ الجارُ فيهم قريرَ العينِ في أهلٍ ومالِ

قال : أجل يا أبا حَزْرة فلا خوف عليك .

جرير والفرزدق في مسجد دمشق :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال قال شُعَيب ابن صخر حدثني هارون بن إبراهيم قال :

رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قَدِماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ[1] واحد على جرير : قيس وموالي بني أمية يسلّمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة في مَسيرك، وكيف أهلُك وأسبابُك . وما يُطِيف بالفرزدق إلّا نفرٌ من خِندِف جلوسٌ معه . قال شُعيبٌ : فقلت لهارون : ولم ذلك ؟ قال : لمدحه قَيساً وقوله في العجم :

فيجمعُنا والغُرَّ أولادَ سارَةٍ أبٌ لا نُبالي بعده من تعذّرا

قال شُعيب : بلغني أنه أُهديتْ له يومئذٍ مائةُ حُلّة، أهداها اليه الموالي سوى غيرهم . وأخبرني بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن شُعيب بن صَخر، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتمّ من حكاية ابن سَلّام . وقال أبو خليفة في خبره : سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول : وافته في يومه ذلك مائةُ حُلّة من بني الاحرار[2] .

(١) العنق : الجماعة الكثيرة .

(٢) بنو الاحرار : أبناء الموالي من الفرس .

رأى الاحوص في قباء فعرّض به لئلا يعين عليه :

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني أحمد بن الَهيثم الفِراسيّ قال :

بينا جريرٌ بقُباء إذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنشِد قولَه :

لولا الحياءُ لعادني أستعبارُ ولزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

فلما نظر الى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول :

عَوى[1] الشعراءُ بعضُهمُ لبعض عليّ فقد أصابهمُ أنتقامُ
إذا أرسلتُ قافيةً شَروداً رأوْا أخرى تحرّق فأستداموا[2]
فمُصطلَمٌ[3] المسامِع أو خَصيٌّ وآخرُ عظمُ هامتِه حُطام

ثم عاد من حيث قطَع . فلما فرَغ قيل له : ولم قلتَ هذا ؟ قال : قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعين عليّ الفرزدقَ، فأنا والله يا بني عمرو بن عَوف ما تعوّدتُ من شاعر قطُّ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه .

اوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به :

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكّريّ قال قال عمارة بن عُقَيل حدثني أبي عن أبيه :

(١) عواؤهم : المراد به تناصرهم وتعاونهم، كما يعوي الذئب لاصحابه لتجتمع حوله .

(٢) استداموا : انتظروا .

(٣) الاصطلام : القطع .

ان الحجّاج أوفد ابنَه محمدَ بن الحجّاج الى عبد الملك وأوفد اليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه . فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذنْ له، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبيريّةً . فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذَن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول : إنه لم يكن ممن والى ابنَ الزبير ولا نصَره بيده ولا لسانه، وقال له محمد : يا أميرَ المؤمنين، إنّ العرب تتحدث أنّ عبدَك وسيفَك الحجاج شفَع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلَته ثم ردَدْتَه ؛ فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له : وما عساكَ أن تقول فينا بعد قولك في الحجّاج ! ألستَ القائلَ :

من سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاق عليكُم ... أم من يَصول كصولةِ الحجاجِ

إن الله ينصرني بالحجّاج وانما نصر دينه وخليفته . أولست القائل :

أم مَن يَغارُ على النساء حَفيظةً ... إذ لا يَثِقنَ بغَيرةِ الأزواجِ

يا عاضّ كذا وكذا من أمه ! والله لَهَممتُ أن أطير بك طَيرةً بطيئاً سقوطُها، أُخرُجْ عني، فأُخرِج بشرٍّ . فلما كان بعد ثلاثٍ شفَع اليه محمدٌ لجرير وقال له : يا أميرَ المؤمنين، إني أدّيت رسالةَ عبدِك الحجّاج وشفاعتَه في جرير، فلما أذِنتَ له خاطبتَه بما أطار لُبّه منه وأشمتَ به عدوَّه، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع . فإن رأيتَ أن تَهَب كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج وَلِي فافعل، فأذِن له . فاستأذنه في الإنشاد؛ فقال : لا تُنشِدني إلّا في الحجّاج، فإنما أنت للحجّاج خاصّةً . فسأله أن يُنشِده مديحه فيه، فأبى وأقسم ألّا يُنشِده إلّا من قوله في الحجّاج ؛ فأنشده وخرج بغير جائزة . فلما أزِف الرّحيلُ قال جرير لمحمد : إن رَحلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسمع مني ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر، ولست بارحاً بابه أو يأذنَ لي في الإنشاد . وأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال جرير : إرْحل أنت وأقيم أنا . فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير وأستأذنه له وسأله

أن يسمع منه وقبّل يده ورجله ، فأذِن له . فدخل فاستأذنه في الإنشاد ، فأمسك عبد الملك . فقال له محمد : أنشِد وَيحك ! فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها :

ألستُم خيرَ من ركب المطايا   وأندى العالَمين بطون راحِ

فتبسَّم عبد الملك وقال : كذلك نحن وما زِلنا كذلك . ثم أعتمد على أبن الزُّبير فقال :

دعوتَ المُلحدِينَ أبا خُبَيبٍ[1]   جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِماحِ
وقد وجدوا الخليفةَ هِبرِزِيّاً[2]   ألَفَّ[3] العِيصِ ليس من النَّواحي
وما شجراتُ عِيصِكَ في قريشٍ   بعَشّاتِ[4] الفُروع ولا ضَواحي

قال : ثم أنشده إيّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال :

تَعزَّتْ أمُّ حَزرةَ ثم قالت   رأيتُ المُورِدين ذوي لِقاحِ
تُعلِّل وهي ساغبةٌ بَنيهـا   بأنفاسٍ[5] من الشَّبِم القَراحِ

فقال عبد الملك : هل تُرويها مائة لِقْحة ؟ فقال : إن لم يُروِها ذلك فلا أرواهـا الله ! فهل اليها — جعلني الله فِداكَ يا أمير المؤمنين — من سبيل ؟ فأمر له بمائـة لِقْحة وثمانيةِ من الرِّعاء . وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب؛ فقال لـه جرير :

---

(١) أبو خبيب : هو عبد الله بن الزبير، وخبيب ابنه .

(٢) الهبرزيّ : الخالص .

(٣) الألف : الملتف . والعيص : الأصل .

(٤) العشة : الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحي : البادية .

(٥) الأنفاس : جمع نفس وهو جرعة الماء . والشبم : البارد . والقراح : الخالص .

يا أميرَ المؤمنين ، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون محلباً ؟ فضحك وندَس[١] اليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال : خذها لا نفعتك ! فأخذها وقال : بلى والله يا أمير المؤمنين لينفعني كلُّ ما منحتنيه ، وخرج من عنده . قال : وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبد الملك :

أعطَوْا هُنيدةَ[٢] يحدُوها ثمانيــةٌ ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا دَماذُ أبو غسّانَ عن أبي عُبيدة قال :

بذل محمد بن عُمير بن عُطارد بن حاجب بن زُرارةَ أربعــةَ آلافِ درهم وفرساً لمن فضّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير ، فلم يُقدِم عليه أحــد منهم إلا سُراقة البارقيّ فانه قال يفضل الفرزدق :

أبلغ تميماً غثَّها وسمينَها والحكم يَقصِد مرّةً ويجورُ
أنّ الفرزدقَ برّزَتْ أعراقُه سَبقاً وخُلّف في الغُبار جريرُ
ذهب الفرزدقُ بالفضائل والعُلا وابنُ المراغة مُخلّفٌ محسور
هــذا قضاء البارقيّ وإنني بالميــل في ميزانهم لبَصير

قال أبو عُبيدة فحدثني أيوب بن كُسَيب قال حدثني أبي قال : كنتُ مع جرير ، فأتاه رسول بِشر بن مروان فدفع اليه كتابَه ، وقال له : إنه قد أمرني أن أوصله اليك ولا أبرحَ حتى تُجيب عن الشعر في يومك إن لقيتُــك نهاراً أو ليلتك إن لقيتُك ليلاً ، وأخرج اليه كتابَ بِشر وقد نسخ لــه القصيدة وأمره بأن يُجيب

(١) الندس : الطعن الخفيف .

(٢) هنيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

عنها . فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه؛ فهتف به صاحبه من الجنّ من زاوية البيت فقال له : أزعمتَ أنك تقول الشعر ! ما هو إلّا أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحسِن أن تقول شيئاً ! فهلّا قلتَ :

يا بِشْرُ حقّ لوجهك التبشيرُ　　هَلّا قضيتَ لنا وأنت أميرُ

فقال له جرير : حَسبُك كُفِيتُكَ . قال : وسمع قائلاً يقول لآخر : قد أنار الصبحُ؛ فقال جرير :

يا صاحبيّ هل الصباحُ مُنيرُ　　أم هل للومِ عواذلي تَفتيرُ[1]

الى أن فرَغ منها . وفيها يقول :

قد كان حقُّكَ أن تقول لبارقٍ　　يا آل بارقَ فِيمَ سُبَّ جريرُ
يُعطى النساء مهورَهن كرامةً　　ونساء بارقَ ما لهنّ مهورُ

فأخذها الرسول ومضى بها الى بِشر، فقُرِئتْ بالعراق وأُفحِم سُراقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضتِه .

مناقضته عمر بن لجأ :

أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سَلّام قال حدثني أبو يحيي الضَّبّيّ قال :

كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمرَ بنِ لَجأ أن عمر كان يُنشِد أرجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها :

(١) الفتور والتفتير : السكون بعد الحدة واللين بعد الشدّة .

قد وردتْ قبل إنَا ضَحائِها ... تُفرّسُ الحيّاتِ في خِرشائِها[1]

جرّ العجوزِ الثِّنيَ من ردائها

فقال له جرير : أخفقتَ . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول :

جرّ العروسِ الثِّنيَ من ردائها

فقال له التيميّ أنت أسوأ قولاً مني حيث تقول :

وأوثقُ عند المردَفاتِ عشيّةً ... لَحاقاً اذا ما جرّد السيفَ لامعُ

فجعلتهنّ مُردفاتٍ غُدوةً ثم تداركتهنّ عشيّةً . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول :

وأوثقُ عند المرهَفاتِ عشيّةً

فقال جرير : والله لهـذا البيتُ أحبُّ إليّ من بِكري حَزرَةَ ، ولكنك مُجلِبٌ[2] للفرزدق . وقال فيه جرير :

هَلّا سِوانا اَدْرَأتم يا بَني لَجاٍ ... شيئاً يُقارَبُ أو وَحشاً لها غِرَرُ[3]
أحِينَ كنتُ سِماماً يا بَني لَجاٍ ... وخاطرتْ بيَ عن أحسابها مُضَرُ !
خلِّ الطريقَ لمن يَبني المنارَ به ... وابرُزْ ببَرْزَةَ[4] حيث اضطرّك القدرُ
أنت ابنُ بَرزةَ منسوباً الى لجاٍ ... عند العُصارةِ والعيدانُ تُعتصَرُ

---

(١) الإنا : الوقت . والضحاء : الضحى . وتفرس : تقتل . والخرشاء : جلد الحية .

(٢) المجلب : المعين .

(٣) ادرأتم : ختلتم . وغرر : غفلات .

(٤) برزة : أم عمر بن لجأ .

ويروى :

أَلستَ نَزوةَ خَوَّارٍ على أَمةٍ عند العُصارةِ والعِيدانُ تُعتصَرُ

فقال ابن لجأ يردّ عليه :

لقد كذَبتَ وشرُّ القولِ أكذَبُه ما خاطرتْ بكَ عن أحسابها مُضَرُ
بل أنت نَزوةُ خَوّارٍ على أَمـةٍ لا يَسبِقُ الحَلَباتِ اللؤمُ والخَوَرُ
ما قلتَ مِن هـذه إلا سأنقُضُها يابنَ الأتانِ بمثلي تُنقضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لجأ :

عجبتُ لما لاقتْ رياحٌ[١] من الأذى وما اقتبسوا منّي وللشرِّ قابسُ
غِضاباً لكلبٍ من كُلَيبٍ فَرَسْتُه هَوى ولشدّاتِ الأُسودِ فَرائسُ
إذا ما ابنُ يَربُوعٍ أتاكَ لمأكلٍ على مجلسٍ إن الأكيلَ مُجالسُ
فقل لابنِ يَربوعٍ ألستَ براحضٍ سِبالَكَ عنّا إنهنّ نَجائسُ
تُمَسِّحُ يَربوعٌ سِبالاً لئيمـةً بها من مَنِيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابسُ

قال : ثم اجتمع جرير وابن لجإ بالمدينة وقد وردها الوليدُ بن عبد الملك، وكان يتألّه[٢] في نفسه، فقال أتقذِفان المُحصَناتِ وتُغضِبانهن! ثم أمر أبا بكر محمد بن حَزْم الأنصاريّ – وكان والياً له بالمدينة – بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلُس[٣] مقرونَيْن، والتَيميُّ يومئذٍ أشبُّ من جرير، فجعل يَشول[٤] بجريرٍ وجرير يقول وهو المشولُ به :

(١) رياح هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير .

(٢) التأله : التنسك والتعبد .

(٣) البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .

(٤) يشول به : يرتفع به .

فلستُ مُفارِقاً قَرَني حتى يَطولَ تصعُّدي بكَ وانحداري

فقال ابن لَجَأ :

ولمّا أن قُرِنتُ الى جريرٍ أبى ذو بَطنِه[1] إلا انحدارا

فقال له قُدامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحيّ : وبئسما قلتَ ! جعلت نفسَك المقرونَ اليه ! قال : فكيف أقول ؟ قال تقول :

ولمّا لُزَّ في قَرَني جريرٌ

فقال : جُزيتَ خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا .

الاخطل في حضرة عبد الملك بن مروان :

حدثني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال حدثنا العَنَزيّ قال حدثني محمد بن عبد الله العَبديّ قال حدثني عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال :

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَلقَ أحدُهما صاحبَه . فلما استأذنوا لجرير أذِن له فسلّم وجلس، وقد عرَفه الأخطلُ، فطمَح بصرُ جرير اليه فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومَك وهضَمتُ قومك . فقال له جريرٌ : ذاك أشقى لك كائناً مَن كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرَةَ . فردّ بصرَه اليه وقال : فلا حيّاك الله يابنَ النصرانية ! أمّا منعُك نومي فلو نِمتُ عنك لكان خيراً لك . وأما تهضُّمك قومي فكيف

---

(١) ذو البطن : الرجيع .

تَهضَمُهم وأنت ممن ضُربتْ عليهم الذِلَّــة والَمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله ! إيذَن لي يا أميرَ المؤمنين في ابن النصرانية . فقال : لا يكون ذلك بين يديّ . فوثَب جريرٌ مُغضَباً . فقال عبد الملك : قم يا أخطل واتبع صاحبَك ؛ فإنما قام غضباً علينا فيك؛ فنَهض الأخطلُ . فقال عبد الملــك لخادم له : انظر ما يَصنَعان إذا برَز له الأخطل . فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم اليه حِصاناً له أدهم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزُّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفَــه، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير . فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبره؛ فضحك وقــال : قاتل الله جريراً ! ما أخلَه ! أمَا والله لو كان النصرانيّ برَز اليه لأكله .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال :

سُئل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ ؟ فقال : أمّا الفرزدق فيتكلّف منّي مــا لا يطيقه؛ وأمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراء وأرمانا للغرض؛ وأما أنا فمدينةُ الشعر . وقد حدثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشيّ، وقال في خبره : وأما الاخطل فأنعتُنا للخمر وأمدَحُنا للملوك .

فضله ابو مهدي على جميع الشعراء :

أخبرنا عمي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمَريّ عن عَطاء بن مُصعَب قال :

قلت لأبي مَهديّ الباهِليّ وكان من علماء العرب : أيّمــا أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدقُ ؟ فغضب ثم قال : جريرٌ أشعرُ العربِ كلّها ؛ ثم قال : لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكمَ بينهم .

هجا بنو طهية في قصيدة الراعي :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن مَيمون قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول :

قال جرير : هجوتُ بني طُهيَّــة أنواعَ الهجاء، فلم يَحفِلوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي :

كأنّ بني طُهَيَّةَ رهطَ سَلمى   حجارةُ خارئٍ يَرمي كلاَبا

فجزِعوا حينئذٍ ولاذُوا بي .

كان عاقاً لابيه وابنه عاق له :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا المدائنيّ قال :

كان جرير من أعقِّ الناسِ بأبيه، وكان بلالُ ابنُه أعقّ الناسِ به . فراجع جريرٌ بلالًا الكلامَ يوماً؛ فقال له بلال : الكاذب منّي ومنكَ ناكَ أمَّه . فأقبلتْ أمّه عليه وقالت له : يا عدوّ الله ! أتقول هذا لأبيك ! فقال جرير : دَعِيه ، فوالله لكأنه سمِعها منّي وأنا أقولها لأبي .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدثنا أحمــد بن الهيثم قال حدثنا العُمَريّ عن لَقيط قال :

كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأُسَيديّ يتعصَّب للفرزدق عــلى جرير . فتزوّج امرأةً من بني عُدُسِ بنِ زيد بن عبد الله بن دارمٍ؛ فقال جرير :

نكحتَ إلى بني عُدُسٍ بن زيدٍ فقد هَجَّنتَ خيلَهمُ العِرابا
أتتني يومَ مَسكِنَ إذ تُنادِي وقد أخطأتَ بالقَدَمِ الرِّكابا

وهي قصيدة، فأجتمعوا على عمرِ بنِ يزيد. ولم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه.

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدثني محمد بن الهيثم قال حدثني عمي أبو فِراس قال حدثني وَدْقَةُ بنُ معروف قال:

نزل جريرٌ على عَنبَسة[١] بن سعيد بواسط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا باذن الحجَّاج. فلما دخل على عَنبَسةَ، قال له: وَيحك! لقد غرّرتَ بنفسك! فما حَملك على ما فعلتَ؟ قال: شعرٌ قلتُه اعتلجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير. قال: فعنَّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تُطلِعنّ رأسك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحيلة لك. قال: فأتاه رسول الحجَّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظٍ، وهو قاعدٌ في الخضراء، وقد صُبّ فيها ماء استَنقع[٢] في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً. قال عَنبَسة: فقعدتُ على الكرسيّ، واقبل عليّ الحجَّاج يحدّثني. فلما رأيتُ تطلُّقه وطيبَ نفسِه قلتُ: أصلح الله الأميرَ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفّه عَجَبُه به حتى دعاه الى أن رَحل اليك ودخل مدينتَك من غير أن يُستأذنَ له. قال: ومن هو؟ قلت: ابن الخطَفى. قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغلمانُ يتسارَعون. قال: صِفْ لهم موضعَه من دارك؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بضَبعَيه حتى رُمي به في الخضراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفَّش كما يتنفَّش الفَرْخ. فقال له: هِيه!

(١) هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أمية.

(٢) استنقع الماء: اجتمع.

ما أقدمَك علينا بغير إذننا لا أمّ لك ؟ قال : اصلح الله الأمير ! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ، جاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منّي الأمير، فأقبلت به اليه . قال : فتطلّق الحجّاجُ وسكن، واستنشده فأنشده . ثم قال : يا غلام ! فجاءوا يسعَون . فقال : عليّ بالجارية التي بَعث بها الينا عاملُ اليمامة ؛ فأُتي بجارية بيضاء مَديدةِ القامةِ . فقال : إنْ أصبتَ صفتَها فهي لك . فقال : ما أسمُها ؟ قال : أمامة؛ فأنشأ يقول :

وَدِّعْ أمامةَ حانَ منك رحيلُ إنّ الوَداعَ لمن تُحِبّ قليلُ
مثلُ الكَثيبِ تميّلتْ أعطافُه فالريحُ تَجبُرُ مَتنَه وتَميل
تلك القلوبُ صواديًا تيَّمْتِها وأرى الشفاء وما إليه سبيل

فقال : خذ بيدها . فبكت الجارية وأنتحبَت . فقال : ادفعوها اليه بمتاعها وبغلها ورِحالها .

أخبرنا أبو خَليفة قال حدثنا محمد بن سَلّام قال حدثني أبو الغرّاف قال :

قال الحجّاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بخَزيز[1] البصرة : ائتياني في لباس آبائكما في الجاهليّة . فلبس الفرزدقُ الدِّيباجَ والخزّ وقعد في قُبّة . وشاور جريرٌ دهاة بني يَربوع فقالوا له : ما لباسُ آبائنا إلا الحديد؛ فلبس جرير دِرعًا وتقلّد سيفًا وأخذ رُمحًا وركِب فرسًا لعَبّاد بن الحُصين يقال له المِنحازُ وأقبل في أربعين فارسًا من بني يَربوع، وجاء الفرزدقُ في هيئته؛ فقال جرير :

لبِستُ سلاحي والفرزدقُ لُعبةٌ عليه وِشاحا كُرَّجٍ[2] وجَلاجِلُه

---

(١) حزيز : موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد .

(٢) الكرج : شيء يتخذ بهيئة المهر يلعب عليه .

أَعِدُّوا مع الحَلْيِ المَلابَ[1] فإنما   جريرٌ لكم بَعلٌ وأنتم حَلائِلُهْ

ثم رجعا ، فوقف جرير في مَقْبُرة بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِربَد . قال : فأخبرني أبي عن محمد بن زياد قال : كنتُ أختلف الى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذ كأنه أصغرُهما في عيني .

هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك :

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلَّام قال حدثنا أبو اليقظان عن جُوَيرِيَة ابنِ أسماء قال :

قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجرُ بنُ عبد الله الكِلابيّ فقال : لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلمْ بي جرير ! فلم تستقرّ به الدارُ حتى قال جرير :

رأيتُك إذ لم يُغنِكَ اللهُ بالغِنى   رجعتَ الى قيسٍ وخَدُّك ضارِعُ
وما ذاك إن أعطى الفرزدقُ بأستِه   بأوّل ثَغرٍ ضيّعته مُجاشِعُ

فلما بلغ ذلك الفرزدقَ قال : لا جَرَمَ واللهِ لا أدخل عليه ولا أرزَؤُه شيئاً ولا أقيم باليمامة، ثم رَحَل .

انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي :

أخبرنا أبو خَليفة قال حدثنا محمد بن سَلَّام قال قال أبو البَيداء :

لقِي الفرزدقُ عمرو بن عطيّة أخا جرير، وهو حينئذٍ يُهاجي ابنَ لَجَأ، فقال له :

---

(١) الملاب : ضرب من الطيب .

وَيلَك ! قل لأخيك : ثَكِلَتك أُمك ! إيتِ التيميَّ مِنْ عَلُ كما أصنع أنا بك .
وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِيَ من أن يتعلَّق به التيميُّ . قال ابن سَلَّام :
فأنشدني له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتَّيميّ :

وما أنت إن قَرْما تَميمٍ تَسامَيا أخا التَّيم إلا كالوَشيظةِ[1] في العَظْمِ
فلو كنتَ مَولى العِزّ او في ظلالِه ظُلِمتَ ولكن لا يَديْ لك بالظلمِ

فقال له التَّيميّ :

كذَبتَ أنا القَرْمُ الذي دَقَّ مالكاً وأفناءَ يَرْبُوعٍ وما أنت بالقَرْمِ

قال ابن سَلَّام فحدّثني أبو الغرّاف : أن رجال تَمِيم مشتْ بين جريرٍ والتَّيمي وقالوا : والله ما شعراؤنا إلا بَلاءٌ علينا ينشُرون مساوينا ويَهجون أحياءَنا ومَوتانا ؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألّا يَعودا في هجاء . فكَفَّ التَّيميّ ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلُّ الواحدةَ بعد الواحدة فيه ؛ فيقول التَّيميّ : والله ما نقَضتُ هذه ولا سمِعتُها ؛ فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .

قال ابن سَلَّام فحدّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْمَلةَ قال : لمّا ورَد علينا هجاءُ جريرٍ والتَّيميّ ، قال لي سعيد بن المُسَيّب تَرَوَّ شيئاً مما قالا ؛ فأتيتُه وقد استقبل القبلةَ يريد أن يكبِّر ، فقال لي : أرَوَيتَ ؟ قلتُ نعم . فأقبل عليَّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيميّ وهو يقول : هِيهِ هِيهِ ! ثم أنشدتُه لجرير ، فقال : أكَلَه أكَلَه !

لم يؤثر هجاؤه في التيم للؤمهم :

قال ابن سَلَّام وحدثني الرازِيّ عن حَجناء بن جريرٍ قال : قلتُ لأبي : يا أبتِ ،

---

(١) الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم .

ما هجوتَ قوماً قطُّ إلا فضحتَهم إلا التَّيمَ . فقال : يا بُنَيَّ، لم أجد بناء أهدِمُـه ولا شرفاً أضعُه . وكانت تَيمٌ رِعاءَ غنم يَغدُون في غنمِهم ثم يَرُوحون، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلها ابنُ لَجَأ . فقيل لجرير : ما صنعتَ في التَّيم شيئاً؛ فقال : إنهم شعراءُ لِئامٌ .

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال حدثني ابن النطَّاح قال حدثني أبو اليَقظان قال :

قال جرير لرجل من بني طُهَيَّةَ : أيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ؟ فقال له : أنت عند العامة والفرزدقُ عند العلمـاء . فصاح جرير : أنا أبو حَزْرَةَ ! غلَبتُه وربِّ الكعبة ! والله ما في كل مائة رجل عالمٌ واحد .

هو وعديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك :

حدثنا أحمد بن عَمَّار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني ابن النطَّاح قال، وحدثني أبو الأخضر لمُخارِق بن الأخضر القيسيّ قال : إني كنتُ والله الذي لا إله إلا هو أخصَّ الناسِ بجرير، وكان ينزِل اذا قدِم على الوليد بن عبد الملك عند سَعيد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكان عَدِيّ بن الرِّقاع خاصّاً بالوليد مَدّاحاً له، فكان جريرٌ يجيء الى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من التِزارِيّة ولا يجلس إلا الى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يقرُب من مجلس ابنِ الرِّقـاع الى أن يأذَن الوليدُ للناس فيدخلَ . فقلت له : يا أبا حَزْرة، اختصصتَ عدوَّكَ بمجلسك ! فقال : إني والله ما أجلس اليه إلا لأُنشِدَه أشعاراً تُخزِيه وتُخزي قومَه . قال : ولم يكن يُنشِده شيئاً من شعره، وإنما كان يُنشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوِّفه نفسَه . فأذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيَّة فدخلوا ودخلنا ، فأخـذ الناسُ مجالسَهم ، وتخلَّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم واطمأنّوا فيها . فبينا هم كذلك اذا بجرير قد مثَل بين السِّماطَين يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله ،

إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لي في ابن الرِّقاع المتفرِّقةِ أؤلِّفُ بعضَها الى بعض! — قال: وأنا جالسٌ أسمع — فقال الوليد: والله لهمَمْتُ أن أُخرِجَه على ظهرك الى الناس. فقال جرير وهو قائم كما هو:

فإن تَنهَني عنه فسمعاً وطاعةً وإلا فإني عُرضَةٌ للمَراجِمِ[1]

قال فقال له الوليد: لا كثَّرَ اللهُ في الناس أمثالَك. فقال له جرير: يا أميرَ المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سَعَرتُ الأمَّةَ، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناسَ أكلاً. قال: فنظرتُ والله الى الوليد تبسَّم حتى بدتْ ثناياه تعجُّباً من جرير وجَلَدِه. قال: ثم أمره فجلس.

أخبرني ابن عمَّار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال حدثنا ابن النطَّاح عن أبي عُبَيدة قال:

كان جرير عند الوَليد وعَدِيُّ بن الرِّقاع يُنشِده. فقال الوليد لجرير: كيف تسمع؟ قال: ومن هو يا أميرَ المؤمنين؟ قال: عَدِيُّ بنُ الرِّقاع. قال: فإن شرَّ الثيابِ الرِّقاعُ، ثم قال جرير: (عامِلةٌ ناصِبةٌ تَصلى ناراً حامِيةً)؛ فغضِب الوليدُ وقال: يابْنَ اللَّخناء! ما بقي لك إلا أن تتناول كتابَ الله! والله لَيَرْكَبنَّك! يا غلام أوكِفْه[2] حتى يركَبَه. فغمَز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف. فلما سكَن غضبُ الوليد قام اليه عمرُ فكلَّمه وطلَب اليه وقال: هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألا يَغُضَّ منه! ولم يزل به حتى أعفاه، وقال له: والله لئن هجوتَه أو عرَّضتَ به لأفعلنَّ بك ولأفعلنَّ! فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها:

---

(١) المراجم: الكلم القبيحة.

(٢) أوكف الدابة: وضع عليها الإكاف، وهو البرذعة.

أقصِرْ فإن نَزاراً لن يفاخرَها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروسِ

وذكر وقائعَ نِزارٍ في اليمن؛ فعلِمنا أنّه عَناه. ولم يُجبه الآخر بشيء.

حدثني عمّي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال:

قال هشام بن عبد الملك لشَبّة بن عِقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذٍ أميرٌ: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضهم وهتكوا أستارَهم وأغروا بين عَشائرهم في غير خير ولا برّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ؟ فقال شَبّة: أما جرير فيَغرِف من بحر، وأما الفرزدق فيَنحت من صخر، واما الأخطل فيُجيد المدح والفخر، فقال هشام: ما فسّرتَ لنا شيئاً نُحصِّله. فقال ما عندي غيرُ ما قلت. فقال لخالد بن صَفوان: صِفهم لنا يابنَ الأهتم؛ فقال: أما أعظمُهم فخراً، وأبعدُهم ذِكراً، وأحسنُهم عذراً؛ وأسيَرُهم مَثَلاً، وأقلُّهم غزَلاً، وأحلاهم عِلَلاً؛ الطامي إذا زَخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطَر؛ الذي إن هدَر قال، وإن خطَر صال؛ الفصيحُ اللسان، الطويلُ العِنان؛ فالفرزدق. وأما أحسنُهم نَعتاً، وأمدُحهم بَيتاً، وأقلُّهم فَوْتاً؛ الذي إن هجا وضَع، وإن مدح رفَع، فالأخطل. وأما أغزرُهم بَحراً، وأرقُّهم شِعراً، وأهتَكُهم لعدوّه سِتراً؛ الأغرُّ الأبلَق، الذي إن طَلَب لم يُسبق، وإن طُلِب لم يُلحق؛ فجرير. وكلُّهم ذكِيّ الفؤاد، رفيع العِماد، واري الزِّناد. فقال له مَسلَمةُ بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الاولين ولا رأينا في الآخِرين؛ وأشهد أنك أحسنُهم وصفاً، وألينُهم عِطفاً؛ وأعفُّهم مَقالاً، وأكرمُهم فَعالاً. فقال خالد: أتمّ اللهُ عليكم نِعمَه، وأجزَل لديكم قِسمَه؛ وآنَسَ بكم الغُربة، وفرّج بكم الكُربة. وأنت، واللهِ ما علمتُ أيها الأميرُ، كريمُ الغِراس، عالمٌ بالناس؛ جوادٌ في المَحْل، بسّامٌ عند البَذْل؛ حليمٌ عند الطَّيش، في ذِروة قُريش؛ ولُبابِ عبد شَمس، ويومُك خيرٌ من أمس. فضحك هشامٌ وقال: ما رأيت كتخلُّصِكَ يابنَ صَفوان في مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسلِمتَ منهم.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدثنا أبو أيوب المَدينيّ قال حدثني مُصعَب الزُّبَيرِيّ قال حدثني إبراهيم بن عبد الله مَولى بني زُهرةَ قال :

حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجريرَ بن الخَطَفى موقوفَيْن للناس بسُوق المدينة لمّا تَهاجَيا وتَقاذَفا وقد أمر بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقِيا . قال : وعمرُ بن لَجَأ : شابٌ كأنه حِصان، وجريرٌ شيخٌ قد أسنّ وضعُف . قال فيقول ابنُ لَجَأ :

رأوا قَمَراً بساحتِهم مُنيراً وكيف يُقارِنُ القمرُ الحِمارا

قال : ثم يَنزُو به وهما مقرونانِ في حَبلٍ فيسقُطان الى الأرض، فأمّا ابن لَجَأ فيقع قائماً، وأما جرير فيَخِرُّ لركبتيه ووجهِه، فاذا قام نفَض الغُبارَ عنه . ثم قال بغُنّته قولاً يُخرِج الكلامَ به من أنفه — وكان كلامُه كأنّ فيه نُوناً — :

فلستُ مفارِقاً قَرَنَيَّ حتى يَطولَ تصعُّدي بكَ وانحداري

قال فقال رجل من جُلَساء عمرَ له حين حضَر غَداؤه : لو دعا الأميرُ بأسيرَيْه فغدّاهما معه ! ففعل ذلك عمر . وإنما فعله بهما لأنهما تَقاذَفا، وكان جريرٌ قال له :

تقول والعبدُ مِسكِينٌ يُجرِّرُها أرفُقْ فَدَيتُكَ أنت الناكحُ الذَكَرُ

قال : وهذه قصيدتُه التي يقول فيها :

يا تَيمُ تَيمَ عَدِيّ لا أبا لكمُ لا يُوقِعنّكمُ في سَوءةٍ عمرُ

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدثني علي بن محمد النَّوفليّ قال حدثني أبي قال :

كنت باليمامة وأنا والِيها فكان ابنٌ لجرير يُكثِر عندي الدخولَ وكنت أُوثِره فلم أقل له قطّ أنشدْني أجودَ شعرٍ لأبيك إلا أنشدني الداليّةَ :

أَهوًى أَراكَ برامَتَينِ وُقودَا أم بالجُنَينةِ من مَدافِع أودَا [١]

فأقولُ له: وَيحكَ! لا تَرِيدُني على هذه!؟ فيقولُ: سألتَني عن أجود شعر أبي وهذه أجودُ شعره، وقد كان يقدّمها على جميعه.

ذهب الى الشام ونزل على نميري فأكرمه:

حدثني ابن عمّار قال حدثني النَّوفليّ قال حدثني علي بن عبد الملك الكَعْبيّ من ولد كَعْب مَولى الحجّاج قال حدثني فلانٌ العَلّامةُ التَّميميّ يَرويه عن جَرير قال:

ما ندِمتُ على هجائي بني نُمير قطُّ إلا مرّة واحدة، فإنّي خرجت الى الشام فنزلت بقوم نُزُولٍ في قَصرٍ لهم في ضَيعة من ضِياعهم، وقد نظرتُ اليه من بين القصور مشيَّداً حَسَناً، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمير. فقلت: هذا شآمٍ وأنا بَدَويٌّ لا يعرفُني، جئت فأستضفتُ. فلما أذِنَ لي ودخلتُ عليه عرفَني فقَرَاني أحسنَ القِرى ليلتين، فلما أصبحتُ جلستُ، ودعا بُنَيَّةً له فضمّها اليه وتَرَشَّفَها، فاذا هي أحسنُ الناسِ وجهاً ولها نَشرٌ لم أَشمّ أطيبَ منه. فنظرتُ الى عينيها فقلتُ: تاللهِ ما رأيتُ أحسنَ من عينيْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قَطّ، وعَوَّذتُها: فقال لي: يا أبا حَزْرَة، أَسوداءُ المحاجِرِ هي؟ فذهبتُ أصِفُ طِيبَ رائحتها. فقال: أصنٌ وَبْرٍ هي؟ فقلت: يَرحَمُكَ الله! إنّ الشاعر ليقولُ، ووالله لقد ساءني ما قلتُه، ولكن صاحبكم بَدأَني فانتصرتُ، وذهبتُ أعتذر. فقال: دَعْ ذا عنك أبا حَزْرَة، فوالله ما لك عندي إلا ما تحبّ. قال: وأحسنَ واللهِ إليّ وزوّدَني وكساني، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلَف منّي الى قومه.

---

(١) الجنينة: روضة نجدية بين ضرية وحزن بني يربوع. والمدافع: مجاري السيول: وأود: موضع في ديار تميم ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن.

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدثني ابنُ أبي عَلقمةَ الثقفيّ قال:

كان المفضَّل يقدِّم الفرزدقَ، فأنشدتُه قولَ جرير:

حَيِّ الهِدَمْلةَ من ذاتِ المَواعِيسِ فالحِنْوُ أصبح قفراً غيرَ مأنوسِ

وقلتُ أنشدْني لغيره مثلَها فسكت. قال: وكان الفرزدق اذا أنشدَها يقول: مِثلَها فليَقُلِ ابنُ اللَّخناء.

رثاء الفرزدق ابن اخيه وجرير ابنه:

أخبرنا أبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب قال حدثنا محمد بن سَلّام قال حدثني عبد الجبّار بن سَعيد بن سُليمان المُساحِقيّ عن المُحرَّر بن أبي هُرَيرة قال:

إني لفي عسكرِ سليمانَ بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ في غَزاةٍ، إذ أتانا الفرزدقُ في غداةٍ، ثم قال، اشهدوا أنّ محمد ابن أخي، ثم أنشأ يقول:

فبِتُّ بدَيرَيْ أرْيحاء بليلةٍ خُدارِيَّةٍ يزدادُ طُولًا تمامُها
أُكابِدُ فيها نفسَ أقربِ مَن مشى أبوه بأمٍّ، غاب عنها نِيامُها
وكنّا نَرى من غالبٍ في محمد شمائلَ تعلو الفاعلين كِرامُها
وكان اذا ما حلّ أرضاً تزيَّنَتْ بزينتِها صحراؤها وإكامُها
سَقى أريحاءَ الغيثُ وهي بَغيضةٌ الينا ولكن بي لتُسقاه هامُها

قال: ثم انصرف. وجاء جرير فقال: قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه؛ وما ابنُ أخيه فعَل اللهُ به وفعَل! قال: ومضى جرير، فوالله ما لبثنا إلا جُمعاً حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعى ابنَه سَوادةَ فقال:

أَوْدى سَوادةُ يَجلو مُقلتيْ لحم … بازٍ يُصرصِرُ فوقَ المَرْبا العالِي
فارقتَني حينَ كَفَّ الدهرُ من بَصَري … وحينَ صِرتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ البالي
إلّا تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَين باكيةٌ … فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعوال
قالوا نَصيبكَ من أجرٍ فقلتُ لهم … كيف العَزاء وقد فارقتُ أشبالي

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلّام قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا :

تزوّج الفرزدقُ حَدْراء بنتَ زِيق بن بِسطام بن قَيس على حُكم أبيها، فاحتكم مائةً من الإبل . فدخل على الحجّاج يسأله ذلك ؛ فعذله وقال له : أتتزوّج امرأةً على حكمها! فقال عَنبَسةُ بن سَعيد وأراد نفعَه : إنما هي من حواشي إبل الصَّدَقة، فأمر له الحجّاج بها . فوثَب جريرٌ فقال :

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيبانَ في حَسَبٍ … يا زِيقُ وَيحكَ مَنْ أنكحتَ يا زِيقُ
أنكحتَ وَيحكَ قَيناً باستِه حَمَمٌ … يا زيقُ وَيحكَ هل بارتْ بكَ السُّوق
غاب المُثنى فلم يَشهد نَجيَّكما … والحوفَزان[1] ولم يَشهدْكَ مَفروق[2]
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها … لا الصِهرُ راضٍ ولا ابنُ القَينِ معشوق
أين الأُلى استنزَلوا النُّعمانَ ضاحيةً … أم أين أبناءُ شَيبانَ الغَرانيق[3]

قال : فلم يُجبه الفرزدقُ عنها . فقال جرير أيضاً :

---

(١) الحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيباني .

(٢) مفروق : هو النعمان بن عمرو الشيباني .

(٣) الغرانيق : جمع غرنوق وهو الشاب الناعم الجميل .

فلا أنا مُعطي الحكم عن شفَّ[١] مَنصِبٍ ولا عن بَناتِ الحَنظَليّينَ راغبُ
وهُنّ كماء المُزنِ يُشفى به الصَّدى وكانت مِلاحاً[٢] غيرَهنّ المَشارِبُ
فلو كنتَ حُرّاً كان عَشراً سِياقُكم[٣] الى آل زيقٍ والوَصيفُ المُقارب[٤]

فقال الفرزدق :

فَنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم لُمْهُمُ عَلى دارِميٍّ بين لَيلى وغالِبِ
همُ زوّجوا قبلي لَقيطاً وأنكَحوا ضِراراً وهم أكفاؤنا في المَناسِب
ولو قبِلوا منّي عَطيّةَ سُقتُه الى آل زيقٍ من وَصيفٍ مُقارِب
ولو تُنكِحُ الشمسُ النجومَ بَناتها إذاً لنكحناهنّ قبل الكواكب

قال ابن سَلّام فحدثني الرّازِيّ عن أبيه قال : ما كانت امرأة من بني حَنظلةَ إلا ترفَعُ لجريرٍ اللّوِيّة في عظمِها لتُطرِفَه بها لقوله :

وهُنّ كماء المُزنِ يُشفى به الصَّدى وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ

فقلت للرّازِيّ : ما اللّوِيّة ؟ قال : الشَّريحة من اللحم، أو الفِدرة[٥] من التمر، أو الكُبّة من الشحم، او الحَفنة من الأَقِط ؛ فإذا ذهب الألبانُ وضاقت المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم .

---

(١) الشف هاهنا : النقصان .

(٢) ملاح : جمع ملح وهو ضد العذب .

(٣) السياق : المهر .

(٤) المقارب : الدون .

(٥) الفدرة : القطعة .

قال : وقال جرير أيضاً في شأن حدراء :

أثائرةٌ حدراء من جُرِّ بالنقا   وهل لأبي حدراء في الوتر طالبُ
أتثارُ بسطاماً اذا ابتلت استُها   وقد بوّلت في مسمعيه الثعالبُ

قال ابن سلام : والنقا الذي عناه جريرٌ هو الموضع الذي قتلت فيه بنو ضبّة بسطاماً، وهو بسطام بن قيس . قال : فكرهت بنو شيبان أن يهتك جريرٌ أعراضهم . فلما أراد الفرزدقُ نقل حدراء اعتلوا عليه وقالوا له إنها ماتت . فقال جرير :

فأقسمُ ما ماتت ولكنما التوى   بحدراء قومٌ لم يروك لها أهلا
رأوا أنّ صهر القين عارٌ عليهم   وأنّ لبسطام على غالب فضلا

مدح قوما عادوه في مرضه :

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا محمد ابن إدريس اليامي قال حدثنا عليّ بن عبد الله بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جدّه قال :

دخلنا على جرير في نفر من قريش نعوده في علّته التي مات فيها، فالتفت الينا فقال :

أهلاً وسهلاً بقوم زيّنوا حسبي   وإن مرضتُ فهم أهلي وعوّادي
إن تجر طيرٌ بأمر فيه عافيةٌ   أو بالفراق فقد أحسنتم زادي
لو أن ليثاً أبا شبلين أوعدني   لم يسلموني لليث الغابة العادي

نعي الفرزدق اليه فشمت به ثم رثاه :

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدثني أبو جناح أحد بني كَعْب بن عمرو بن تَميم قال :

نُعي الفرزدقُ الى المهاجِر بن عبد الله وجريرٌ عنده فقال :

مات الفرزدقُ بعد ما جدّعتُه ليتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئسَ لعمرُ اللهِ ما قلتَ في ابن عمِك ! أتَهجو ميتاً ! أما واللهِ لو رَثَيتَه لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأميرُ أن يكتُمَها عليّ فإنها سَوءة؛ ثم قال من وقتِه :

فلا وَضَعَتْ بعد الفرزدقِ حاملٌ ولا ذاتُ بَعْلٍ من نفاسٍ تَعلّتِ
هو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثّأى(١) اذا النعـلُ يوماً بالعَشيرة زَلّتِ

وفاته :

قال : ثم بكى ثم قال : أمَا والله إني لأعلم أني قليلُ البقاء بعده، ولقد كان نجمُنا واحداً، وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلّما مات ضدّ أو صديق إلا تبعه صاحبه . فكان كذلك ومات بعد سنة . وقـد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أبياتاً أخر، ولم يقل غيرَهما وإنما أضيف الى ما قاله .

---

(١) الثأى : الفتق والفساد .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيي

رَحَــلَ الخليطُ جمالَهم بسَوادِ   وحدا على إثْرِ البَخيلة حادِي
ما إن شَعَرتُ ولا علِمتُ ببَينهم   حتى سمعتُ به الغرابَ يُنادي

الشعر لجميل . والغناء لإبراهيمَ ، ولحنُه المختارُ من الثقيل الاول بإطــلاق الوتَر في مجرى الوُسطى .

نسب جميل واخباره

هو جَميل بن عبد الله بن مَعمَر بن الحارث بن ظَبيان وقيل ابن معمر بن حُنَّ ابن ظَبيان بن قَيس بن جَزْء بن رَبيعة بن حرام بن ضِنَّة بن عَبد بن كَثير بن عُذْرة بن سَعد — وهو هُذَيم، وسمّي بذلك إضافة لاسمه الى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه — ابن زيد بن سُود بن أسلَم بن الحاف بن قُضاعة. والنسّابون مختلفون في قُضاعة، فمنهم من يزعُم أن قضاعة بن مَعَدّ وهو أخو نِزار بن مَعَدّ لأبيه وأمّه، وهي مُعانة بنت جَوْسَم بن جُلهُمة بن عامر بن عَوف بن عَدِيّ بن دُبّ بن جُرهُم؛ ومنهم من يزعم أنهم من حِميَر. وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب مَعدِيّاً فقال:

أنا جميلٌ في السَّنامِ من مَعَدّ ... في الأسرةِ الحصداء(١) والعِيصِ الأشدّ

وقال راجز من قُضاعةَ ينسُبهم الى حِميَر:

قُضاعةُ الأثرَونَ خيرُ مَعشَرِ ... قضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حِميَرِ

ولهم في هذا أراجيزُ كثيرةٌ. إلّا أنّ قُضاعة اليومَ تُنسب كلُّها في حِميَر، فتزعم أن قضاعةَ بنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِميَر بن سَبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان. وقال القَحذَمي: اسم سَبأ عامر؛ وإنما قيل له سَبأ لأنه اول

(١) الحصداء: القوية.

من سَبي النساء . وكان يقال له عَبُ الشمس(١)، أي عَديل الشمس ؛ سمِّي بذلك لحسنه . ومَن زعم مِن هؤلاء أنّ قُضاعة ليس ابْنَ مَعَدّ ذكر أن أُمّه عُكبُرة (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فات عنها وهي حامل، فخلَفه عليها مَعَدُّ بن عَدنانَ، فولَدت قُضاعةَ على فراشه . وقال : مُؤرِّج بن عمرو : هذا قول أحدثوه بعدُ وصنعوا شعرًا ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول، وهو :

يا أيُّها الدَّاعي ادعُنا وأبشِرِ وكُنْ قُضاعِياً ولا تَنزَّرِ
قضاعةُ الأَثْرَونَ خيرُ مَعشَرِ قضاعةُ بن مالك بنِ حمير
النسبُ المعروفُ غيرُ المُنكَر

قال مؤرّج : وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أميّة . وشعراء قُضاعة في الجاهلية والإسلام كلها تنتمي الى مَعَدّ . قال جميل :

وأيُّ مَعَدّ كان فَيْءَ(٢) رِماحِهمْ كما قد أفأنا والمُفاخِرُ مُنصِفُ

وقال زِيادة بن زيد يهجو بني عمه بني عامر رَهطَ هُدْبَةَ بن خَشرَم :

واذا مَعَدٌّ أوقدتْ نِيرانَها للمجدِ أغضَتْ عامرٌ وتضعضعوا

وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية، كان راويةَ هُدبَةَ بنِ خَشرَم، وكان هُدبَةُ شاعراً راويةً للحُطَيئة، وكان الحطيئةُ شاعراً راويةً لزُهَير وابنه . وقال أبو مُحلِّم : آخِرُ مَن اجتمع له الشعر والرواية كُثيِّر، وكان راويةَ جميل، وجميلٌ راوية هُدْبَةَ، وهُدبةُ راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير .

---

(١) عب الشمس : ضوءها .

(٢) الفيء : الغنيمة .

نسب بثينة عشيقته :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال : كان جميلٌ يهوى بُثينة بنت حبأ بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحبّ بن حُنّ بن ربيعة تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة في النسب .

كان كثيّر راويته يقدمه على نفسه :

حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي وهاشم بن محمد أبو دُلَف الخزاعي قالا حدثنا الرّياشي قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي الزّناد قال :

كان كُثيّر راويةَ جميل، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماماً، وإذا سئل عنه قال : وهل علّم اللهُ عزّ وجلّ ما تسمعون إلا منه !

أخبرني محمد بن مَزيَد عن حمّاد عن أبيه عن صباح بن خاقان عن عبد الله ابن معاوية الزّبيري قال :

كان كُثيّر اذا ذُكِر له جميلٌ قال : وهل علّم الله ما تسمعون إلا منه !

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزّبير بن بكّار قال حدثني محمد ابن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران عن المِسوَر بن عبد الملك عن نُصَيب مولى عبد العزيز بن مَروان قال :

قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي : الوليد بن سعيد بن أبي سِنان الأسلَميّ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع[1] مع عبد الرحمن بن حسّان وعبد

(١) سلع : موضع بقرب المدينة .

الرحمن بن أزهر . فإنّا لجلوسٌ إذ طلع علينا رجلٌ طويلٌ بينِ المنكبَين طوالٌ يقود راحلةً عليها بِزّةٌ حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أزهر: يا أبا جُبَير، هذا جميلٌ، فادعُه لعلّه أن يُنشِدَنا . فصاح به عبد الرحمن : هَيا جميلُ هَيا جميل ! فالتفت فقال : مَن هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أزهر . فقال : قد علمتُ أنه لا يجترئُ عليّ إلا مثلُك . فأتاه فقال له أنشِدنا فأنشدهم :

نحنُ مَنَعنــا يومَ أوْلٍ[1] نساءَنا ... ويومَ أفيٍّ والأسِنّــةُ تَرعُفُ
ويومَ رَكايا ذي الجذاةِ[2] ووقعةٍ ... ببَنيانَ[3] كانت بعضَ ما قد تَسلّفوا
يُحِبّ الغواني البِيضُ ظِلّ لِوائنــا ... اذا ما أتانا الصــارخُ المُتلهِّف
نَسيرُ أمامَ الناس والناسُ خلفَنا ... فإن نحن أومأنا الى الناس وَقّفوا
فأيُّ مَعَدٍّ كان فَيْءَ رِماحِــهِ ... كما قد أفأنا والمُفــاخرُ يُنصِفُ
وكنّا إذا مــا معشرٌ نَصبوا لنا ... ومرّت جَواري طَيرِهم وتَعيّفوا
وضَعنا لهم صاعَ القِصاصِ رهينةً ... بما سوف نُوفيها اذا الناسُ طَفّفوا
اذا استَبق الأقوامُ مجداً وجدتَنا ... لنا مِغرَفا مجــدٍ وللناسِ مِغرَفُ

قال : ثم قال له : أنشِدنا هَزَجاً . قال : وما الهزَج ؟ لعله هذا القصير ؟ قال نعم، فأنشده — قال الزُّبير : لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهـزَج سوى بيتين، وأنشدَنا باقِيها بُهلول بن سليمان بن قِرضاب البَكريّ — :

(١) اول : واد بين الغيل وأكمة على طريق اليمامة الى مكة .

(٢) كذا في معجم ما استعجم للبكري ونسخة الشنقيطي مصححة . وذو الجــذاة : موضع . وركايا : جمع ركية، وهي البئر ذات الماء .

(٣) بنيان : موضع .

صوت

رَسم دارٍ وقفتُ في طَلَلِه كِدتُ أقضي الغَداةَ من جَلَلِه [١]
مُوحِشاً ما تَرى به أحداً تَنتسِجُ الريحُ تُرْبَ مُعتدِلِه
وصَريعاً من الثُّمامِ ترى عارماتِ المَدَبِّ في أَسَلِه [٢]
بين عَلياءِ وابشٍ فبُلَيِّ فالغَمِيمِ الذي الى جَبَلِه [٣]
واقفاً في ديار أمِّ جُسَيرٍ [٤] من ضُحى يَومِه الى أُصلِه
يا خليلَيَّ إن أمَّ جُسَيرٍ حين يدنو الضجيعُ من غَلَلِه [٥]
روضةٌ ذاتُ حَنوةٍ وخُزامى جاد فيها الربيعُ من سَبَلِه [٦]
بينما هنَّ بالأراكِ معاً اذ بدا راكبٌ على جَمَلِه
فتأطَّرنَ ثم قلن لها أكرِميه حُيِّيتِ في نُزُلِه [٧]
فظَلِلنا بنعمةٍ واتّكأنا وشَرِبنا الحلالَ من قُلَلِه
قد أَصون الحديثَ دونَ خليلٍ لا أخاف الأذاةَ من قِبَلِه

(١) من جلله : من أجله .

(٢) الثمام : نبت ضعيف له خوص او شبيه بالخوص . والعارمات : القوية الشديدة . والمدب : مجرى السيل . والأسل : نبات له أغصان كثيرة، واحده أسلة .

(٣) وابش : واد او جبل بين وادي القرى والشام . وبلي : تل قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق . والغميم : موضع بالحجاز .

(٤) أم جسير : أخت بثينة صاحبة جميل .

(٥) الغلل : داء .

(٦) الحنوة : نبات سهلي طيب الريح . والسبل المطر .

(٧) التأطر : التثني . والنزل (بضمتين) : ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه .

غيرَ ما بِغضَةٍ ولا لاَجتنابٍ غيرَ أني أَلحتُ من وَجلِهْ
وخليــلٍ صاقَبتُ[١] مُرتضِياً وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِه

قال : فأنشده إياها حتى فرَغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولّياً . فقال ابن الأزهر : هذا أشعر أهل الاسلام . فقال أبن حسَّان : نعم واللهِ وأشعرُ أهلِ الجاهليَّة، والله مــا لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه . فقــال عبد الرحمن بن الأزهر : صدقتَ . قال نُصَيب : وأنشدتُ الوليد فقال لي : أنت أشعر أهل جِلدتك، والله مــا زاد عليها . فقلت : يا أبا مِحجَن، أفَرَضيتَ منه بأن تكون أشعرَ السُّودان ؟ قال : وَدِدتُ واللهِ يابنَ أخي أنه أعطاني أكثرَ من هذا ، ولكنه لم يفعل، ولست بكاذِبك .

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال :

كان جميل صادق الصبابة والعشق :

كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب؛ وكان كثيِّر راوية جميل ، وكان جميل صادقَ الصبابــة والعشق، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل . وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب :

أُريد لأنسى ذِكرَها فكأنّما تَمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ

قال : ورأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل :

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتلِه قَبلي

(١) صاقبته : قاربته .

قال ابن سلّام : وهذا البيت الذي لكثيّر أخذه من جميل حيث يقول :

أريد لأنسى ذكرَها فكأنّما تمثّلُ لي ليلى على كلّ مَرقبِ

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن عبد العزيز عن أبي شِهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال :

لقي الفرزدق كثيّراً بقارعة البَلاط[1] وأنا وهو نمشي نريد المسجد؛ فقال له الفرزدق : يا أبا صخر، أنت أنسبُ العرب حين تقول :

أريد لأنسى ذكرَها فكأنّما تمثّلُ لي ليلى بكلّ سبيلِ

يعرّض له بسرقته من جميل . فقال له كثيّر : وأنت يا أبا فِراس أفخرُ الناس حين تقول :

ترى الناسَ ما سِرنا يَسيرون خلفَنا وإن نحن أومأنا الى الناس وَقَّفُوا

— قال عبد العزيز : وهذا البيت ايضاً لجميل سرقه الفرزدقُ — فقال الفرزدق لكثيّر : هل كانت أمُّك ترِدُ البصرة ؟ قال : لا ! ولكن أبي ، فكان نزيلاً لأمِّك . قال طلحةُ بن عبد الله : فوالذي نفسي بيده لعَجبتُ من كثيّر وجوابه، وما رأيتُ أحداً قطُّ أحمقَ منه، رأيتُني دخلتُ عليه يوماً في نفرٍ من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزّأ به، فقلنا : كيف تجدُك يا أبا صخر ؟ قال : بخيرٍ، أما سمعتم الناسَ يقولون شيئاً ؟ قلنا : نعم، يتحدثون أنك الدجّال. فقال : والله لئن قلتم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام .

(١) البلاط : موضع معروف بالمدينة .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال كتب اليّ أبو محمد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدثني أبو عُبيدة عن جُوَيرِيَةَ بنِ أسماء قال :

كان أبو صخر كثيّر صديقاً لي، وكان يأتيني كثيراً، فقلّما استنشدتُه إلا بدأ بجميل وأنشد له ثم أنشد لنفسه، وكان يفضِّله ويتّخذه إماماً .

قال الزبير وكتب إليّ إسحاقُ يقول حدثني صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المُنذِرِ بن الزبير قال :

ذُكِر جميلٌ لكثيّر، فقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : منه علّم اللهُ عزّ وجلّ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدثنا عمرُ بن شبّة قال حدثني أبو يحيى الزُّهريّ عن إسحاق بن قبيصةَ الكوفيّ عن رجل سمّاه قال :

سألت نُصيباً : أجميلٌ أنسبُ أم كثيّر ؟ فقال : أنا سألت كثيّراً عن ذاك فقال : وهل وطّأ لنا النسيبَ الّا جميل !

قال عمر بن شبّة وقال إسحاق حدثني السّعيدي عن أبي مالك النّهديّ قال :

جلس الينا نُصيب فذكرنا جميلاً، فقال : ذاك إمامُ المحبّين، وهل هدى اللهُ عزّ وجلّ لما ترى إلّا بجميل .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَماذ عن أبي عُبيدة عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء قال: ما استنشدتُ كثيّراً قطّ إلا بدأ بجميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه، وكان يفضّله ويتخذه إماماً .

اول عشقه بثينة :

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثني بُهلول ابن سليمانَ بن قِرضاب البَلَويّ قال :

كان جميل يَنسُب بأمّ الجسير، وكان أولَ ما علِق بُثينةَ أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له بَغيض، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصعِدةً، وأهلُ بثينة بذَنَبِ الوادي؛ فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَين الماء، فمرّتا على فِصالٍ له بُروكٍ فعرّمتهنّ[1] بثينةُ - يقول: نفّرتهنّ - وهي إذ ذاك جُوَيرِيَةٌ صغيرة؛ فسبّها جميلٌ، فافترتْ عليه، فملُح اليه سِبابُها فقال :

وأولُ ما قاد المودّةَ بيننا ... بوادي بَغيضٍ يا بُثَينَ سِبابُ
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله ... لكلّ كلامٍ يا بُثَينَ جوابُ

قال الزبير وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْريّ - وكانت بثينةُ عند أبيه نُبيه بن الأسود، وإياه يَعني جَميلٌ بقوله :

لقد أنكحوا جهلاً نُبَيهاً ظَعينةً ... لَطيفةَ طيِّ الكَشحِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ[2]

- قال الزبير وحدثني ايضاً الأسباطُ بن عيسى بن عبد الجبّار العُذريّ أن جميلَ ابنَ مَعمَر خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيّن ويَبدو بعضهن لبعض ويَبدون للرجال، وأن جميلاً وقف على بُثينة وأختها أمّ الجسير في نساء من بني الأحبَ

---

(١) عرمتهن : أصابتهن بشرّ وأذى .

(٢) الخدل : الممتلىء .

وهنّ بناتُ عمّ عُبيد الله بن قُطبة أخي أبيه لَحًّا[١]، فرأى منهنّ منظراً وأعجبنه وعشِق بُثينةَ وقعد معهنّ، ثم راح وقد كان معه فِتيانٌ من بني الأحَبّ، فعلم أنّ القوم قد عَرفوا في نظره حبّ بُثينة ووجَدوا عليه، فراح وهو يقول :

عَجِل الفِراقُ ولَيتَه لم يَعجَلِ وجرتْ بوادرُ دَمعِك المُتهلِّلِ
طَرَباً وشاقكَ ما لَقيتَ ولم تَخَفْ بَينَ الحبيبِ غداةَ بُرقةِ مِجوَلِ
وعرفتَ أنك حين رُحتَ ولم يكن بعدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشكِلِ
لن تَستطيعَ الى بثينة رَجعةً بعد التفرُّق دون عامٍ مُقبِلِ

قال: وإنّ بُثينة لمّا أُخبرتْ أن جميلاً قد نسَب بها حلفَتْ بالله لا يأتيها على خَلاءٍ إلّا خَرجتْ اليه ولا تَتوارى منه، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدث اليها ومع أخواتها، حتى نُمِيَ الى رجالها أنه يتحدث اليها اذا خلا منهم، وكانوا أصلافاً غُيُراً - أو قال غَيارى - فرَصدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عَشرَ رجلاً وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثينةَ وأمّ الجُسَيرِ وهما يحدِّثانه وهو يُنشِدُهما يومئذٍ:

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ الى مِنًى هُوِيَّ القَطا يَجتزنَ بطنَ دَفينِ[٢]
لقد ظَنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً سُلَيمى ولا أمّ الجُسَيرِ لحِينِ
فليت رجالاً فيكِ قد نذَرُوا دَمي وهَمُّوا بقَتلي يا بُثينَ لَقوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبقَت به وهو يقول :

إذا جمع الإثنان جمعاً رميتُهم بأركانها حتى تُخلّى سبيلُها

فكان هذا أولَ سببِ المُهاجاةِ بينه وبين عُبيد الله بن قُطبة .

---

(١) لحًّا : لازقاً .

(٢) دفين : اسم موضع .

واعدت بثينة جميلاً ان يلتقيا فمنعها اهلها :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا بهلول بن سليمان عن مشيخة من عذرة :

أن بثينة واعدت جميلاً أن يلتقيا في بعض المواضع فأتى لوعدها . وجاء أعرابي يستضيف القوم فأنزلوه وقروه؛ فقال لهم : قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين متوارين في الشجر، وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم؛ فعرفوا أنه جميل وصاحباه، فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده . فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سيئ الظن بها ورجع الى أهله؛ فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرها أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى بها . فقال في ذلك :

صوت

أبثين إنك قد ملكت فأسجحي ... وخذي بحظك من كريم واصل
فأجبتها في القول بعد تستر ... حبي بثينة عن وصالك شاغلي
فارب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل
لو كان في صدري كقدر قلامة ... فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي

— الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه — :

صوت

ويقلن إنك قد رضيت بباطل ... منها فهل لك في اجتناب الباطل
ولباطل مما أحب حديثه ... أشهى إلي من البغيض الباذل

لَيَزُلْنَ عنكَ هوايَ ثم يَصِلْنَنِي ... وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائلِ

– الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حوراء. وروى حمّاد عن أبيه في اخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحناً ولم يجنّسه –:

صادتْ فؤادي يا بُثينَ حِبالُكُم ... يومَ الحَجُونِ وأخطأَتْكِ حبائلي
مَنَّيْتِني فلَوَيتِ ما مَنَّيتِني ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ
وتثاقلتْ لمَّا رأت كَلَفي بها ... أحبِبْ إليّ بذاكَ من متثاقلِ
وأطعتِ فيّ عواذِلًا فهجرتِني ... وعصَيتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي
حاولنَني لأَبُتَّ حبلَ وِصالكم ... منّي، ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ
فرددتُهن وقد سَعَينَ بهجركم ... لمَّا سَعَينَ له بأفوَقَ ناصِلِ[1]
يَعضَضْنَ من غيظٍ عليّ أناملًا ... ووددتُ لو يَعضَضْنَ صُمَّ جنادِلِ
ويقلن إنكِ يا بُثَينَ بخيلةٌ ... نفسي فداؤكِ من ضَنينٍ باخلِ

قالوا: وقال جميل في وَعد بثينةَ بالتّلاقي وتأخرِها قصيدةً أوّلها:

يا صاحِ عن بعض الملامةِ أقصِرِ ... إنّ المُنى لِلقاءِ أمِّ المِسوَرِ

فما يغنّى فيه منها قوله:

صوت

وكأنّ طارقَها على عَلَلِ الكَرى ... والنجمُ وَهناً قد دنا لتغوُّرِ
يَستافُ[2] ريحَ مُدامةٍ معجونةٍ ... بذكيّ مِسكٍ أو سَحيقِ العنبرِ

---

(١) السهم الأفوق: الذي به ميل في فوقه او انكسار في إحدى زنمتيه. والفوق (بالضم): مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. وناصل: لا نصل له.

(٢) يستاف: يشم.

الغناء لابن جامع ثقيلٌ اول بالبنصر من رواية الهشامي . وذكر عمرو بن بانةَ أنه لابن المكي .

ومما يغنّى فيه منها قوله :

صوت

إني لأحفظُ غيبكم ويسرُّني ... إذ تذكُرينَ بصالح ان تذكُري
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرسَلاً ... أن نلتقي فيه عليّ كأشهُر
يا ليتني ألقى المنيّةَ بغتةً ... إن كان يومٌ لقائكم لم يُقدَر
أو أستطيعُ تجلُّداً عن ذكركم ... فيُفيقَ بعضُ صبابتي وتفكُّري

الغناء لابن مُحرز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهشامي . وفيه يقول :

لو قد تُجِنّ كما أُجنّ من الهوى ... لَعذَرتَ أو لظلمتَ إن لم تعذِرِ
والله ما للقلبِ من علمٍ بها ... غيرُ الظنون وغيرِ قول المُخبِر
لا تحسَبي أني هجرتُكِ طائعاً ... حدَثٌ لعمركِ رائعٌ أن تُهجري
فلتبكِيَنّ الباكياتُ وإن أبُحْ ... يوماً بسرِّكِ مُعلناً لم أُعذَر
يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإن أمُتْ ... يَتبَعْ صَدايَ صداكِ بين الأقبُر

صوت

إني اليكِ بما وعدتِ لناظرٌ ... نظرَ الفقيرِ الى الغنيّ المُكثِرِ
يَعِدُ الديونَ وليس يُنجِزُ موعداً ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعسِر
ما أنتِ والوعدَ الذي تَعِدينَني ... إلّا كبرق سحابةٍ لم تُمطِر
قلبي نصحتُ له فردّ نصيحتي ... فمتى هَجَرتِيهِ فمنه تكثّري[١]

---

(١) أي تكثّري من الهجر .

الغناء في هـذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه قدحٌ طُنبوريّ أظنه لِجَحظة او لعليّ بن مودّة . قالوا : وقال في إخلافها إياه هذا الموعدَ :

صوت

ألا ليتَ رَيعانَ الشبابِ جديدُ ودهراً تولّى يا بُثَينَ يَعودُ
فنَغنى كما كنّا نكون وأنتمُ قريبٌ وإذ ما تَبذُلين زَهيدُ

ويروى :

وبما لا يزيد بعيدُ

وهكذا يغنّى فيه :

الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ اول بالوسطى . ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة :

صوت

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بوادي القُرى إنّي اذاً لسَعيدُ
وهل ألقَيَن فَرداً بثينةَ مرّةً تَجود لنا من ودّها ونَجود
عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يزَل الى اليوم يَنمي حُبُّها ويَزيد
وأفنيتُ عُمري بانتظاريَ وَعدَها وأبليتُ فيها الدهرَ وهو جديد
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حبُّها فيما يَبيدُ يَبيد

الغناء لمَعبدٍ ثقيلٌ أولُ بالوسطى . ومما يغنّى فيه منها :

صوت

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولها وقد قَرُبَت بُصرى أمصرَ تُريدُ

ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى لزُرتكَ فاعذِرني فَدتكَ جُدودُ
خليليّ ما ألقى من الوجد قاتِلي ودَمعي بما قلتُ الغداةَ شَهيد
يقولون جاهِدْ يا جميلُ بغَزوةٍ وأيَّ جهادٍ غيرَهنّ أريدُ
لكلِّ حديثٍ بينهنّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ عندهنّ شَهيد

الغناء للغريض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حمّاد عن أبيه . وفي هذه القصيدة يقول :

إذا قلتُ ما بي يا بثينةُ قاتِلي من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ رُدّي بعضَ عقلي أعِش به مع الناسِ قالت ذاكَ منكَ بعيد
ألا قد أرى واللهِ أنْ رُبَّ عَبرةٍ اذا الدارُ شَطَّتْ بيننا ستَرُود[1]
إذا فكّرتْ قالت قد أدركتُ ودَّه وما ضَرّني بُخلي فكيف أجود
فلو تُكشَفُ الأحشاءُ صودِفَ تحتَها لبثنةَ حبٌّ طارفٌ وتَليد
تُذكّرُنيها كلُّ ريحٍ مَريضةٍ لها بالتِّلاعِ القاوياتِ وَئيد[2]
وقد تَلتقي الأشتاتُ بعد تفرّقٍ وقد تُدرَكُ الحاجاتُ وهي بعيد

عاتبته بثينة لشعر قاله فيها :

أخبرني عليّ بن صالح قال حدثني عمر بن شَبّة عن إسحاق قال :

لقي جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّتُه فتعاتبا طويلاً فقالت له: وَيحك يا جميل ! أتزعم أنك تَهواني وأنت الذي تقول :

رمى اللهُ في عينيْ بُثينة بالقَذى وفي الغُرّ من أنيابها بالقَوادحِ !

(١) ترود أي تذهب وتجيء .

(٢) القاويات : الخاليات . والوئيد : الصوت العالي الشديد .

فأطرق طويلًا يبكي ثم قال : بل أنا القائلُ :

ألا ليتني أعمى أصمُّ تقودُني بثينةُ لا يَخفى علـيَّ كلامُها

فقالت له : وَيحك ! ما حملك على هذه المُنى ! أوَ ليس في سعةِ العافية ما كفانا جميعاً !

تجسس أبوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة :

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عَباية قال :

سعَتْ أمَةٌ لبثينةَ بها الى أبيها وأخيها وقالت لهما : إن جميلًا عندهـا الليلةَ ؛ فأتياها مشتملَيْن على سيفَين، فرأياها جالساً حجرةً منها يحدّثها ويشكو اليها بَثّه، ثم قال لها : يا بُثينة، أرأيتِ وُدّي إياكِ وَشغفي بكِ ألا تَجزينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابّين . فقالت له : يا جميل، أهذا تَبغي ! واللهِ لقد كنتَ عندي بعيداً منه، ولئن عاودْتَ تعريضاً بريبةٍ لا رأيتَ وجهي ابـداً . فضحك وقال : واللهِ ما قلتُ لكِ هذا إلا لأعلمَ ما عندكِ فيه، ولو علمتُ أنك تُجيبينني اليه لعلمتُ أنك تُجيبين غيري، ولو رأيتُ منكِ مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما استَمسكَ في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتُكِ هجرةَ الأبد ؛ أو مـا سمعتِ قولي :

وإني لأرضى من بُثينةَ بالذي لو أبصره الواشي لقرّت بَلابِلُه
بـلا وبأن لا أستطيعَ وبالمُنى وبالأملِ المرجوّ قد خاب آملُه
وبالنَّظرةِ العَجلى وبالحول تَنقضي أواخـرُه لا نَلتقي وأوائلُه

قال فقال أبوها لأخيها : قُمْ بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هـذا الرجل من لقائها، فانصرفا وتركاهما .

قابلها مرة بسعي صديق له :

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبايةَ عن رجل من عُذرة قال :

كنتُ تِرباً لجميل وكان يألَفني، فقال لي ذاتَ يوم : هل تساعدني على لقاء بثينة ؟ فمضيتُ معه، فكَمَن لي في الوادي وبعث بي الى راعي بُثينة بخاتمه، فدفعتُه اليه، فمضى به اليها ثم عاد بموعِد منها اليه . فلما كان الليلُ جاءته فتحدّثا طويلاً حتى أصبحا ثم ودّعها وركب ناقته . فلما استوى في غَرزِها[1] وهي باركة قالت له : ادنُ منّي يا جميل :

صوت

إنّ المنازل هيّجتْ أطرابي ... واستعجمتْ آياتُها بجوابي
قَفراً تَلوح بذي اللُّجَين كأنها ... أنضاء رَسمٍ أو سُطورُ كتابِ
لما وَقفتُ بها القَلوصَ تبادرتْ ... مني الدموعُ لفُرقة الأحباب
وذكرتُ عصراً يا بثينةُ شاقَني ... وذكرتُ أيامي وشَرخَ شبابي

الغناء في هذه الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أرسل كثيّراً الى بثينة ليستجدّ منها موعداً :

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا إسحاق

---

(١) الغرز : ركاب الرحل من جلد .

الموصليّ عن السَّعيديّ، وأخبرني محمد بن مَزيد قال حدثنا حمَّاد عن أبيه قال حدثنا أبو مالكٍ النَّهديّ قال :

جلس الينا كثيّر ذاتَ يوم فتذاكرنا جميلاً؛ فقال : لقيني مرّةً فقال لي : من أين أقبلت ؟ قلتُ : من عند أبي الحبيبة (أعني بثينة). فقال : والى أين تمضي ؟ قلت : الى الحبيبة (أعني عَزّة). فقال : لا بدّ من أن ترجع عَودك على بَدئك فتستجدّ لي موعداً من بُثَينة . فقلت : عهدي بها الساعةَ وأنا أستحي أن أرجع . فقال : لا بدّ من ذلك . فقلت له : فتى عَهدُك ببُثينة ؟ فقال : في أول الصيف وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادي الدَّوم[1] فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تَغسِل ثيابها؛ فلما أبصرتني أنكرتْني، فضربتْ بيديها الى ثوب في الماء فالتحفتْ به، وعرَفتني الجاريةُ، فأعادت الثوب في الماء، وتحدّثنا حتى غابت الشمس . وسألتُها الموعد فقالت : أهلي سائرون؛ وما وجدتُ احداً آمَنُه فأرسلَه اليها . فقال له كثيّر : فهل لك في أن آتيَ الحيَّ فأنزعَ[2] بأبياتٍ من شعرٍ أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدِر على الخلوة بها ؟ قال : ذلك الصوابُ، فأرسله اليها؛ فقال له : انتظرْني . ثم خرج كثيّر حتى أناخ بهم . فقال له أبوها : ما رَدَّكَ ؟ قال : ثلاثةُ أبياتٍ عرَضتْ لي فأحببتُ أن أعرِضها عليكَ . قال : هاتِها . قال كثيّر : فأنشدته وبُثينة تسمع :

فقلتُ لها يا عزّ أرسلُ صاحبي ... اليكِ رسولاً والموكَّلُ مُرسَلُ
بأن تجعلي بيني وبينكِ موعداً ... وأن تأمُريني ما الذي فيه أفعل
وآخرُ عهدي منكِ يومَ لقيتِني ... بأسفلِ وادي الدَّومِ والثوبُ يُغسَل

قال : فضربتْ بُثينة جانبَ خِدرها وقالت : إخسأ إخسأ ! فقال أبوها : مَهْيَمْ[3]؟

(١) وادي الدوم : واد معترض من شمالي خيبر الى قبليها .

(٢) نزع الشعر : تمثل به .

(٣) مهيم : ما أمرك، ما شأنك .

يا بُثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوّم الناسُ من وراء الرّابية . ثم قالت للجارية : ابغينا من الدّوماتِ حطباً لنذبح لكثيّر شاةً ونشويها له . فقال كثيّر : أنا أعجَل من ذلك . وراح الى جميلٍ فأخبره . فقال له جميل : الموعدُ الدّوماتُ : وقالت لأم الحسين وليلى ونُجيّاً بناتِ خالتها وكانت قد أنسَتْ اليهنّ واطمأنّتْ بهنّ : إني قد رأيتُ في نحو نشيدِ كثيّر أن جميلاً معه . وخرج كثيّر وجميلٌ حتى أتيا الدّوماتِ، وجاءت بُثينة ومن معها، فما برِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فكان كثيّر يقول : ما رأيت مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل علِم أحدهما بضمير الآخر ! ما أدري أيّهما كان أفهمَ !

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ، وأخبرني عمي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ قال، قال لي صالح بن حسّان :

هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَملة وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصّف تقصُّفاً ؟ قلتُ : لا . قال : قد أجلتُك حولاً . قلتُ : لا أدري ما هو ! فقال قولُ جميل :

ألا أيها النُّوّامُ وَيحكُمُ هُبُّوا

كأنه أعرابيّ في شَملة . ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال :

أسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ

كأنه من كلام مُخنّثي العقيق .

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال أخبرنا عبد الله ابن أبي كَريم عن أبي عمرو وإسحاقَ بن مَروان قال :

عشق جميلٌ بثينة وهو غلام، فلما بلغ خطَبها فمُنع منها، فكان يقول فيها الأشعارَ، حتى اشتهر وطُرد، فكان يأتيها سِراً ثم تزوَّجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خُفية الى أن استعمل دَجاجةُ بن رِبعِيّ على وادي القُرى فشكوْه اليه فتقدَّم اليه ألا يُلِمَّ بأبياتها وأهدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها، فاحتبس حينئذٍ.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثنا أحمد بن أبي العَلاء قال حدثني إبراهيم الرَّمَّاح قال حدثنا جابر أبو العَلاء التَّنوخيّ قال:

لما نذَر أهلُ بُثينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يَصعَد بالليل على قُورٍ[1] رملٍ يتنسَّم الريحَ من نحو حَيّ بُثينة ويقول:

أيا ريحَ الشَّمالِ أما ترَيني ... أهِيمُ وأنني بادي النُّحولِ
هَبي لي نَسمةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنّي بالهُبوب الى جَميلِ
وقولي يا بُثينةُ حَسْبُ نفسي ... قليلُك أو أقلُّ من القليل

فاذا بدا وَضَحُ الصبح انصرف. وكانت بثينة تقول لجوارٍ من الحيّ عندها: وَيحكُنّ! إني لأسمع أنينَ جميل من بعض الغِيرانِ؟ فيقلن لها: اتّقي الله! فهذا شيء يخيّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له.

تذاكر هو وكثيّر شعريهما في العشق وبكيا:

حدثني أحمد بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن نُعَيم قال حدثني أحمد بن يَعلَى قال حدثني سُوَيد بن عِصام قال حدثني رَوح أبو نعيم قال:

---

(١) القور: الآكام العظيمة، واحدها قارة.

إلتقى جميلٌ وكثيِّر فتذاكرا النسيب؛ فقال كثيِّر: يا جميل، أترى بُثينة لم تسمع بقولك:

يقيكِ جميل كلَّ سوءٍ، أما له لديكِ حديثٌ او اليكِ رسولُ
وقد قلتُ في حبّي لكم وصَبابتي مَحاسن شعرٍ ذِكرُهنّ يَطول
فان لم يكن قولي رضاكِ فعلّمي هُبوبَ الصَّبا يا بَثْن كيف أقول
فما غاب عن عيني خيالُكِ لحظةً ولا زال عنها، والخيالُ يَزُول

فقال جميل: أترى عَزّة يا كثيِّر لم تسمع بقولك:

يقول العِدا يا عَزّ قد حال دونكم شجاعٌ على ظهر الطريق مُصَمّمُ
فقلتُ لها واللهِ لو كان دونكم جهنّمُ ما راعتْ فؤادي جهنّم
وكيف يَرُوع القلبَ يا عزّ رائعٌ ووجهكِ في الظّلماء للسَّفْر مَعلَم
وما ظلمتْكِ النفسُ يا عَزّ في الهوى فلا تنقمي حبّي فما فيه مَنْقَم

قال: فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا.

واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب:

وقال الهيثم بن عديّ ومن ذكر روايته معه من أصحابه:

زار جميلٌ بُثينة ذاتَ يومٍ، فنزل قريباً من الماء يترّصد أمَةً لها أو راعية، فلم يكن نزوله بعيداً من ورود أمَة حبشيّة معها قِربةٌ، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه. فسلّمتْ عليه وجلست معه، وجعل يحدّثها ويسألها عن اخبار بُثينة ويحدّثها بخبره بعدها ويُحمّلها رسائله. ثم أعطاها خاتمه وسألها دَفعَه الى بُثينة وأخذَ موعدٍ عليها، ففعلتْ وانصرفتْ الى أهلها وقد أبطأتْ عليهم. فلقيها أبو بُثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها، فالتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلّلتْ؛ فضربوها ضرباً

مبرِّحاً؛ فأعلمتهم حالها مع جميل ودفعتْ اليهم خاتمه. ومرَّ بها في تلك الحال فَتَيان من بني عُذْرة فسمعا القصّة كلّها وعرفا الموضعَ الذي فيه جميل، فأحبّا أن يُثبِّطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتُم جميلاً وليست بُثينة معه ثم قتلتُموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه؛ وأهلُ بُثينة أعزُّ عُذرة، فدعُوا الأمَة توَصِّل خاتمه الى بُثينة فاذا زارها بَيِّتُموهما جميعاً؛ قالوا: صدقتما لعَمري إنّ هذا الرأيُ. فدفعوا الخاتم الى الأمَة وأمروها بإيصاله وحذّروها أن تُخبر بثينةَ بأنهم علِموا القِصّة، ففعلتْ. ولم تعلم بثينةُ بما جرى. ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلاً؛ فقال: واللهِ ما أرهَبهم، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً والله لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم، وهذا سيفي والله ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبانُ الجَنان. فناشداه اللهَ وقالا: البقيّة أصلح، فتُقيم عندنا في بيوتنا حتى يَهدأ الطلب، ثم نبعثُ اليها فتزورُك وتقضي من لقائها وَطراً وتنصرفُ سليماً غيرَ مُؤَبَّن[1]. فقال أمّا الآنَ فابعثا اليها من يُنذرها؛ فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له: قلْ بحاجتك؛ فقال: ادخلي اليها وقولي لها: إني أردتُ اقتناصَ ظبي فحذّره ذلك جماعةٌ اعتوَرُوه من القَنّاص ففاتَني الليلةَ. فمضتْ فأعلمتْها ما قال لها؛ فعرفتْ قصتَه وبحثتْ عنها فعرفتْها؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلةَ ورَصدوها فلم تَبرحْ مكانَها ومَضَوْا يَقتصُّون أثَرَه فرأوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك:

خليليَّ عُوجَا اليومَ حتى تسلِّما ... على عَذْبةِ الأنيابِ طيِّبةِ النَّشرِ
ألِمَّا بها ثم اشفَعا لي وسلِّما ... عليها سقاها اللهُ من سَبَلِ القَطْرِ

* * *

إذا ما دَنتْ زِدتُ اشتياقاً وإن نأتْ ... جَزِعتُ لنأيِ الدار منها وللبُعدِ
أبَى القلبُ إلا حبَّ بَثنةَ لم يُرِدْ ... سِواها وحبُّ القلبِ بَثنةَ لا يُجدي

(١) غير مؤبن: غير معيب.

قال : وقال أيضاً : ومن الناس من يُضيف هذه الأبياتَ الى هذه القصيدة؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القوافي تدلّ على أنها مفردةٌ عنها، وهي :

ألم تَسأل الدارَ القديمةَ هل لها ... بأمّ جُسَيرٍ بعد عهدكَ من عهدِ

وفيها يقول :

صوت

سَلي الرَّكبَ هل عُجنا لِمَغناكِ مَرّةً ... صدورَ المطايا وهي مُوقَرَةٌ تَخدي
وهل فاضتِ العينُ الشَّروقُ بمائها ... مِنَ أجلِكِ حتى اخضلَ من دمعها بُرْدِي

– الغناء لأحمد بن المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى : –

وإنّي لأستَجري لكِ الطيرَ جاهداً ... لتجري بيُمنٍ من لقائِك من سعدِ
وإنّي لأستَبكي إذا الركبُ غَرّدُوا ... بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يحدي
فهل تجزَيَنّي أمُّ عمروٍ بودِّها ... فإنّ الذي أخفي بها فوقَ ما أبدي
وكلُّ محبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جَهدِه ... وقد زدتُها في الحبّ منّي على الجهد

قصته مع أم منظور :

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهلول بن سليمان البَلَويّ :

انّ رهط بُثينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يَثِقون بها يقال لها أمّ منظور . فجاءها جميل فقال لها : يا أمَّ منظور، أَريني بثينةَ . فقالت : لا ! والله لا أفعل ، قد ائتمنوني عليها . فقال : أمَا والله لأضرّنّكِ؛ فقالت : المَضرّةُ والله في أن أُريكها . فخرج من عندها وهو يقول :

ما أنسَ لا أنسَ منها نظرةً سلفتْ بالحِجرِ[١] يومَ جلتها أمُّ منظورِ
ولا انسلابتَها خُرساً جبائرُها إليَّ من ساقِطِ الأرواقِ مستور

قال : فما كان إلّا قليلٌ حتى انتهى اليهم هذان البيتان . قال : فتعلّقوا بأمّ منظور فحلَفتْ لهم بكلّ يمينٍ فلم يقبلوا منها . هكذا ذكر الزُّبير بن بكّار في خبر أمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثني العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِي، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدِيّ :

أن رجلًا أنشد مُصعبَ بنَ الزُّبير قولَ جميل :

ما أنسَ لا أنسَ منها نظرةً سلفتْ بالحِجر يومَ جلتها أمّ منظورِ

فقال : لودِدتُ أنّي عرفتُ كيف جلتها . فقيل له : إن أم منظور هذه حيّة . فكتبَ في حملِها اليه مكرّمةً فحُمِلتْ اليه . فقال لها : أخبريني عن قول جميل :

ما أنس لا أنس منها نظرةً سلفتْ بالحِجر يومَ جلتها أمّ منظورِ

كيف كانت هذه الجلوة ؟ قالت : ألبستُها قِلادةَ بلَحٍ ومِخنقةَ بلَحٍ واسطتُها تفّاحةٌ، وضفَرتُ شعرَها وجعلت في فَرقها شيئاً من الخلوق . ومرّ بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر اليها بمُؤخِر عينه ويلتفت اليها حتى غاب عنا . فقال لها مُصعَب : فإني أقسِم عليكِ إلّا جلوتِ عائشةَ بنت طلحة مثلَ ما جلوتِ بثينةَ ، ففعلتْ . وركب مُصعَبٌ ناقته وأقبل عليها وجعل ينظر الى عائشةَ بمُؤخِر عينه ويسير حتى غاب عنها ثم رجع .

(١) الحجر : اسم موضع .

زارها مرة متنكراً في زي سائل :

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني بُهلول عن بعض مشايخه :

أنّ جميلًا جاء الى بُثينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحيّ، فوجد عندها ضِيفاناً لها، فانتَبَذ ناحيةً، فسألته : من أنت؟ فقال : مسكينٌ مُكاتَب، فجلس وحدَه، فعشّتْ ضِيفانَها وعشّته وحدَه. ثم جلستْ هي وجاريةٌ لها على صِلائها واضطجع القوم مُنتَجِين . فقال جميلٌ :

واعدته مرة وأحس أهلها فمنعوها :

هل البائسُ المقرورُ دانٍ فمُصطَلٍ من النار أو مُعطًى لِحافاً فلابسُ

فقالت لجاريتها : صوتُ جميلٍ والله! اذهبي فانظري! فرجعتْ اليها فقالت : هو والله جميل! فشهقت شهقةً سمعها القومُ فأقبلوا يجرُون وقالوا مالكِ ؟ فطرحتْ بُرداً لها من حِبَرَةٍ في النار وقالت : احترق بُردي، فرجع القومُ. وأرسلتْ جاريتَها الى جميل، فجاءتها به، فحبسته عندها ثلاثَ ليالٍ، ثم سلّم عليها وخرج .

وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم :

كانت بُثينة قد واعدت جميلًا للالتقاء في بعض المواضع، فأتى لوَعدها . وجاء أعرابيٌّ يَستضيف القومَ فأنزلوه وقَرَوه، فقال لهم : إني قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتوارِينَ في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلّوا[١] بعض

(١) السل : انتزاع الشيء واغتصابه .

إبلكم . فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده . فلما أسفَرَ له الصبحُ انصرف كئيباً سيّئَ الظنِّ بها ورجع الى أهله ، فجعل نساءُ الحيِّ يُقرِّعنه بذلك ويقلن له : إنما حصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرُها أولى بوَصلِك منها، كما أن غيرك يَحظى بها . فقال في ذلك :

أَبثين إنكِ قد مَلكتِ فأسجحي ‍ ‍ ‍ ‍ وخُذي بحظِّكِ من كريم واصل

صوت

فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها ‍ ‍ ‍ ‍ بالجدِّ تَخلِطُه بقول الهازلِ
فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ ‍ ‍ ‍ ‍ حُبّي بثينةَ عن وصالكِ شاغلي
لو كان في قلبي كقَدْرِ قُلامةٍ ‍ ‍ ‍ ‍ فضلاً وصلتُكِ أو أتتكِ رسائلي

— الغناء ليحيى المكيّ ثقيلٌ أولُ بالوسطى من رواية أحمد : —

ويَقُلنَ أنك قد رضيتَ بباطلٍ ‍ ‍ ‍ ‍ منها فهل لكَ في اجتناب الباطلِ
ولَباطلٌ ممن أحبُّ حديثَه ‍ ‍ ‍ ‍ أشهى إليَّ من البَغيض الباذلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر عمر أنه ليزيد حَوراء .

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها :

وذكر الهيثم بن عَديّ وأصحابُه أن جماعةً من بني عُذرةَ حدّثوا أن جميلاً رَصد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ في نُجعةٍ لهم، حتى إذا صادف منها خلوةً سكر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظلماءَ ذاتِ غيم وريح ورعد، فحذفها بحصاةٍ فأصابتْ بعضَ أترابها، ففزِعتْ وقالت : والله ما حذفني في هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجنُّ ! فقالت لها بثينةُ وقد فطِنتْ : إن جميلاً فعل ذلك فانصرفي ناحيةً الى منزلكِ حتى ننام،

فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثينةَ أمُّ الجُسَيرِ وأمُّ منظور، فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها وتحدثا طويلاً، ثم اضطجع واضطجعتْ الى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به اليها، فرآها نائمةً مع جميل، فمضى لوجهه حتى خبّر سيّدَه. ورأته ليلى والصَّبوحُ معه وقد عرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثتْ بجارية لها وقالت حذّري بثينةَ وجميلاً، فجاءت الجاريةُ فنبّهتها. فلما تبيّنتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاء والناسَ منتشرين ارتاعتْ وقالت: يا جميلُ! نفسَك نفسَك! فقد جاءني غلامُ نُبَيهٍ بصَبوحي من اللبن فرآنا نائمَيْن! فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خوّفته منه:

لعَمرُكِ ما خوّفتِني من مَخافةٍ ... بُثينَ ولا حذّرتِني موضعَ الحَذَرْ
فأقسِمُ لا يُلفى ليَ اليومَ غِرّةٌ ... وفي الكفِ منّي صارمٌ قاطعٌ ذَكَرْ

فأقسمتْ عليه أن يلقيَ نفسَه تحت النَّضَدِ(١) وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، واضطجعتْ أمّ الجُسَيرِ الى جانبها وذهبتْ خادم ليلى اليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضي إلى سيّده فمضى والصَّبوح معه وقال له: إني رأيتُ بُثينة مُضطجعةً وجميلٌ الى جنبها. فجاء نُبيه الى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرّفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم الى بُثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوبَ فإذا أمُّ الجُسَيرِ الى جانبها نائمة. فخجل زوجُها وسبّ عبدَه وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قبحكما اللهُ! أفي كلّ يوم تفضحان فتاتكما ويَلقاكما هذا الأعور فيها بكلّ قبيح! قبحه اللهُ وإياكما! وجعلا يَسُبّان زوجَها ويقولان له كلّ قول قبيح. وأقام جميل عند بثينةَ حتى أجنّه الليلُ ثم ودّعها وانصرف. وحذِرتهم بُثينة لِما جرى من لقائه إيّاها فتحامته مدّةً، فقال في ذلك:

---

(١) النضد: متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض.

صوت

أأن هتفتْ ورقاءُ ظلْتَ سَفاهةً ... تُبكّي على جُملٍ لورقـاءَ تهتِفُ
فلو كان لي بالصرم يا صاحِ طاقةٌ ... صرمتُ ولكنّي عن الصرم أضعَفُ

للهُذَليّ في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقيلٌ اول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وذكر غيرُه أنه لابن جامع. وفيه لبَذْل الكُبرى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المكي. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله :

صوت

لها في سَواد القلب بالحبّ مَيـعةٌ ... هي الموتُ أو كادت على الموت تُشرِفُ
وما ذكرْتكِ النفسُ يا بَـثنَ مرّةً ... من الدهر إلا كادتِ النفسُ تَتلَف
وإلا اعترتْني زَفرةٌ واستكانةٌ ... وجاد لها سَجلٌ من الدمـع يَذرِف
وما استَطرفتْ نفسي حديثاً لُخلّـةٍ ... أُسَرُّ به إلا حديثُـكِ أطرَف

الغناء لابراهيمَ ثقيلٌ اول بالوُسطى عن الهشاميّ. واول هذه القصيدة :

أمِن منزلٍ قفـرٍ تعفّتْ رُسومُه ... شَمالٌ تُغاديـه ونَكباءُ حرجَفُ (١)
فأصبح قفراً بعـد ما كان آهِلاً ... وجُملُ المُنى تَشتو بـه وتَصيَّف
ظَللتُ ومُستَنٌّ (٢) من الدمع هاملٌ ... من العينِ لما عُجتُ بالدّارِ يَنزِف
أمُنصِفتي جُملٌ فتَعـدِلَ بيننا ... إذا حكمتْ والحاكمُ العَدلُ يُنصِف

---

(١) النكباء : الريح التي انحرفت عن مهب الرياح . والحرجف : الباردة الشديدة الهبوب .

(٢) مستن : منصب .

تعلّقتُهـا والجسمُ منّي مسحّحٌ فما زال يَنمي حُبُّ جُمْلٍ وأضْعفُ
إلى اليوم حتى سَلّ جسمي وشفّني وأنكرتُ من نفسي الذي كنتُ أعرفُ
قَناةٌ من المُرّانِ[١] ما فوقَ حَقوِها وما تحتَه منهـا نَقاً يتقصّفُ
لها مُقلَتا ريمٍ وجيدُ جدايةٍ[٢] وكَشحٌ كطيّ السابريّةِ[٣] أهيَفُ
ولستُ بناسٍ أهلَها حينَ أقبلوا وجالُوا علينا بالسيوفِ وطوّفوا
وقالوا جَميلٌ باتَ في الحيّ عندها وقد جرّدوا أسيافَهم ثم وَقّفوا
وفي البيت لَيثُ الغابِ لولا مَخافةٌ على نفس جُملٍ والالهِ لأُرعِفوا[٤]
همَمتُ وقد كادتْ مِراراً تطلّعتْ إلى حَربِهم نفسي وفي الكفِّ مُرهَفُ
وما سرّني غيرُ الذي كان منهمُ ومنّي وقد جاءوا اليّ وأوجَفوا
فكم مُرتَجٍ أمراً أُتيح له الرّدى ومن خائفٍ لم يَنتقِصه التخوّفُ

حدثني عمي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمَريّ ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَديّ قال، قال لي صالح بن حسان :

هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ من شَملة وآخِرُه مخنَّث يتفكّكُ من مخنّثي العَقيق؟ فقلت : لا أدري . قال : قد أجلتُك فيه حولًا . فقلت : لو أجلتَني حولَين ما علمتُ . قال : قولُ جميل :

ألا أيّها النُّوّامُ وَيحكُمُ هُبّوا

(١) المران : الرماح .

(٢) الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء اذا بلغت ستة أشهر .

(٣) السابري : الرقيق من الثياب .

(٤) أرعفه : أعجله .

هذا أعرابيٌّ في شَملة . ثم قال :

نسائلكم هل يقتُل الرجلَ الُحبُّ

كأنه واللهِ من مخنَّثي العَقيق . في هذا الشعر غناء، نسبتُه وَشرُحه :

صوت

ألا أيُّها النُّوَّام وَيحكُمُ هُبُّوا نسائلكم هل يقتُل الرجلَ الُحبُّ

ألا رُبَّ رَكْبٍ قد دَفعتُ وَجيفَهم (١) اليكِ ولولا أنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

الغناء لابن مُحرز خفيفُ رَمَلٍ بالسبَّابة والوُسطى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنسُبه الى أحد . وفيه لسُلَيم ماخُوريٌّ عن الهشاميّ . وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مَجرى الوسطى عن إسحاق، وقيل : إنه لمَعبَد . وفيه لعَريبَ هَزَجٌ من روايةِ ابن المعتزّ . وذكر عبد الله بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الاول وان خفيف الرَّمَل لابن سُرَيج وأن الهزج لَحمدونةَ بنتِ الرَّشيد .

أخبرنا الُحسين بن يحيى المِرداسيّ قال أخبرنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عَباية الُحرزيّ عن شيخ من رَهطِ جميلٍ من عُذْرةَ :

أن بُثينة لما عَلِقتْ حُجنةَ الهِلاليّ جَفاها جميلٌ . قال : وأنشدني لجميلٍ في ذلك :

صوت

بَينا حِبالٌ ذاتُ عَقدٍ لبُثنةٍ أُتيحَ لها بعضُ الغُواة فحَلَّها

(١) الوجيف : سرعة السير .

فعُدنا كأنَّا لم يكن بيننا هوًى — وصار الذي حلّ الحبالَ هوًى لها
وقالوا نراها يا جميلُ تبدَّلت — وغيّرها الواشي فقلتُ لعلّها

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبع ولم ينسبه الى أحد.

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو عوف عن عبد الرحمن بن مُقرِن قال:

بعثني المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لي: اعمل برأي ابن نُفَيس؛ فكنت أفعل ذلك، وأغشى ابنَه، وكانت له جارية مغنّية قد كَلِفَ بها فتًى من آل عثمانَ بنِ عفّان، فكان يبيع عُقدةً[1] عقدة من ماله وينفق ثمنَها عليها. وابتُلي برجل من أهل إفريقيّة ومعه ابن له، فغَشِي ابنُ الإفريقِيّ بيتَ ابن نُفَيس فجعل يَكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيَّ. فقُضِيَ أن اجتمعنا عشيّةً عندها وحضر ابنُ الإفريقيّ والعثمانيُّ؛ فنزع ابنُ الإفريقيّ خُفَّه فتناثر المِسكُ منه، وأراد العثمانيُّ أن يَكِيدَه بفعله. فجلسنا ساعةً؛ فقال لها ابن الإفريقيّ: غنّي:

بَينا حِبالُ ذاتُ عَقدٍ لِبَثْنةٍ — أُتيح لها بعضُ الغُواةِ فحلَّها

يعرِّض بالعثمانيّ. فقال لها العثمانيّ: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غنّي:

ومن يرعَ نجداً يُلفِني قد رعَيته — بجُنبَيْه الأولى ويُوردْ على وِرْدي

قال: فنكس ابن الإفريقيّ رأسه وخرج العثمانيُّ فذهب، وحَمِد أهلُ البيت فما انتفعوا بقيّة يومهم.

---

(١) العقدة: الضيعة.

شعره حين زوّجت بثينة نبيها :

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي وبُهلول ابن سليمانَ البَلَويّ :

أن جميلاً قال لما زُوِّجتْ بُثينةُ نُبَيهاً :

صوت

أَلا نادِ عيراً[1] من بُثينةَ تَرتَعي   نودِّعْ على شَحطِ النّوى ونُودِّعِ
وَحثّوا على جمع الرِّكابِ وقرِّبوا   جِمالاً ونُوقاً جِلّةً لم تَضعضَعِ

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيج عن الهشاميّ. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة :

صوت

أُعيذُكِ بالرحمن من عَيشِ شِقوةٍ   وأن تَطمَعي يوماً إلى غير مَطمَعِ
اذا ما ابنُ ملعونٍ تَحدَّرَ رَشحُهُ   عليكِ فمُوتي بعد ذلك أو دَعي
مَلِلنَ ولم أَملَلْ وما كنتُ سائماً   لأجمال سُعدى ما أَنَخنَ بجعجعِ[2]
وَحثّوا على جَمعِ الرِّكابِ وقرِّبوا   جِمالاً ونُوقاً جِلَّـةً لم تَضعضَعِ
ألا قد أرى إلّا بُثينةَ هاهنـا   لنا بعد ذا المُصطافِ والمتربَّعِ

---

(١) العير : القافلة .

(٢) جعجع : موضع بعينه .

لَمعبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ اول بالِخنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن سُرَيج في الاول والثاني والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وللأبجَر في الاول والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِنصر . وفي الاول والثاني خفيفُ ثقيلٍ يُنسَب الى معبد وغيره، ولم تُعرَف صحتُه من جهةٍ يُوثَق بها.

شعره لما أبعده السلطان عن بثينة :

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال أنشدنا بُهلول بن سليمان لجميل لما بعُد عن بُثينةَ وخاف السلطانَ، وكان بُهلولٌ يُعجَب به :

أَلا قد أرى إلا بُثينة للقلبِ ... بوادي بَدًا لا بحِسْمى ولا الشَّغْبِ [1]
ولا ببُصاقٍ [2] قد تيَمَّمتَ فاعترفْ ... لما أنت لاقٍ أو تنكَّبْ عن الركب
أفي كلّ يومٍ أنت مُحدِثُ صَبوةٍ ... تموت لها بُدِّلتُ غيرَك من قلب

حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها :

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزُّهريّ عن سليمانَ بن صخر الحرشيّ قال حدثنا سليمان بن زياد الثقفيّ :

أن بُثينة دخلتْ على عبد الملك بن مروان . فرأى امرأةً خلفاءَ [3] مولّية؛ فقال

---

(١) بدا : موضع بوادي عذرة قرب الشام . وحسمى (بكسر اوله) : موضع وراء وادي القرى مما يلي بلاد فلسطين . وشغب : ضيعة خلف وادي القرى .

(٢) بصاق : موضع قريب من مكة .

(٣) الخلفاء : الحمقاء .

لها : ما الذي رأى فيكِ جميلٌ ؟ قالت : الذي رأى فيكَ الناسُ حين ٱستخلفوك. فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌ سوداء كان يسترُها .

أَخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمر بن إبراهيم العُوَيثيّ :

أن جَمَل جميل الذي كان يزور عليه بثينةَ يقال له « جَديل » وفيه يقول :

أَنَختُ جَديلًا عند بَثْنةَ ليلةً ويوماً أطال اللهُ رَغمَ جَديلِ
أليس مُناخُ النِّضو يوماً وليلةً لبَثْنةَ فيا بيننا بقليلِ ؟

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني أبو غسّان محمد بن يحيى المكي :

أنّ جميلًا لما ٱشتهرتْ بثينةُ بحبّه إياها اعترضه عُبيد الله بن قُطبةَ أحد بني الأَحَبّ وهو من رَهطها الأدنَينَ فهجاه؛ وبلغ ذلك جميلًا فأجابه، وتطاولا فغلَبه جميل وكَفّ عنه ٱبن قُطبة، وٱعترضه عُمَير بن رَمْل (رجلٌ من بَني الأَحبّ) فهجاه . وإياه عنى جميلٌ بقوله :

إذا الناسُ هابُوا خِزيَةً ذهبتْ[1] بها أَحبُّ المَخازي كَهلُها ووَليدُهَا
لَعَمرُ عَجوزٍ طَرَقَتْ[2] بكَ إنني عُمَيرَ بنَ رَمْلٍ لَابنُ حَربٍ أُقودُها
بنَفسي فلا تَقطَعْ فؤادكَ ضَلَّةً كذلك حَزْني وَعثُها وصَعودُها

قال : فاستعدوْا عليه عامرَ بن رِبعِيّ بن دَجاجة، وكانت اليه بلادُ عُذْرة، وقالوا :

(١) يريد : أخذتها واستمسكت بها .

(٢) يريد : حملت بك .

يهجونا ويَغشى بيوتَنا وينسُبُ بنسائنا ! فأباحهم دمَه، وطُلِبَ فهرَب منه . وغضبتْ بُثينة لهجائه أهلَها جميعاً . فقال جميل :

وما صائبٌ من نابلٍ قذَفتْ به يــدٌ وممَرٌّ[1] العُقدتينِ وَثيقُ
له من خوافي النَّسرِ حُمٌّ نظائرٌ ونَصلٌ كنَصلِ الزَّاعِبيِّ فَتيقُ[2]
على نَبعةٍ[3] زَوراءَ أمّا خِطامُها فمَتْنٌ وأمّا عودُها فعَتيقُ
بأوشكَ قتلاً منكِ يوم رميتِني نَوافِذَ لم تَظهر لهنَّ خُروقُ
تَفرَّقَ أهلانا بُثينَ فمنهمُ فريقٌ أقاموا واستمَرَّ فريقُ
فلو كنتُ خَوّاراً لقد باحَ مُضمَري ولكنّني صُلبُ القَناةِ عَريقُ
كأنْ لم نُحارِبْ يا بُثينَ لو أنّه تَكشَّفُ غُمّاها وأنتِ صديقُ

قال ويدلّ على طلب عامر بن ربعيّ إيّاه قوله :

أَضَرَّ بأخفافِ البُغَيلةِ أنّها حِذارَ ابنِ رِبعيّ بهنّ رُجومُ[4]

هرب الى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر الى الشام :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدثنا محمد بن عبد الله الخزنبل الأصبهانيّ قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال حدثني بعضُ رُواة عُذرة :

---

(١) ممر العقدتين يعني وتراً . والممر : الشديد الفتل .

(٢) الفتيق : الحاد الرقيق .

(٣) النبع : شجر من اشجار الجبال تتخذ منه القسيّ . وزوراء : معوجة . وخطام القوس : وترها . ومتن : قوي . وعتيق : قديم .

(٤) الرجوم : اضطرام العدو أي شدّة السير .

أن السلطان أهدر دمَ جميلٍ لرَهط بُثينة إن وجدوه قد غشِيَ دُورَهم . فحذِرهم مدّة، ثم وجدوه عندها، فأعذَروا اليه وتوعّدوه وكرِهوا أن يَنشَب بينهم وبين قومه حربٌ في دمِه، وكان قومُه أعز من قومها، فأعادوا شكواه الى السلطان، فطلبه طلباً شديداً، فهرب الى اليمن فأقام بها مدّة . وأنشدني له في ذلك :

ألَمَّ خيالٌ من بُثينةَ طارقُ   على النّأيِ مُشتاقٌ اليَّ وشائقُ
سَرَت من تِلاعِ الحِجرِ حتى تخلّصتْ   إليَّ ودُوني الأشعَرُون وغافِق[1]
كأنَّ فَتيتَ المسك خالط نَشرَها   تُغَلُّ[2] بـه أردانُها والمرافق
تقوم اذا قامت بـه عن فِراشها   ويَغدُو به من حِضنِها من تُعانِق

قال أبو عمرو وحدثني هذا العُذريّ :

أن جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزل ذلك الوالي عنهم، وانتجعوا ناحيةَ الشام فرحَل اليهم . قال : فلَقِيتُه فسألتُه عما أحدث بعدي؛ فأنشدني :

سقى منزلَينا يا بُثَين بحاجرٍ   على الهَجرِ منّا صَيفٌ ورَبيعُ
ودُورَكِ يا ليلى وإن كُنَّ بَعدنا   بَلِينَ بِلًى لم تَبلَهُنَّ رُبوع
وخيامِكِ اللاتي بمُنعَرَجِ اللِّوى   لقُمرِيِّها بالمُشرِقَين سجيع
تُزعزِعُ[3] منها الريحُ كلَّ عشيّةٍ   هَزيمٌ بسُلّافِ الرياح رَجيـع

---

(١) الأشعرون : جمع أشعرى، نسبة الى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وغافق : قبيلة .

(٢) غل الدهن في رأسه وفي ثوبه : أدخله فيه .

(٣) زعزعت الريح الشجر ونحوه : حركته . والهزيم : صوت الرعد . وسلاف الرياح : متقدماتها . ورجيع : مردّد، وهو نعت لهزيم .

وإنّيَ أن يَعلى بكِ اللّومُ أو تُريْ بدارِ أذًى من شامتٍ لَجَزُوعُ
وإنّي على الشيء الذي يُلتوى به وإن زَجرَتني زَجرةً لَوريعُ[1]
فَقَدْتُكِ من نَفسٍ شَعاعٍ فإنّني نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ
فقرّبتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ هناكَ ثنايا ما لهنَّ طُلوعُ
يقولون صَبٌّ بالغواني مُوكَّلٌ وهل ذاكَ من فعل الرجال بَديعُ!
وقالوا رعيتَ اللّهوَ والمالُ ضائعٌ فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشاميّ وابن خُرداذْبَهْ وإبراهيم. وذكر حَبَشٌ أنّ في هذه الأبيات لإسحاقَ لحناً من الثقيل بالوسطى؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه. ومن الناس من يُدخل هذه الابيات في قصيدة المجنون التي على رَويٍ وقافيةِ هذه القصيدة، وليست له.

أنشد كثيّر من شعره وقال هو أشعر الناس :

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن أبي عُبيدة عن أبيه قال :

دخل علينا كثيّر يوماً وقد أخذ بطرَف رَيطته وألقى طرَفها الآخر وهو يقول: هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

وخَبّرتُماني أنّ تَيماء منزلٌ لليلى إذا ما الصّيفُ ألقى المَراسيا
فهذي شهورُ الصيفِ عنّي قد انقضتْ فما للنّوى ترمي بليلى المَراميا

ويجرّ رَيطته حتى يبلغَ البِناء، ثم يولّي عنّا ويجرّها ويقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

---

(١) وريع : كاف .

وأنتِ التي إن شئتِ كدَّرتِ عِيشتي　　وإن شئتِ بعد الله أنعمتِ باليا
وأنتِ التي ما مِن صديقٍ ولا عِدًا　　يَرى نِضوَ ما أبقيتِ إلّا رَثى ليا

ثم يرجع الينا ويقول: هو والله أشعر الناس. فقلنا: مَن تَعني يا أبا صَخر؟ فقال: ومَن أعني سِوى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا! وتَيماء خاصّةً: منزلٌ لبني عُذرة، وليس من منازل عامر؛ وإنما يَرويه عن المجنون مَن لا يعلمه.

وفي هذه القصيدة يقول جميل:

وما زِلتُم يا بَثن حتى لَوَ انّني　　من الشوق أستبكي الحمامَ بَكى ليا
إذا خَدِرتْ رجلي وقيل شفاؤها　　دعاءُ حبيبٍ كنتِ أنتِ دُعائيا
وما زادني النّأيُ المُفرِّق بعدكم　　سُلوًّا ولا طولُ التلاقي تَقاليا
ولا زادني الواشون إلّا صَبابةً　　ولا كثرةُ الناهين إلا تَماديا
ألم تعلمي يا عَذبةَ الرِّيقِ أنني　　أَظلُّ إذا لم أَلقَ وجهكِ صاديا
لقد خِفتُ أن ألقى المنيَّة بَغتةً　　وفي النفس حاجاتٌ اليكِ كما هيا

أخبرنا الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدثني بعض أصحابنا عن محمد بن مَعن الغِفاريّ عن الأَصبَغ بن عبد العزيز قال:

كنت عند طَلحة بن عبد الله بن عَوف؛ فدخل عليه كُثَيِّر؛ فلما دخل من الباب أخذ برِجله فثناها ثم حجَل حتى بلَغ الفِراشَ وهو يقول: جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول:

وخَبَّرتُماني أنّ تَيماءَ منزلٌ

ثم ذكر باقيَ الخبر الذي رواه محمد بن مَزيَد.

يوم ذي ضال :

أخبرني الحرميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثني عمر بن إبراهيم السَّعديّ :

أنّ رهط بُثينة قالوا إنما يَتبَعُ جميلٌ أَمةً لنا . فواعد جميلٌ بُثينةَ حين لقيها ببَرقاء ذِي ضال، فتحادثا ليلًا طويلًا حتى أسحرا . ثم قال لها : هل لك أن ترقُدي؟ قالت : ما شئتَ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحنا . فوسَّدها جانبَه ثم اضطجعا ونامت؛ فأنسلّ وأستوى على راحلته فذهب، وأصبحتْ في مَضجَعها ، فلم يُرَعِ الحيُّ إلّا بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل . فقال جميل في ذلك :

فمَن يَكُ في حُبّي بُثينةَ يَمتَرِي فبَرْقاء ذي ضالٍ عليّ شهيدُ

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن شَبيب عن الحزامي عن فُلَيح بن إسماعيل بمثل هذه القصة، وزاد فيها : فلما أنتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها، فهجرته وآلتْ ألّا تَظهَر له، فقال :

ألا هل إلى إلمامةٍ أن أُلِمَّها بُثينةُ يوماً في الحياةِ سبيلُ؟
فإن هي قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها عَناءٌ على العُذريّ منكِ طويل
على حين يسلو الناسُ عن طَلَب الصِّبا وينسى أتِّباعَ الوصلِ منه خليل

شكاه أهلها الى قومه فلاموه :

وقال الهيثم وأصحابُه في أخبارهم :

تَشكّى زوج بُثينةَ الى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها . فوجّهوا الى جميل وأعذروا اليه وشكَوه إلى عَشيرته وأعذروا اليهم فيه وتوعّدوه، وأتاهم فلامه أهله وعنّفوه

وقالوا : إنا نَستحلِفُ اليهم ونتبرأ منك ومن جَريرتك . فأقام مدةً لا يُلِمّ بها، ثم لقي ابنيْ عمه رَوْقاً ومسعوداً، فشكا اليهما ما به وأنشدهما قوله :

وإني على الشيء الذي يُلتوى به   وإن زَجَرتني زَجرةً لوَريعُ
فقد تُكِ من نفسٍ شَعاعٍ فإنني   نهيتُكِ عن هـذا وأنتِ جميع
فقرَّبتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ   هناك ثَنايا مـا لهنّ طُلوع
يقولون صَبٌّ بالغـواني مُوَكَّلٌ   وهل ذاك من فعل الرجال بديع
وقالوا رَعيتَ اللهوَ والمالُ ضائعٌ   فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيـع

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زُهير قـال حدثني مُصعَب بن عبد الله قال :

كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزبير يقال لها فُليحة ، وكانت لها صبيَّةٌ يقال لها رخيَّة، قد رَبَّتها لغير رِشدة، وكانت من أجمل النساء وجهاً . فرأتْ محمداً وقد نظر اليها ذاتَ يوم نظراً شديداً، ثم تمثّل قولَ جميل :

بُثينةُ من صِنفٍ يُقلّبنَ أيديَ الرُّماة وما يَحمِلنَ قوساً ولا نَبـلا
ولكنّما يَظفَـرنَ بالصيد كلّما   جَلَونَ الثنايا الغُرَّ والأعيُنَ النُّجلا
يُخالسنَ مِيعاداً يُرَعنَ لقولهـا   إذا نطقتْ كانت مقالتُها فَصلا
يَرَينَ قريباً بيتَها وهي لا تَرى   سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سَهلا

فقالت له فُليحة : كأنك تريد رخيَّـة ! قال : إي والله ! قالت : إني أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشدة . فقال لها : إن الدَّنَس لا يَلحق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب . فقالت له : فما يضرُّ إذاً ! والله ما يضرّ إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك . فسُرّ بذلك وقال : أما والله لقد أعطيتُكِ خيراً منها . قالت : وما هو ؟ قال : أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إياها؛ لقد مكثتُ أسعى في طلبهـا حولَين . فضحِكتْ وقالت : ما لي ولأبياتِ جميلٍ ! والله ما أبتغيتُ إلا مَسرّتك.

قال : فولدتْ منه غلاماً . وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألّا يُبقيَه . فبينا محمدٌ في بعض هَرَبه من المنصور والجاريةُ وأبنُها معه إذ رَهِقها الطلبُ ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطَّع . فكان محمد بعد ذلك يقول : أُجيب في هذا الصبي دعاءُ فُلَيحة .

نصح أبوه له فردّ عليه ردّاً أبكاه وأبكى الحاضرين :

وقال الهَيثم بن عَدِيّ وأصحابُه في أخبارهم :

لمّا نذَر أهلُ بُثينة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قتلَه ، أعذَروا الى أهله . وكانت منازلهم متجاورة، إنما هم بُيوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين؛ ألم ترَ الى قول جميل :

أَبيتُ مع الهُلّاكِ[1] ضَيفاً لأهلها وأهلي قريبٌ مُوسِعونَ أُولو فَضلِ

فمشتْ مَشيَخةُ الحيّ الى أبيه – وكان يُلقَّب صُباحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر في أهله – فشكَوه اليه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وسألوه كفَّ أبنِه عمّا يتعرّض له ويفضَحهم به في فَتاتهم؛ فوعدهم كفَّه ومَنعَه ما أستطاع، ثم أنصرفوا . فدعا به فقال له : يا بُنيّ ! حتى متى أنت عَمِهٌ في ضلالك، لا تأنَف من أن تتعلّق بذات بَعل يخلو بها ويَنكِحها وأنت عنها بمَعزِل ثم تقوم من تحته اليك فتغُرّك بخِداعها وتُريك الصفاء والمودّة وهي مُضمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرّة لمن مَلَكها، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً، فاذا أنصرفتَ عنها عادتْ الى بَعلها على حالتها المبذولة؛ إن هذا لَذُلٌّ وَضَيم ! ما أعرِف أخيبَ سهماً ولا أضيعَ عُمراً منك . فأنشدُك اللهَ إلا كففتَ وتأملتَ أمرَك؛ فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ ، ولو كان اليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملِكه فيها، ولكنّ هذا أمر قد فات وأستبدّ به مَن قُدِر له ، وفي

(١) الهلاك : الصعاليك .

النساء عِوَضٌ . فقال له جميل : الرأيُ ما رأيتَ، والقولُ كما قلتَ ؛ فهل رأيتَ قبلي أحداً قدَر أن يدفع عن قلبه هَواه، أو مَلَك أن يُسلِيَ نفسَه، أو استطاع أن يَدفَعَ ما قُضِي عليه ! والله لو قَدرتُ أن أمحوَ ذكرَها من قلبي أو أُزيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ، ولكن لا سبيلَ الى ذلك، وإنما هو بلاء بُليتُ به لحَينٍ قد أُتيح لي، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَداً؛ وهذا جَهدي ومبلغُ ما أقدِر عليه . وقام وهو يبكي، فبكى أبوه ومَن حضر جَزَعاً لما رأوْا منه . فذلك حين يقول جميل :

صوت

أَلا مَن لقَلبٍ لا يَمَلُّ فَيَذهَلُ ... أَفِقْ فالتَّعزّي عن بُثينةَ أجملُ
سَلَا كلُّ ذي ودٍّ علمتُ مكانَه ... وأنتَ بها حتى المماتِ مُوَكَّل
فما هكذا أحببتَ مَن كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كنتَ تفعل

— الغناء لمالك ثقيلٌ اولُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق : —

فيا قلبُ دَعْ ذِكرَى بُثينة إنها ... وإن كنتَ تَهواها تَضِنّ وتبخلُ
وقد أيأستْ من نَيلها وتجهّمتْ ... ولَليأسُ إن لم يُقدَرِ النَّيلُ أمثل
وإلّا فسَلها نائلًا قبلَ بَينِها ... وأبخِلْ بها مسؤولةً حين تُسأل
وكيف تُرَجّي وصلَها بعد بُعدِها ... وقد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممن تؤمل
وإنّ التي أحببتَ قد حِيل دونها ... فكُنْ حازماً، والحازمُ المتحوِّل
ففي اليأسِ ما يُسلِي وفي الناسِ خُلّةٌ ... وفي الأرض عمّن لا يُواتيك مَعزِل
بدا كَلَفٌ منّي بها فتثاقلتْ ... وما لا يُرى من غائب الوجد أفضل
هَبيني بريئاً نِلتِهِ بظُلامةٍ ... عَفاها لكم أو مُذنباً يتنصّل
قَناةٌ من المُرّانِ ما فوق حَقوِها ... وما تحته منها نَقاً يتهيّل

قال وقال أيضاً في هذه الحال :

صوت

أَعَن ظُعُنِ الحيّ الأُلى كنتَ تسألُ   بليلٍ فرَدُّوا عِيرَهم وتحمّلوا
فأمسَوْا وهم أهلُ الديار وأصبحوا   ومن أهلها الغِربانُ بالدارِ تَحجِلُ

— في هذين البيتين لِسياطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو: —

على حينَ ولّى الأمرُ عنّا وأسمحت[١]   عَصا البَيْنِ وانبتّ الرجاءُ المؤمَّلُ
فما هو إلّا أن أَهِيمَ بذكرِها   ويحظى بجدواها سوايَ ويَجذَلُ
وقد أبقتِ الأيّامُ منّي على العِدا   حُساماً اذا مسّ الضريبةَ يَفصِلُ
ولستُ كمن إن سِيمَ ضَيماً أطاعَه   ولا كامرئٍ إن عضّه الدهرُ يَنكُلُ
لعمري لقد أبدى لِيَ البينُ صفحَه[٢]   وبَيّنَ لي ما شئتُ لو كنتُ أعقِلُ
وآخرُ عهدي من بُثَينةَ نظرةٌ   على موقفٍ كادت من البينِ تَقتُلُ
فلِلّه عَيناً مَن رأى مثلَ حاجةٍ   كتمتُكها والنفسُ منها تَمَلْمَلُ
وإني لأستبكي إذا ذُكِرَ الهوى   اليكِ وإنّي من هواكِ لأوجَلُ
نظرتُ ببِشرٍ نظرةً ظلتُ أمتري   بها عَبرةً والعينُ بالدمع تُكحَلُ
إذا ما كَرَرتُ الطَّرفَ نحوكِ ردّه   من البعد فيّاضٌ من الدمع يَهمِلُ

ودع بثينة حين خروجه الى الشام :

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبايةَ قال :

(١) أسمحت : سهلت وذلت .

(٢) الصفح : الجانب .

لمَّا أراد جميلُ الخروج الى الشام، هجم ليلًا على بُثينة وقد وجد غفلةً. فقالت له: أهلكتني والله وأهلكتَ نفسك! وَيحكَ! أمَا تخاف! فقال لها: هذا وجهي الى الشام، إنما جئتكِ مودِّعاً. فحادثها طويلًا ثم ودّعها، وقال: يا بُثينة، ما أرانا نلتقي بعد هذا، وبكيا طويلًا. ثم قال لها وهو يبكي:

ألَا لا أبالي جفوةَ الناسِ ما بَدا لنا منكِ رأيٌ يا بُثينَ جميلُ
ومـا لم تُطيعي كاشحاً أو تبدّلي بنا بَدَلًا او كان منك ذُهول
وإني وتَكراري الزيارةَ نحوَكم بُثينَ بذي هجرٍ بُثينَ يطول
وإن صَباباتي بكم لكثيرةٌ بُثينَ ونِسيانيكمُ لقليل

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر:

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني شيوخ من عُذرة:

أنّ مَروان بن الحكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعمَر وجَوّاسُ بن قُطبة أخو عُبيد الله بن قُطبة. فقال مروان لجوّاس: انزل فارجُز بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جوّاس وقال:

يقول أميري هل تَسوق رِكابَنا فقلت له حادٍ لهنّ سِوائيا
تكرّمتُ عن سَوقِ المطيّ ولم يكن سِياقُ المطيِّ همّتي ورَجائيا
جعلتَ أبي رَهناً وعِرضيَ سادراً الى أهل بيت لم يكونوا كِفائيا
إلى شرّ بيتٍ من قُضاعةَ مَنصِباً وفي شرّ قومٍ منهمُ قد بَدا لِيا

فقال مروان: اركبْ لا ركِبتَ! ثم قال لجميل: انزل فارجُزْ بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جميل فقال:

أنا جميلٌ في السَّنامِ الأعظمِ الفارعِ النّاسَ الأعزِّ الأكرمِ
أحمي ذِماري ووجدتُ أقوُمي كانوا على غاربِ طَودٍ خِضرمِ
أعيا على النّاسِ فلم يُهدَمِ

فقال: عَدِّ عن هذا. فقال جميل:

لَهفًا على البيتِ المَعَدّي لهفا من بعدِ ما كان قد استكفا
ولو دعا الله ومَدَّ الكفّا لَرَجَفَتْ منه الجبالُ رَجفا

فقال له اركَبْ لا ركبتَ!

قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال:

كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب؛ فرَجَز به مِسكين العُذرِيّ فقال:

يا بَكرُ هل تعلم مَن عَلاكا خليفةُ الله على ذُراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارْجُز، وظنّ الوليد أنه يمدحه. فنزل فقال:

أنا جميلٌ في السنام من مَعَدّْ في الذِّروةِ العَلياءِ والرُّكنِ الأشدّْ
والبيتِ من سَعدِ بن زيد والعدَدْ ما يَبتغي الأعداءُ منّي ولقد
أضرِيَ بالشّتمِ لساني ومَرَدْ أقودُ مَن شِئتُ وصَعبٌ لم أُقَد

فقال له الوليد: اركب لا حَمَلك الله! قال: وما مدح جميل أحداً قطّ.

هدده الحزين الديلي فهجاه:

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال:

وقف جميلٌ على الحزين الدِّيليِّ والحزينُ يُنشد الناسَ . فقال له الحزين وهو لا يعرفه : كيف تسمع شعري ؟ قال : صالحٌ وَسط . فغضب الحزين وقال له : ممن أنت ؟ فوالله لأهجونَّك وعشيرتَك ! فقال جميل : إذاً تَندَم . فأقبل الحزين يُهمهم يريد هجاءه . فقال جميل :

الدِّيلُ أذنابُ بكرٍ حين تنسُبهم وكلُّ قومٍ لهم من قومهم ذَنَبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه الله إلّا كفَّ عنهم ، ولم يزالوا به حتى أمسك وانصرف .

أخبرني الحرميّ ومحمد بن مَزيد – واللفظ له – قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

لمّا هاجى عُبيدُ الله بنُ قُطبة جميلًا واستعلى عليه جميلٌ ، أعرض عنه ، واعترضه أخوه جَوّاس بن قُطبة فهجاه وذكر أختاً لجميل . وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا ينصِب له ، حتى هجا أُختَه فقال فيما ذكرها به من شعره :

إلى فَخِذَيها العبلتينِ وكانتا بعهديَ لفّاوينِ[1] أردفتا ثِقلا

فغضِب جميلٌ حينئذٍ فواعده للمراجزة . قال الزبير فحدثني بعضُ آلِ العبّاس بن سَهل ابن سعد عن عبّاس قال :

قَدِمتُ من عند عبد الملك بن مَروان وقد أجازني وكساني بُرْداً ، كان ذلك البُردُ أفضل جائزتي ، فنزلتُ واديَ القُرى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِي الذي من عند عبد الملك وقلت أُصلّي مع الناس ؛ فلقيني جميلٌ ، وكان صديقاً لي ،

(١) لفاوان : ضخمتان مكتنزتا اللحم .

فسلَّم بعضنا على بعضٍ وتساءلنا ثم افترقنا . فلما أمسيتُ اذا هو قد أتاني في رَحلي فقال : البُرْد الذي رأيتُه عليك تُعيرُنيه حتى أتجمَّل به ؛ فإنّ بيني وبين جوّاس مُراجَزة ، وتحضُر فتسمعُ . قال قلت : لا ! بل هو لكَ كُسوة ، فكسوتُه إيّاه ، وقلت لأصحابي : ما من شيء أحبُّ اليّ من أن أسمع مُراجزتهما . فلمّا أصبحنا جعل الأعاريبُ يأتون أرسالًا حتى أجتمع منهم بَشرٌ كثيرٌ ، وحضرتُ وأصحابي ، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان ما رأيت مثلَها على أحد قطُّ ، وإذا بُرْدي الذي كسوتُه إياه قد جعله جُلًّا لجمله ؛ فتراجَزا فرجَز جميل ، وكانت بُثينة تُكنى أمّ عبد الملك ، فقال :

يا أمَّ عبد الملك أصرميني   فبيّني صرميَ أو صِليني
أبكي وما يُدريكِ ما يُبكيني   أبكي حِذارَ أن تُفارقيني
وتجعلي أبعدَ منّي دُوني   إنّ بني عمِّكِ أوعدوني
أن يقطعوا رأسي إذا لَقوني   ويقتلوني ثم لا يَدوني[1]
كلّا وربِّ البيتِ لو لَقوني   شَفعاً ووَتْراً لتواكَلوني
قد علِم الأعداءُ أنّ دُوني   ضَرباً كإيزاغ[2] المَخاضِ الجُون
ألا أُسبُّ القومَ إذ سَبُّوني   بَلى وما مرَّ على دَفين[3]
وسابحاتٍ بِلِوى الحَجونِ[4]   قد جَرَّبوني ثم جرّبوني
حتى إذا شابوا وشيّبوني   أخزاهمُ الله ولا يُخزيني
أشباهُ أعيارٍ على مَعينٍ[5]   أحسَسنَ حِسَّ أسدٍ حَرون

---

(١) وداه بديه : دفع ديته .

(٢) الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة .

(٣) دفين : موضع .

(٤) الحجون : جبل بأعلى مكة .

(٥) الأعيار : الحمر . والمعين : الماء العذب الغزير .

فهنّ يَضرِطنَ من اليقينِ أنا جميلٌ فتعرّفوني
وما تقنعتُ فتُنكِروني وما أعنّيكم تسألوني
أنمي الى عاديةٍ طحونِ يَنشقّ عنها السّيلُ ذو الشؤون
غَمْرٌ يَدُقّ رُجُحَ[1] السّفينِ ذو حَدَبٍ[2] إذا يُرى حَجُون
تَنحلّ أحقادُ الرجالِ دُوني

قال : ورجز جميل أيضاً :

أنا جميلٌ في السنام من مَعَدّ

وقد تقدّمت هذه الأُرجوزة . ثم رجز بعده جوّاسٌ فلم يصنع شيئاً . قال : فما رأيتُ غَلَبةً مثلَها قطّ .

هجا خوّاتاً العذريّ وبني الأحب :

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا بُهلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلويّ وجماعةٍ غيره من قومه :

أنّ رجلاً من بني عُذرة كان يقال له خوّاتٌ ، أُمّه بلويّة ، وكان شاعراً، وكان جميل ابنَ جُذاميّة . فخرج جميل الى أخواله بجُذام وهو يقول :

جُذامُ سيوفُ اللهِ في كلّ موطنٍ اذا أزَمَتْ يومَ اللّقاءِ أزامِ[3]
هُمُ منعوا ما بين مِصرَ فذي القُرى الى الشام مِن حِلٍّ به وحَرام

---

(١) الرجح من السفن : الثقيلة الموقرة .

(٢) حدب السيل : ارتفاعه . وحجون : بعيد .

(٣) أزام : شدّة .

بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكِناتِه[1] وطعنٍ كإيزاغِ المخاضِ تُؤامِ
إذا قَصُرتْ يوماً أكُفُّ قبيلةٍ عن المجدِ نالته أكُفُّ جُذامِ

فأعطوه مائة بَكرة. قال: وخرج حَوْأَتُ الى أخواله من بَليّ وهو يقول:

إنَّ بَليّاً غُرّةٌ يُهتدى بها كما يَهتدي الساري بمُطّلَعِ النجمِ
هُمُ ولدوا أُمّي وكنتُ ابنَ أختهم ولم أتخوَّلْ[2] جِذْمَ قومٍ بلا علمِ

قال: فأعطوه مائة غُرّة ما بين فرس الى وَليدة؛ ففخر على صاحبه، وذكر أن الغُرّةَ الواحدةَ مما أتى به مما معه تَعدِلُ كلَّ شيء أتى به جميل. فقال عُبيد الله ابن قُطبة:

ستقضي بيننا حكماءُ سعدٍ أقُطبةُ كان خيراً أم صُباحُ

قال: وكان عبد الله بن مَعمَر أبو جميلٍ يلقّب صُباحاً. وكان عُبيد الله بن قُطبة يلقّب حماطاً. فقال النخّار العُذريّ أحد بني الحارث بن سعد: قُطبةُ كان خيراً من صُباح. فقال جميل يهجو بني الأحَبّ رهطَ قُطبة ويهجو النخّار:

إنَّ أحبَّ سُفَّلٌ أشرارُ حُثالةٌ عُودُهمُ خوّارُ
أذلُّ قومٍ حين يُدعى الجارُ كما أذلَّ الحارثَ النخّارُ

وقال الأُبَيرِقُ العَبْي: قُطبة كان خيراً من صُباح. فقال جميل:

يابنَ الأُبَيرِقِ وَطبٌ بِتَّ مُسنِدَه الى وِسادِكَ من حُمِّ الذُّرى جُونِ

---

(١) السكنة (بفتح فكسر): مقر الرأس من العنق.

(٢) تخوّل: اتخذ خالا. والجذم: الأصل.

وأكلتان اذا شئت مرتفقاً بالسير من نغل الدفين مدهونِ
أذكرُ وأمك مني حين تنكبني جني فيغلب جني كلٌ مجنون

وقال جماعةٌ من شعراء سعد في تفضيل قطبة على صباح أقوالا أجابهم عنها جميل فأفحمهم؛ حتى قال له جعفر بن سراقة أحدُ بني قرة :

نحن منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرةَ اذ نلقى يهوداً ويعشرا
منعناه من عليا معدٍ وأنتمُ سفاسيف[١] روحٍ بين قرحٍ وخيبرا
فريقان رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

فلما بلغتْ جميلا اتقاه وعلم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل :

بني عامرٍ أنى انتجعتم وكنتمُ إذا حصل الأقوامُ كالخصية الفردِ
فأنتم ولأيٌ موضعَ الذلّ حجرةً وقرّةُ أولى بالعلاء وبالمجدِ

فأعرض عنه جعفر — قال الزبير : بنو عامر بن ثعلبةَ بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدبةَ بنِ خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن وهو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن سعد هذيم بن زيد. وزيادةُ بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن خنيس بن عمرو بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم. ولأي بن عبد مناة بن الحارث بن سعد هذيم — قال : فدخل جميل على هدبة بنِ خشرم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زيادةَ بنِ زيد، وأهدى له بردين من ثياب كساه إياهما سعيد بن العاصي، وجاءه بنفقةٍ؛ فلما دخل عليه عرض ذلك عليه؛ فقال هدبة : أنت يابنَ قميئةٍ[٢] الذي تقول :

---

(١) السفساف : التراب الدقيق . والروح : الريح . وقرح : سوق وادي القرى وقصبتها .

(٢) القميئة : الذليلة .

بني عامرٍ أنى انتجعتم وكنتمُ ... إذا عُدِّد الأقوامُ كالخَصْية الفَردِ

أما والله لئن خلص الله لي ساقَيَّ لأمُدَّنَّ لك مضمارَك؛ خذ بُردَيك ونفقتَك. فخرج جميل؛ فلما بلغ بابَ السجن خارجاً قال: اللهمَّ أغنِ عنّي أجدَعَ بني عامر! وكانت بنو عامر قد قلّوا فحالفوا لأياً.

لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء ومحمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزوميّ قال حدثني شيخ من أهلي عن أبيه عن أبي الحارث مولى هشام بن المغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

قال: شهدتُ عمرَ بن أبي ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعمَر وقد اجتمعا بالأبطح؛ فأنشد جميلٌ قصيدته:

لقد فَرِح الواشون أن صَرَمتْ حبلي ... بُثينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخلِ
يقولون مَهلاً يا جميلُ وإنني ... لأُقسم ما بي عن بُثينةَ من مَهل
أحِلماً فقبل اليوم كان أوانُه ... أمَ اَخشى فقبل اليومِ أُوعِدتُ بالقتل
لقد أنكحوا حربي نُبيهاً ظَعينةً ... لطيفةَ طيِّ البطنِ ذاتَ شَوًى خَدْل
وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ ... لآخَرَ لم يَعمِد بكفٍّ ولا رجل
إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا ... جرى الدمعُ من عينَي بُثينة بالكحل

صوت

كلانا بكى أو كاد يَبكي صَبابةً ... إلى إلفِهِ واستعجلتْ عَبرةً قبلي

فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكنْ طِلابِيها لِما فاتَ من عقلي
فيا وَيحَ نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها ويا وَيح أهلي ما أُصيبَ به أهلي
وقالت لأترابٍ لها لا زعانِفٍ قصارٍ ولا كُسٍّ الثنايا ولا ثُعلِ [١]
إذا حَمِيتْ شمسُ النهارِ اتّقينَها بأكسية الدِّيباج والخزِّ ذي الخَمْل
تَداعَينَ فاستعجمنَ مَشياً بذي الغضا دَبيبَ القطا الكُدْرِيّ في الدَّمِثِ السَّهل
إذا ارتعنَ أو فُزِّعنَ قُمنَ حَوالَها قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضَّحل [٢]
أجِدِّيَ لا ألقى بُثينةَ مرّةً من الدهر إلا خائفاً أو على رِجل [٣]
خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

قال: وأنشده عمرُ قوله:

جرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينَها فقرَّبني يوم الحصاب الى قتلي
فما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ موقفي وموقفَها وَهْناً بقارعة النخل
فلمّا تواقفنا عرفتُ الذي بها كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعل
فقُلنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلنا قريبٌ ألمّا تسأمِي مَركبَ البغل
فقالت فما شئتنَّ قُلنَ لها انزلي فللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحل
فأقبلنَ أمثالَ الدُّمى فاكتنفنها وكُلٌّ يُفدِّي بالمودّة والأهل
نُجومٌ دَراريٌّ تكنَّفنَ صورةً من البدر وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا ثُجل [٤]
فسلّمتُ واستأنستُ خيفةَ أن يرى عدوٌّ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي

---

(١) الزعانف: جمع زعنفة وهي القصيرة. والكس: جمع كساء. والكسس: قصر الأسنان وصغرها. والثعل: جمع ثعلاء. والثعل: زيادة سن أو دخول سن تحت أخرى.

(٢) بنات الماء: الطيور التي تلازم الماء. والضحل: الماء القليل.

(٣) الرجل: الخوف او الفزع من فوت الشيء.

(٤) ثجل: جمع ثجلاء، وصف من الثجل وهو عظم البطن واسترخاؤه، ويروى: «ولا عجل».

فقالت وألقتْ جانبَ السِترِ إنما معي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقبةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بي لهم من ترقُّبٍ ولكنَّ سرِّي ليس يحمله مِثلي
فلما اقتصرْنا دونهنّ حديثنا وهُنَّ طبيباتٌ بحاجة ذي التَّبل[1]
عرفنَ الذي نهوى فقُلن ائذَني لنا نطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهل
فقالت فلا تلبثْنَ قُلنَ تحدَّثي أتيناكِ وانسبنَ انسيابَ مَها الرمل
وقُمنَ وقد أفهمنَ ذا اللُّبِّ أنما أتينَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطّاب: لا أقولُ واللهِ مثلَ هذا سجيسَ[2] الليالي! وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أحد؛ وقام مشمِّراً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي
أبيتُ مع الهُلّاك ضيفاً لأهلِها وأهلي قريبٌ مُوسِعون ذوو فَضل
فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لِما فات من عقلي

الغناء للغَريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وذكر حمّاد والهشاميّ أن فيه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحناً من الثقيل الاول.

ومنها:

---

(١) التبل: أن يسقم الهوى الانسان.

(٢) سجيس الليالي: طول الليالي.

صوت

أَلا أَيُّها البيتُ الذي حِيلَ دونَه بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ
ثلاثـةُ أبياتٍ فبيتٌ أُحِبُّه وبيتانِ ليسا من هوايَ ولا شكلي
كِلانا بَكى أو كاد يَبكي صَبابةً إلى إلفِه واستَعجلتْ عَبرةٌ قبلي

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل الثاني بالبنصر .

ومنها :

صوت

لقد فرِح الواشُونَ أن صَرَمَتْ حبلي بثينةُ أو أبدَتْ لنا جانبَ البخلِ
يقولون مَهلًا يا جميــلُ وإنني لأُقسِمُ ما لي عن بُثينةَ من مَهل

الغناء لأبن مُحرِز من كتاب يونُسَ ولم يجنِّسه، وذكر إسحاقُ أنه مما ينسَب الى ابن مُحرِز وابنِ مِسجَح، ولم يصحّ عنده لأيّهما هو ولا ذكر طريقتَه .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدثني غير واحــد من الرواة عن صالح بن حسّان قال أخبرني نافعٌ مولى عبد الله بن جعفر — وما رأيت أحداً قطُّ كان أشكلَ ظرْفاً ولا أزينَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناء منه — قال :

قدمنا مع عبد الله بن جعفر مرّة على معاوية؛ فأرسل اليّ يزيدُ يَدعوني ليلًا؛ فقلت : أكرَه أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكُوَني الى ابن جعفر . قــال فأمهل حتى اذا سمَر أميرُ المؤمنين فإن ابن جعفر يـكون معه فلا يَفتقِدُك وَنخلو نحن بما نريد قبل قيامهما . فأتيته فغنّيتُه؛ فوالله ما رأيتُ فتًى أشرفَ أريحيّةً منه؛ والله لألقى عليّ من الـكُساَ الخزّ والوَشي وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه، ثم أمر لي

بخمسمائة دينار . قال : وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه، حتى قام معاويةُ ونَهض ابنُ جعفر معه، وكان باب يزيدَ في سَقيفة معاوية؛ فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا ابنَ جعفر ؟ قال : هذا والله صوتُ نافع . فدخل علينا ؛ فلمّا أحسّ به يزيدُ تَناوم . فقال له معاوية : ما لك يا بُنَيّ ؟ قال : صُدِعتُ فرجوتُ أن يَسكُن عنّي بصوتِ هذا . قال : فتبسّم معاويةُ وقال : يا نافع، ما كان أغنانا عن قُدومك! فقال له ابن جعفر : يا أميرَ المؤمنين، إن هذا في بعض الأحايين يُذكِي القلبَ . قال : فضحك معاويةُ وانصرف . فقال لي ابن جعفر : وَيلك ! هل شرِب شيئاً ؟ قلت : لا والله . قال : والله إنّي لأرجو أن يكون من فِتيانِ بني عبد مَناف الذين يُنتفع بهم . قال نافع : ثم قدِمنا على يزيدَ مع عبد الله بن جعفر بعد ما استُخلِف، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلِّم عليه ودخلتُ معهم . فلما نظر إليّ تبسّم . ثم نهض ابنُ جعفر وتبِعناه . فقيل له : نظر الى نافعٍ وتبسّم . فقال ابنُ جعفر : هذا تأويلُ تلك الليلةِ . فقضى حوائجَ ابن جعفر وأضعف ما كان يَصِله به معاويةُ . فلما أراد الانصراف أتاه يودّعه ونحن معه؛ فأرسل إليّ يزيدُ فدخلتُ عليه . قال : وَيحك يا نافع ! ما أخّرْتك إلا لأتفرّغَ لك . هاتِ لَحنَك.

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بَكى من حبِّ قاتِله قبلي

فأسمعتُه؛ فقال : أعِد وَيلك ! فأعدتُه، ثم قال : أعدْ فأعدتُه ثلاثاً . فقال : أحسنتَ؛ فسَلْ حاجتَك . فما سألتُه في ذلك اليوم شيئاً إلا أعطانِيه . ثم قال : إن يَصلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبل ابن الزبير فلعلّنا أن نَحُجّ فتَلقانا بالمدينة ! فإنّ هذا الأمرَ لا يصلُح إلا هناك . قال نافع : فمنَعنا والله من ذلك شُؤمُ ابنِ الزبير .

سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة :

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفريّ قال حدثنا القاسم بن أبي الزّناد قال :

خرج عمرُ بن أبي رَبيعة يريد الشامَ، فلما كان بالجناب[1] لقيه جميلٌ؛ فقال له عمرُ: أنشدْني، فأنشده:

خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما   قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي

ثم قال جميل: أنشِدني يا أبا الخطّاب، فأنشده:

ألم تَسألِ الأطلالَ والمُتربَّعا   ببطن حُلَيَّاتٍ دَوارِسَ بَلقعا

فلما بلغ الى قوله:

فلما تواقفنا وسلّمتُ أشرقتْ   وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تبالَهنَ بالعِرفان لمّا عرفْنَني   وقُلنَ امرؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضَعا
وقرّبنَ أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ   يَقيسُ ذِراعاً كلّما قِسنَ إصبعا

قال: فصاح جميلٌ واستَخذى وقال: ألا إن النَّسيب أخذ من هذا، وما أنشده حرفاً. فقال له عمر: اذهبْ بنا الى بُثينة حتى نسلّم عليها. فقال له جميل: قد أهدر لهم السلطانُ دَمي إن وجدوني عندها، وهاتيكَ أبياتُها. فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها وتأنّس حتى كُلِّم؛ فقال: يا جارية، أنا عمرُ بن أبي ربيعة، فأعلِمي بثينة مكاني. فخرجتْ اليه بثينةُ في مَباذِلها وقالت: والله يا عمرُ لا أكونُ من نسائك اللّاتي يزعُمنَ أن قد قتلهنَّ الوجدُ بك؛ فانكسر عمر؛ قال واذا امرأةٌ أدماءُ طُوالةٌ.

وأخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أبي هِفّان عن إسحاق عن المسيّبيّ والزبير فذكر مثلَ ما ذكره الزبير وزاد فيه قال: فقال لها قولَ جميل:

---

(١) الجناب: موضع في ارض كلب في السماوة بين العراق والشام.

وهُما قالتـا لَوَ أنّ جميلاً عرَض اليومَ نَظرةً فرآنا
بَينا ذاك منهما وإذا بي أعمِلُ النَّصَّ[١] سَيرةً زَفَيانا
نظرتْ نحوَ تِربِها ثم قالت قد أتانا — وما علمنا — مُنانا

فقالت: إنه أَستملى منك فما أفلح؛ وقد قيل: اربطُ الحمار مـع الفرس، فان لم يتعلّم من جَرْيِه تعلّم من خُلقه.

لقي بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة :

وذكر الهيثم بن عَديّ وأصحابه في أخبارهم: أن جميـلاً طال مُقامُه بالشام ثم قدِم، وبلغ بثَينةَ خبرُه فراسلته مع بعض نساء الحيّ تذكر شوقَها اليه ووَجدَهـا به وطلبَها للحيلة في لقائه، وواعدته لموضع يلتقيان فيه؛ فسار اليها وحدّثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها. وقد كان أهلُها رَصَدوها، فلما فَقدوها تبعها أبوهـا وأخوها حتى هجما عليهما، فوثب جميلٌ فانتضى سيفَه وشدّ عليهما فاتّقياه بالهرب؛ وناشدته بثينةُ اللهَ إلّا انصرف، وقالت له: إن أقمتَ فضحتَني، ولعل الحيَّ أن يَلحقوك. فأبى وقال: أنا مقيمٌ وامضي أنتِ وليَصنَعوا مـا أحبّوا. فلم تزل تُناشده حتى انصرف. وقال في ذلك وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدّة:

ألم تَسألِ الربعَ الخلاءَ فينطقُ وهل تُخبرَنْكَ اليومَ بَيداءُ سَملَقُ[٢]
وقفتُ بهـا حتى تجلّتْ عمايتي وملّ الوقوفَ الأرحبيُّ[٣] المنوّقُ
تَعزَّ وإن كانت عليـك كريمةً لعلّك من رِقٍّ لبثنـة تَعتِقُ

---

(١) النص: السير الشديد. وزفيانا: سريعاً.

(٢) سملق: مقفرة لا نبات بها.

(٣) الأرحبيّ: النجيب من الإبل، ينسب الى قبيلة بني أرحب. والمنوّق: الذلول.

لعَمرُكُم إن البِعـاد لشائقي وبعضُ بِعاد البَينِ والنأيِ أشوَقُ
لعلّـكَ محزونٌ ومُبدٍ صَبابةً ومُظهرُ شكوى من أُناسٍ تفرَّقوا
وبيضٍ غَريراتٍ تُثنّي خُصورَها إذا قُمنَ أعجازٌ ثِقال وأسوُقُ
غَرائرَ لم يَلقَـينَ بؤسَ معيشةٍ يُجَنّ بهنّ النـاظرُ المتنوِّق[١]
وغَلغَلت[٢] من وَجدِ اليهنّ بعدما سَرَيتُ وأحشائي من الخوف تَخفِق
معي صارمٌ قد أخلص القَينُ صَقلَه له حينَ أُغشيه الضَريبةَ رَونَق
فلولا احتيالي ضِقنَ ذَرعاً بزائرٍ به من صَباباتِ اليهنّ أولَق[٣]
تَسوكُ بقُضبـانِ الأراكِ مفلّجاً يُشعشِعُ فيه الفارسيّ[٤] المروَّق
أبثنةُ للوَصلُ الذي كان بيننا نَضا مثلَ ما يَنضُو الخِضابُ فيَخلَق
أبثنةُ مـا تَنأينَ إلا كأنّني بنجم الثُريّا ما نأيتِ مُعلَّق

أنشد إسحاق الرشيد احسن شعره في العتاب :

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : يا إسحاق، أنشِدني أحسنَ ما تعـرف في عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتعتِّب[٥] . فقلت : يا أميرَ المؤمنين قول جميل :

---

(١) تنوّق في أموره : جوّد وبالغ .

(٢) غلغل الرجل : دخل في تعب وشدّة .

(٣) الأولق : الجنون .

(٤) الفارسيّ : من اسماء الخمر .

(٥) متعتب : متجنّ .

رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصفوٍ ذَنائبُه[١] ودَعهُ اذا خِيضَتْ بطَرقٍ[٢] مَشاربُه
أعاتِبُ مَن يحلو لديَّ عتابُه وأتركُ مَن لا أشتهي وأجانِبُه
ومن لذّة الدنيا وإن كنتَ ظالماً عِناقُكَ مظلوماً وأنت تُعاتبُه

فقال : أحسنَ والله ! أعِدْها عليَّ ؛ فأعدتُها حتى حفظها ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل الى دار الحُرَم .

ذهب معه صديق له الى بثينة فطارده اهلها فرجع :

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السَّعيديّ قال: حدثني رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أهل تَيْماء قال :

كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدثني وأحدثه ، إذ ثار وتربّد وجهُه ، فأنكرتُه ورأيتُ منه غيرَ ما كنتُ أرى ، ووثب نافراً مُقشَعِرَّ الشعر متغيّر اللون، حتى أُتِيَ بناقةٍ له قريبةٍ من الأرض مُجتمِعةٍ مُوثّقةِ الخَلق فشَدّ عليها رَحلَه، ثم أُتِيَ بمِحلَب فيه لبنٌ فشربه، ثم ثنّى فشربت حتى رَوِيت؛ ثم قال لي : اشدُدْ أداةَ رَحلِك وأشرَب وأسقِ جَملَك فإني ذاهبٌ بك الى بعض مَذاهبي ، ففعلتُ. فجال في ظهر ناقته وركِبتُ ناقتي ، فسِرنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا، ثم أصبحنا فسِرنا يومَنا كلَّه، لا والله ما نزلنا إلا للصَّلاة ، فلما كان اليومُ الثالثُ دَفَعنا الى نسوةٍ فمال اليهنّ، ووجدنا الرجال خُلوفاً[٣]، وإذا قِدرُ لبنٍ ثَمّ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً . فلما رأيتُ القِدرَ أقتحمتُ عن بعيري وتركتُه جانباً ، ثم أدخلتُ رأسي

---

(١) الذنائب : جمع ذنوب وهي الدلو العظيمة .

(٢) الطرق : أن تبول الإبل في الماء وتبعر فتكدره .

(٣) خلوفاً : غيباً .

في القِدْرِ ما يثنيني حَرُّها حتى رَوِيت؛ فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القِدْرِ فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنسِية، فضحِكن منّي وغَسلنَ ما أصابني. وأُتِيَ جميلٌ بقِرًى فوالله ما ٱلتفتَ اليه. فبينا هو يحدِّثهنّ إذا رَواعِي[1] الابل، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم؛ وجاء الناسُ فقالوا له: وَيحكَ! أنجُ وتقدّم! فوالله ما أكبَرَهم كلَّ الإكبار. وغَشِيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه، فإذا قرُبوا منه قاتلهم ورمى فيهم. وهام بي جَمَلي، فقال لي: يَسِّر لنفسك مَركَباً خلفي، فأردَفني خَلفَه. ولا والله ما ٱنكسر ولا ٱنحلَّ عن فِرصَته[2] حتى رجع الى أهله، وقد سار ستَّ ليال وستة أيّام وما ٱلتفت الى طعام.

وشكا زوجُ بُثينة الى أبيها وأخيها إلمامَ جميلٍ بها؛ فوجّهوا الى جميلٍ فأعذروا اليه وشكَوْه الى عَشيرته وأعذروا اليهم وتوعّدوه وإياهم. فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا: استَخلِص اليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك. فأقام مدّةً لا يُلِمّ بها. ثم لقِي ٱبني عمّه رَوقاً ومسعدة، فشكا اليهما ما به وأنشدهما قوله:

صوت

زُورا بُثينةَ فالحبيبُ مَزُورُ ... إنّ الزيارةَ للمحبِّ يسيرُ
إنّ الترحُّلَ، إن تلبّس أمرُنا ... وأعتاقَنا قَدَرٌ أُحِمَّ، بكورُ

— الغناء لعَريبَ رَمَلٌ بالوسطى: —

صوت

إنّي عشيّةَ رُحتُ وهي حزينةٌ ... تشكو إليّ صبابةً لَصبورُ

(١) المراد هنا الإبل الراعية لا الرعاة الذين يرعونها فان جمع الراعي رعاة ورعاء ورعيان.

(٢) الفرصة: القطعة من الصوف والقطن.

وتقول بِتْ عندي فَديتُكَ ليلةً أشكو اليكَ فإنَّ ذاكَ يسيرُ

— الغناء لسُليم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيلٌ اول بالبنصر ذكر الهشاميّ أنه لمُخارِق، وذكر حبش أنه لإبراهيم . وذكر حبش أن لحن مخارق خفيفُ رملٍ : —

غرّاءُ مِبسامٌ كأنّ حديثَها دُرٌّ تَحدَّرَ نَظمُه منثورُ
محطوطةُ[٢] المَتنَينِ مُضمَرةُ الحشى رَيّا الرّوادفِ خَلقُها ممكور
لا حُسنها حُسنٌ ولا كدَلالِها دَلٌّ ولا كوقارِها توقيرُ
إنّ اللسانَ بذكرِها لَموكَّلٌ والقلب صادٍ والخواطر صُورُ[١]
ولئن جَزَيتِ الودَّ منّي مثلَه إني بذلك يا بُثينَ جديرُ

فقال له رَوق : إنك لعاجزٌ ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتَركِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَن هو أجملُ منها، وإنك منها بين فجورٍ أرفعُك عنه، أو ذُلٍّ لا أُحبّه لك، أو كَمَدٍ يُؤدّيك الى التَّلَف، أو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تعرّضتَ لها بعد إعذارهم اليك . وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواكَ فيها وتجرّعتَ مرارةَ الحزم حتى تألفَها وتَصير نفسك عليها طائعةً أو كارهةً ألِفتَ ذلك وسَلوتَ . فبكى جميل وقال : يا أخي، لو ملكتُ اختياري لكان ما قلتَ صواباً، ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا إلّا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك ألّا تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوم، وأن تَحمِلَ على نفسك في مساعدتي . فقال له : فإن كنتَ لا بدّ مُهلِكاً نفسك فاعملْ على زيارتها ليلاً؛ فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها الى مَلعَب لهنّ، فأجيءُ معك حينئذٍ سرّاً، ولي أخٌ من رَهط بُثينة من بني الأحَبّ، نأوي عنده نهاراً، وأسأله مساعدتَك على هذا،

(٢) محطوطة المتنين : ممدودتهما .

(١) صور : مائلات .

فتقيم عنده أياماً نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقضي أرَبك؛ فشكره . ومضى رَوق الى الرجل الذي من رهط بُثينة ، فأخبره الخبرَ وأستعهده كتمانـه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتني بإحدى العظائم؛ وَيحك! إن في هـذا مُعاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز في أمره من أن يَظهر، فواعَدَه في ذلك؛ ومضى الى جميل فأخبره بالقصة، فأتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده . وأرسل الى بُثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعتْه اليها؛ فلما رأته عرفت، فتبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلتَهما . وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودّعها، وقال لها : عن غيرِ قِلى والله ولا مَلَلٍ يا بُثينة كان وَداعي لكِ، ولكني قد تذممت من هـذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك، ثم أنصرف . وقال في عَذْل رَوق أبن عمه إياه :

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ حبيبٌ اليه في مَلامتِه رُشدِي
وقال أفِقْ حتى متى أنت هائمٌ ببَثْنةَ فيها قد تُعيدُ وقد تُبدي
فقلت له فيها قضى اللهُ ما ترى عليَّ وهل فيما قضى الله من رَدِّ
فإن يكُ رُشْداً حُبُّها أو غَوايةً فقد جئتُه ما كان منّي على عَمْدِ

صوت

لقد لَجّ ميثاقٌ من الله بيننا وليس لمن لم يُوفِ لله من عَهدِ
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنتُ عهدَها ولا لِيَ علمٌ بالذي فعلتْ بعدي
وما زادها الواشون إلا كَرامةً عليَّ وما زالت مودّتها عندي

— الغناء لمتيَّم ثقيلٌ اولُ عن الهشاميّ، وذكر أبن المعتزّ أنـه لشارية، وذكر أبن خُرداذبه أنه لقَلَم الصالحيّة : —

أفي الناسِ أمثالي أحبَّ فحالُهم كحالِيَ أم أحببتُ من بينهم وحدِي
وهل هكذا يلقى المحبّون مثلَ ما لَقِيتُ بها أم لم يَجِد أحدٌ وَجْدي

وقال جميل فيها :

خليليّ عُوجا اليومَ حتى تُسلّما ... على عَذْبةِ الأنياب طَيّبةِ النَّشر
ألِمّا بها ثم اشفعا لي وسَلّما ... عليها سَقاها الله من سائغ القطر
وبُوحا بذكري عند بَثنةَ وانظُرا ... أترتاح يوماً أم تَهشُّ الى ذكري
فإن لم تكن تَقطعْ قُوى الودِّ بيننا ... ولم تَنسَ ما أسلفتُ في سالف الدهر
فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولَوعةٌ ... ببَينٍ وغَربٌ من مدامعِها يجري
وإن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعدَنا ... وأصغتْ الى قول المُؤنِّبِ والمُزري
فسوف يُرى منها صدودٌ ولم تكن ... بنَفسيَ من أهل الخِيانة والغَدر
أعوذُ بك اللّهمّ أن تَشحَطَ النّوى ... ببثنةَ في أدنى حياتي ولا حَشري
وجاورْ اذا ما مِتُّ بيني وبينها ... فيا حَبّذا موتي اذا جاورت قبري
عَدِمتُكَ من حبٍّ أما منك راحةٌ ... وما بك عنّي من توانٍ ولا فَترِ
ألا أيّها الحبُّ المبرِّح هل ترى ... أخا كَلَفٍ يُغري بحبٍّ كما أُغري
أجِدّكَ لا تَبلى وقد بَليَ الهوى ... ولا ينتهي حبّي بُثينةَ للزَّجر

صوت

هي البدرُ حسناً والنساء كواكبٌ ... وشتّانَ ما بين الكواكبِ والبدرِ
لقد فُضِّلتْ حسناً على الناس مثلَما ... على ألفِ شهرٍ فُضِّلتْ ليلةُ القدْرِ

غنّت شاريةُ في هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ابن المعتزّ .

تهاجرا مدة ثم اصطلحا :

أخبرني محمد بن خَلف بن المرزُبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني الرحّال بن سعد المازنيّ قال :

وقع بين جميل وبُثينة هجرٌ في غَيرةٍ كان غارها عليها من فتًى كان يتحدث اليها من بني عمها، فكان جميل يتحدث الى غيرها، فيشقُّ ذلك على بُثينة وعلى جميل، وجعل كلٌّ واحدٍ منهما يَكرَه أن يُبدِيَ لصاحبه شأنه. فدخل جميلٌ يوماً وقد غلَبه الأمرُ الى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُثينة. فلما رأته بُثينة جاءت الى البيت ولم تبرُز له؛ فجزع لذلك جميل؛ وجعل كلٌّ واحد منهما يُطالع صاحبَه؛ وقد بلَغ الأمر من جميل كلَّ مبلغ، فأنشأ يقول:

لقد خِفتُ أن يغتالني الموتُ عَنوةً … وفي النفسِ حاجاتٌ اليكِ كما هِيا
وإني لتَثنيني الحفيظـةُ كلّما … لقِيتُكِ يوماً أن أُبثَّكِ ما بِيا
ألم تعلمي يا عذبـةَ الرِّيقِ أنني … أَظل اذا لم أُسقَ ريقَكِ صادِيا

قال: فرَّقتْ له بُثينة، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها: ما أحسنَ الصدقَ بأهله! ثم اصطلحا. فقالت له بُثينة: أنشِدني قولَك:

تَظَلُّ وراء السِّترِ تَرنُو بلَحظِهـا … إذا مرَّ من أترابها مَن يَرُوقُها

فأنشدها إياها؛ فبكت وقالت: كلّا يا جميل! ومَن ترى أنه يَرُوقني غيرُك!

نعي جميل وحزن بثينة عليه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نَصر المهلّبي قالا حدثنا عمر ابن شبَّة قال ذكر أيوب بن عَباية قال:

خرجتُ من تَيماء في أغباش[1] السحَر، فرأيت عجوزاً على أتان، فتكلّمتْ فإذا

---

(١) الغبش: ظلمة آخر الليل.

أعرابيةٌ فصيحة . فقلت : ممن أنتِ ؟ فقالت : عُذريّة . فأجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة؛ فقالت : والله إنّا لعلى ماء لنا بالجَناب وقد تنكّبنا الجادّة[١] لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشام تُريد الحجاز، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلّفوا معنا أحداثاً؛ فانحدروا ذاتَ عشيّة الى صِرْمٍ[٢] قريبٍ منا يتحدّثون الى جَوارٍ منهم ، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينة ، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هَضبةٍ تِلقاءنا ، فسلَّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فتأمّلته ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ . فقلت : أجميل ؟ قال : إي والله؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً، فقمت الى قَعبٍ لنا فيه أَقِطٌ مطحون والى عُكَّةٍ[٣] فيها سَمن ورُبٌ[٤]، فعَصَرتها على الأقط ثم أدنيتُها منه وقلت: أَصِبْ من هذا، فأصاب منه؛ وقمتُ الى سِقاء فيه لبنٌ فصبَبتُ عليه ماء بارداً فشرب منه وتراجعتْ نفسُه . فقلت له : لقد بلغتَ ولقيتَ شرّاً، فما أمرُك ؟ قال : أنا والله في هذه الهَضبةِ التي تَرَين منذ ثلاثٍ ما أَريمُها أنتظر أن أرى فُرجة، فلما رأيتُ منحدَرَ فِتيانكم أتيتُكم لأُودّعكم وأنا عامدٌ الى مِصر . فتحدثنا ساعةً ثم ودّعنا وشخَص؛ فلم تَطُل غيبتُه أن جاءنا نَعيُه . فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة :

صَدَعَ[٥] النَّعيُّ وما كنى بجميلِ وثوى بمِصرَ ثَواءَ غيرِ قُفولِ
ولقد أُجرّ الذَّيلَ في وادي القُرى نَشوانَ بين مَزارعٍ ونخيلِ
قُومي بُثينةُ فاندُبي بعَويلِ وابكي خليلَكِ دون كلّ خليلِ

أخبرني ابو الحسن الأسديّ قال حدثني محمد بن القاسم عن الأصمعيّ قال :

---

(١) الجادة : الطريق .

(٢) الصرم : الجماعة من الناس ليسوا بالكثير .

(٣) العكة : زقيق صغير للسمن .

(٤) الرب : ما يطبخ من التمر .

(٥) صدع : جاهر وصرح .

حدثني رجلٌ شهد جميلًا لمّا حضرته الوفاة بمِصر أنه دعاه فقال : هل لك في أن أعطيَك كلَّ ما أخلِّفه على أن تفعل شيئاً أعهده اليك ؟ فقال قلت : اللهم نعم . قال : إذا أنا متُّ فخُذ حُلّتي هذه التي في عَيبَتي فأعزِلها جانباً ثم كلُّ شيء سواها لك، وارْحَل الى رَهط بني الأحبّ من عُذْرة – وهم رَهط بُثينة – فاذا صرتَ اليهم فارْتحِلْ ناقتي هذه واركَبها، ثم البَس حُلّتي هذه واشْقُقها ثم اعلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلاك ذمٌّ . ثم أنشدني هذه الأبيات :

صَدَعَ النَّعيُّ وما كَنَى بجميلِ وثوى بمِصرَ ثَواءَ غيرِ قُفولِ

– وذكر الأبيات المتقدِّمة – فلما قضى وواريتُه أتيتُ رَهط بُثينة ففعلتُ ما أمرني به جميل، فما استتممتُ الأبيات حتى بَرَزَتْ إليَّ امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعْتهنَّ وبرَزَتْ أمامهن كأنها بدرٌ قد بَرز في دُجُنّةٍ وهي تتعثّر في مِرطِها[1] حتى أتتني، فقالت : يا هذا ، والله لئن كنتَ صادقاً لقد قتلتَني، ولئن كنتَ كاذباً لقد فضَحتني . قلت : والله ما أنا إلا صادق، وأخرجتُ حُلّتَه . فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكّتْ وجهها، واجتمع نساء الحيّ يبكين معها ويَندُبنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيّاً عليها ساعةً، ثم قامت وهي تقول :

وإنَّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ من الدَّهرِ ما حانتْ ولا حان حِينُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بنَ مَعمَرٍ اذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولينُها

قال : فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً وباكيةً منه يومئذٍ .

---

(١) المرط : كساء من صوف .

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

أمسى الشبابُ مُودَّعاً محمودَا ... والشيبُ مُؤتَنِفَ المحلِّ جديدَا
وتغيَّر البيضُ الأوانسُ بعد ما ... حَمَّلتُهنَّ مَواثِقاً وعُهـودَا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن الطَّثَرِيّة، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الاول بالبنصر . وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة .

(١) ائتنف الشيء واستأنفه : استقبله أو أخذ أوّله وابتداءه .

ذكر يزيد بن الطثرية واخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه :

ذكر ابن الكلبي أن اسمه يزيد بن الصِمّة أحد بني سَلَمةِ الخير بن قُشير . وذكر البصريّون أنه من ولد الأعور بن قشير . وقال أبو عمرو الشيباني : اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمة الخير بن قُشير بن كَعْب بن ربيعة بن عامر ابن صَعصعة . وإنما قيل له سَلَمةُ الخير لانه كان لقُشيرٍ ابنٌ آخر يقال له سَلَمةُ الشرّ . قال : وقد قيل : إنه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة .

والطَّثْرية أمه، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكّريّ عن محمد ابن حَبيب، امرأةٌ من طَثْر، وهم حيٌّ من اليمن عِدادُهم في جَرْم . وقال غيره : إن طَثْراً من عَنز بن وائل إخوةِ بَكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار . وكان أبو جَراد أحدُ بني المنتفِق ابن عامر بن عُقَيل أسَر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلّاه وأخذ عليه إصراً(١) ليبعَثنّ اليه بفدائه أو ليأتينّه بنفسه وأهله فلم يجد فِداء، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جَراد فوَسَمه بِسِمَةَ إبله، فهم حُلَفاء لبني المُنتفِق الى اليوم نحوٌ من خمسمائة رجل متفرّقين في بني عُقَيل يُوالون بني المنتفق، وهم يُعيَّرون ذلك الوَسمَ . وقال بعضُ مَن يهجوهم :

عليه الوَسْمُ وسمُ أبي جَرادِ

(١) الإصر : العهد .

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْرِيَّة :

أَلا بئسما أن تَجرِموني وتغضَبوا ... عليَّ اذا عاتبتُكم يا بني طَاثِرِ

وزعم بعض البصريين : أن الطَّثْرِيَّة أمَّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإخراج زُبْد اللَّبَن، فسُمِّيت الطَّثْرِيَّة . وَطثْرَةُ اللبن : زبدته .

كان كثير التحدث الى النساء :

ويُكنى يزيدُ أبا المكشوح . وكان يلقَّب مُودِّقاً؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون : إنه اذا جلس بين النساء ودَّقهنَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان يزيد بن الطَّثْرِيَّة يقول : من أفحِم عند النساء فلْيُنشِد من شعري . قال : وكان كثيراً ما يتحدّث الى النساء، وكان يقال : إنه عِنّين .

وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بني عمرو بن كِلاب عن سُعاد بنت يزيد بن زُرَيق امرأةٍ منهم :

أنَّ يزيد بن الطَّثْرِيَّة كان من أحسن مَن مضى وجهاً وأَطيبِه حديثاً، وأنَّ النساء كانت مفتونةً به، وذكر الناسُ أنه كان عِنّيناً، وذلك أنه لا عَقِبَ له، وأنَّ الناس أمحَلوا حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهكت الجليلةُ؛ فأقبل صِرْمٌ[1] من جَرْم ساقته السنَةُ والجَدبُ من بلاده الى بلاد بني قُشَير، وكان بينهم وبين

(١) الصرم : الجماعة من الناس .

بني قُشيرٍ حربٌ عظيمة؛ فلم يجدوا بُدًّا من رَمي قشيرٍ بأنفسهم لِما قد ساقهم من الَجدْب والَمجاعة ودِقّة الأموال وما أشرفوا عليه من الَهلَكة. ووقع الربيعُ في بلاد بني قُشيرٍ فأنتجعها الناسُ وطلبوها؛ فلم يَعدُ أن لقيتْ جَرْمٌ قُشيراً، فنصبتْ قشيرٌ لهم الحربَ. فقالت جرم: إنما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين. قالوا: مما ذا؟ قالوا: من السَّنة والَجدب والَهلَكة التي لا باقيةَ لها. فأجارتْهم قشيرٌ وسالمتْهم وأرعَتهم طَرَفاً من بلادها. وكان في جَرمٍ فتًى يقال له مَيَّاد، وكان غَزِلًا حسنَ الوجه تامّ القامة آخِذاً بقلوب النساء. والغزلُ في جرمٍ جائزٌ حسن، وهو في قُشيرٍ نائرة[1]. فلما نازلتْ جَرمٌ قشيراً وجاورتْها أصبح مَيَّادٌ الَجرمِيّ فغدا الى القُشيرِيَّات يطلبُ منهنّ الغَزَلَ والصِّبا والحديثَ واستبرازَ الفَتيات عند غَيبة الرّجال واشتغالِهم بالسَّقي والرّعية وما أشبه ذلك؛ فدَفعنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره. وراحت رجالُهنّ عليهنّ وهنّ مُغضَبات؛ فقال عجائزُ منهنّ: والله ما ندري أرعَيتم جَرماً الَمرعى أم أرعيتموهم نساءكم! فأشتدّ ذلك عليهم فقالوا: وما أدراكنّه؟ قُلنَ: رجلٌ منذُ اليومِ ظلّ مجحراً لنا ما يطلُع منا رأسُ واحدةٍ، يَدور بين بيوتنا. فقال بعضهم: بَيّتوا جَرماً فأصطلِموها[2]. وقال بعضهم: قبيح! قومٌ قد سَقيتُموهم مِياهكم وأرعيتُموهم مَراعيَكم وخَلَطتموهم بأنفسكم وأجرتُموهم من القَحط والسَّنة تفتاتون عليهم هذا الافتيات! لا تفعلوا، ولكن تُصبِحوا وتَقدَّموا الى هؤلاء القوم في هذا الرجل، فانه سفيهٌ من سُفهائهم فليأخذوا على يَدَيه. فإن يفعلوا فأَتمّوا لهم إحسانَكم، وإن يمتنعوا ويُقِرّوا ما كان منه يَحِلّ لكم البسطُ عليهم وتَخرُجوا من ذِمّتهم؛ فأجمعوا على ذلك. فلما أصبحوا غدا نفرٌ منهم الى جَرمٍ فقالو: ما هذه البِدعة التي قد جاورتُمونا بها! إن كانت هذه البدعة سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء، فبرّزوا عنّا أنفسكم وأذنوا بحرب.

(١) النائرة: العداوة والشحناء.

(٢) اصطلمه: استأصله.

وإن كان افتتاناً فغيِّروا على مَن فعله . وإنهم لم يَعدُوا أن قالوا لجرمٍ ذلك . فقام رجالٌ من جَرمٍ وقالوا : ما هذا الذي نالكم ؟ قالوا : رجلٌ منكم أمسِ ظلَّ يجُرّ أذياله بين أبياتنا ما ندري عَلامَ كان أمرُه ! فقهقهتْ جرمٌ من جَفاء القُشَيريين وعَجرفيَّتها وقالوا : إنكم لتُحسّون من نسائكم ببلاء؛ ألا فابعَثوا الى بيوتنا رجلًا ورجلًا . فقالوا : والله ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهنّ إلا العفّة والكرم، ولكن فيكم الذي قلتم . قالوا : فإنّا نبعث رجلًا الى بيوتكم يا بني قُشير اذا غدتِ الرجالُ وأخلف النساء، وتبعثون رجلًا الى البيوت، ونتحالف أنه لا يتقدّم رجلٌ منّا الى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعلمها بشيء مما دار بين القوم؛ فيَظلّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيًّا الماء وتُخلَى لهما البيوت، ولا تبرُزُ عليهما امرأةٌ ولا تُصادِق منهما واحداً فيُقبَلُ منهما صَرفٌ ولا عَدلٌ إلا بمَوثِقٍ يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها . قالوا : اللهمّ نعم . فظلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم، حتى إذا كان من الغد غدَوْا الى الماء وتحالفوا أنه لا يعود الى البيوت منهم أحد دون الليل . وغدا مَيّاد الجرميّ الى القُشيريّات، وغدا يزيد بن الطَّثْريّة القُشيريّ الى الجرميّات؛ فظل عندهنّ بأكرم مَظَلّ لا يصير الى واحدةٍ منهنّ إلا افتتنتْ به وتابعتْه الى المودّة والإخاء، وقَبض منها رَهناً وسألته ألّا يدخل من بيوت جَرمٍ إلّا بيتَها، فيقول لها : وأيّ شيء تخافين وقد أخذتِ منّي المواثيقَ والعهود وليس لأحدٍ في قلبي نصيبٌ غيرُكِ؛ حتى صُلّيت العصرُ . فانصرف يزيد بفَتَخٍ[1] كثيرٍ وذَبْلٍ[2] وبَراقِعَ وانصرف مَكحولًا مدهوناً شبعانَ ريّانَ مُرجّلَ اللِّمّة . وظلّ مَيّادٌ الجرميّ يدور بين بيوت القُشيريّات مرجوماً مُقصًى لا يتقرّبُ الى بيت إلا استقبلتْه الولائدُ بالعَمَد[3] والجَندَل، فتهالك لهنّ وظنّ أنه

---

(١) الفتخ : واحده فتخة، وهي حلقة من فضة لا فص لها .

(٢) الذبل : جلد السلحفاة البرّية .

(٣) العمد : قضبان الحديد . والجندل : الحجارة .

أرتيادٌ[١] منهنّ له، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ منهنّ وَجَهَده العطشُ، فانصرف حتى جاء الى سَمُرَةٍ[٢] قريباً الى نصف النهار، فتوسّد يدَه ونام تحتها نوَيمةً حتى أفرجتْ عنه الظّهيرةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما بـه من ألم الضرب وبرَد عطشُه قليلاً، ثم قَرُب الى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد، فوجد أمَةً تَذُود غنماً في بعض الظّعن[٣]، فأخذ بُرقُعَها فقال: هذا برقعُ واحـدةٍ من نسائكم، فطرَحه بين يدي القوم؛ وجاءت الأمَةُ تعدو فتعلّقتْ ببُرقعها فرُدَّ عليها وخجل مَيّادُ خجلاً شديداً. وجاء يزيد مُمسياً وقد كاد القوم أن يتفرّقـوا، فنثر كُمّه بين أيديهم ملآنَ براقِعَ وذَبلاً وفَتَخاً، وقد حلَف القومُ ألّا يعرِف رجلٌ شيئاً إلا رفعه. فلما نثر ما معه أسودّتْ وجوهُ جرمٍ وأمسكوا بأيديهم إمساكةً. فقالت قُشير: أنتم تعرِفون ما كان بيننا أمسِ من العهود والمواثيق وتحرُّج الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف الى حرام فليمسك يده؛ فبسط كلُّ رجل يده الى ما عرف فأخذه. وتفرّقوا عن حرب؛ وقالوا: هـذه مَكيدةٌ يا قُشير. فقال في ذلك يزيد بن الطَّثَريّة:

فإن شئتَ يا مَيّادُ زُرنا وزُرْتُمُ ... ولم ننفَس الدنيا على من يُصيبُهَا
أيذهب مَيّادٌ بألبـابِ نِسوتي ... ونسوةُ مَيّادٍ صحيـحٌ قلوبهَا

وقال ميّاد الجرميّ:

لَعَمرُكَ إنّ جمعَ بني قُشيرٍ ... لِجَرمٍ في يزيـدَ لظالمو نا
أليس الظلمُ أنّ أباك مِنّا ... وأنـك في كَتيبةِ آخرينا

---

(١) الارتياد: الطلب.

(٢) السمرة: شجرة من العضاه.

(٣) الظعن: سير البادية لنجعة او حضور ماء او طلب مربع او تحوّل من ماء الى مـاء او من بلد الى بلد.

أحالفةٌ عليكَ بنو قُشيرٍ يمينَ الصبرِ(١) أم مُتحرِّجونا

أحب وحشية ومرض لبعدها :

قال : وبُلِي يزيدُ بعشق جاريةٍ من جرم في ذلك اليوم يقال لها وَحشيَّة، وكانت من أحسن النساء . ونافرتْهم جرمٌ فلم يجد اليها سبيلاً، فصار من العشق الى أن أشرف على الموت واشتدّ به الجهد؛ فجاء الى ابن عمٍّ له يقال له خليفة بن بوزل، بعد اختلاف الأطباء اليه ويأسهم منه، فقال له : يابنَ عمّ، قد تعلم أنه ليس الى هذه المرأة سبيل، وأنّ التعزّيَ أجمل، فما أرَبُك في أن تقتل نفسك وتأثم بربك ! قال : وما هِمّي يابنَ عمّ بنفسي وما لي فيها أمر ولا نهي، ولا همّي إلا نفسُ الجرميّة؛ فإن كنتَ تريد حياتي فأرنيها . قال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملني اليها . فحمله اليها وهو لا يطمع في الجرميّة، إلا أنهم كانوا اذا قالوا له نذهب بك الى وَحشيَّة أبلّ قليلاً وراجعَ وَطمِع، وإذا أيِس منها اشتدّ به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلّل به اليمن، حتى اذا دخل في قبيلةٍ انتسب الى أخرى ويخبر أنه طالبُ حاجة . وأبلّ حتى صلح بعضَ الصَّلاح، وطمِع فيه ابنُ عمه، وصارا بعد زمانٍ الى حيّ وَحشيَّة فلقيا الرُّعيان وكَمَنا في جبل من الجبال . فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشاء فيسألهم عن راعي وحشيَّة، حتى لَقِي غلامَها وغنمَها؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وحشيَّة ؟ فقال غلامها : هي والله بشرّ ! لا حفِظ الله بني قُشيرٍ ولا يوماً رأيناهم فيه ! فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم — وكان بها طَرَفٌ مما بابن الطَّثَرية — فقال : ويحك ! فإنّ هاهنا إنساناً يُداويها، فلا تقل لأحدٍ غيرِها . قال : نعم إن شاء الله تعالى . فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار اليها . فقالت له : وَيحك ! فجئ به . ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه، وظلّ عنده يرعى غنمَه، وتأخر عن الشاء حتى تقدمته

(١) يمين الصبر : هي التي يحبس المرء حتى يحلفها .

الشاء وجنح الليلُ، وانحدر بين يديْ غنمه حتى أراحها . ومشى فيها يزيد حتى قرُبَتْ من البيت على أربع وتجلّل شملةً سوداء بلون شاةٍ من الغنم؛ فصار الى وحشية، فسُرّت به سروراً شديداً، وأدخلته سِتراً لها وجمعتْ عليه من الغد مَن تثِق به من صواحِباتها وأترابها . وقد كان عَهِد الى ابن عمه أن يُقيم في الجبل ثلاثَ ليال، فإن لم يرَه فلينصرف . فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع الى أصحِّ ما كان عليه، ثم انصرف فصار الى صاحبه . فقال: ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال:

لَوَ انّكَ شاهدتَ الصِّبا يابنَ بَوزَلٍ ... بفَرْع الغَضى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ (١)
لشاهدتَ لهواً بعد شَحطٍ من النّوى ... على سَخَطِ الأعداء حلواً شمائلُهْ

صوت

ويوماً كإبهامِ القَطاة مُزيَّناً ... لعيني ضُحاهُ غالباً ليَ باطلُهْ

غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني، وروايته:

تُشاهد لهواً بعد شحطٍ من النوى

مُخارِقٌ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني عليّ بن الصبّاح قال:

قال أبو محضة الأعرابيّ وأنشد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثرية، فلما بلغ الى قوله:

---

(١) الغياطل: جمع غيطلة وهي الظلمة المتراكمة .

بنفسِيَ مَن لو مَرَّ بَردُ بَنانِهِ على كَبِدي كانت شِفاءً أنامِلُهْ
ومَن هابني في كل أمرٍ وهِبتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

َطرِب لذلك وقال : هذا والله من مغنج الكلام .

كتب الى وحشية شعراً فأجابته :

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ : حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني هشام بن محمد بن موسى قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الطائيّ قال حدثني عبد الله ابن رَوح الغَنَويّ قال حدثتني ظَبية بنت وزير الباهليّة قالت :

كتب يزيد بن الطَّثْرِيّة الى وحشيَّة :

أُحِبُّكِ أطرافَ النهارِ بشاشةً وبالليلِ يدعوني الهوى فأُجيبُ
لئن أصبحتْ ريحُ المودّةِ بيننا شَمالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جَنوبُ

فأجابته بقولها :

أُحِبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا وإن لم يكن لي من هواك طبيبُ

أخبرني يحيي بن عليّ إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني هانئُ ابن سعد :

أنّ ابن الطَّثْرِيّة وابن بَوْزَل، وهو قَطَريّ بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برَملة حائل[١] بين قِفار المِلح ؛ فقال يزيد لابن بوزل : اذهب فاستقِ راحلتك

(١) حائل : موضع في أرض اليمامة لبني قشير .

وأسقِنا . فلما جاوز أوفى يزيدُ على أجرَع[١]، فرأى أشباحاً فأتاها . فقيل له : هـذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أي مُعجَبون بها) . فأتاها فظَلَّ عشيَّتَه وبات ليلتَه وأقام الغدَ حتى راح عَشِيّاً وقد لَقِيَ ابنُ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظاً . فلما دنا منه قال :

لَوَ أنكَ شاهدتَ الصِبا يا ابنَ بوزلٍ ... بجزْعِ الغَضى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ
بأسفَلِ خَلِّ المِلحِ إذ دَينُ ذِي الهوى ... مُؤدًّى وإذ خيرُ الوصالِ أوائلُهْ
لشاهدْتَ يوماً بعد شَحطٍ من النَّوى ... وبعد تَنائي الدارِ حُلواً شمائلُهْ

— وقد رُوِي : —

وغَيمَ الصِبا إذ راجعتْني غَياطِلُهْ

فاخترط[٢] سيفَه ابنُ بَوزَل؛ وحاوَطه[٣] يزيدُ بعَصاه، ثم اعتذر اليه وأخبره خبرَه فقبِل منه . وقد روى هذه الأبياتَ أبو عمرو الشيبانيّ وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هذه الأبياتَ :

ألا حَبَّذا عيناكِ يا أمَّ شَنبَلٍ ... إذا الكُحلُ في جَفنَيها جال جائلُهْ
فَداكِ من الخُلّانِ كلُّ مُمَزَّجٍ[٤] ... تكون لأدنى مَن يُلاقي وسائلُهْ
فرُحنا تَلقّانا بـه أمُّ شنبَلٍ ... ضُحَياً وأبكتنا عَشِيّاً أصائلُهْ

---

(١) الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

(٢) اخترط السيف : استله من غمده .

(٣) حاوطه : داوره .

(٤) الممزج : المخلط الكذاب، والذي لا يثبت على خلق .

وكنتُ كأني حينَ كان كلامُها وَداعاً وَخلّى مَوثِقَ العهدِ حامِلُهْ
رَهينٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبولُه عن الساقِ حتى جَرد السيفَ قاتلُه
فقال دَعوني سَجدَتَينِ وأُرعِدَتْ حِذارَ الرَّدى أحشاؤه ومَفاصِلُه

بنو سدرة ويزيد بن الطثرية :

قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق :

نزلتْ ساريةٌ[١] من بني سِدرةَ على بني قُشيرٍ بمالهم؛ فجعلتْ فِتيانُ قُشيرٍ تترجّل وتتزيّن وتزور بيوتَ سِدرة . فاستَنهَوهم[٢]؛ فقال يزيد بن الطَّثَريّة : وما في هذا عليكم ! زُورُوا بيوتنا كما نزور بيوتَكم، وقال :

دعوهنّ يَتبَعنَ الصِّبا وتبادلوا بِنا ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ

ثم إنّ بني سِدرة قالوا لنسائهم : وَيحكنّ فضحتُنّنا ! نأتي نساء هؤلاء فلا نقدِر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تَحتجِبنَ عنهم . فقالت كَهلةٌ منهنّ : مُرُوا نساءكم يجتمعنَ الى بيتي، فاذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلا عندي، فإنْ يزيدُ أتاني لم يَعدُ في بيوتكم ففعلوا . فجاء يزيدُ فقال :

سلامٌ عليكنَّ الغَداةَ فما لنا إليكنّ إلا أن تَشأنَ سبيلُ

فقالت الكهلةُ : ومن أنت ؟ فقال :

أنا الهائمُ الصبُّ الذي قاده الهوى إليكِ فأمسى في حبالِكِ مُسلَما

(١) السارية : الجماعة تسري .

(٢) استنهاه : قال له انته .

بَرَته دواعي الحبِّ حتى تركْنَه   سقيماً ولم يَترُكنَ لحماً ولا دَماً

فقالت: اخترْ إحدى ثلاثِ خِصال: إمّا أن تمضي ثم ترجعَ علينا فإنّا نَرْقُبُ عيونَ الرجال فإنهم قد سَبُّونا فيك؛ وإمّا أن تختار أحبَّنا اليك، وأن تطلب امرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشهَرَكَ الناسُ، ونسي الثالثة. فقال: سآخذ إحداهن، فاختاري أنت إحدى ثلاثِ خصال. قالت: وما هنّ؟ قال: إما أن أحمِلَكِ على مَرضُوفٍ[1] من أمري فتركبيه، وإما أن تحمِليني على مَشرُوجٍ[2] من أمركِ فأركبه، وإما أن تَلْزَّي بَكرِي بين قَلُوصيك. قالت: لو وقع بَكرُك بين قَلوصيَّ لطَمَرتا[3] به طَمرةً يتطامن عنقُه منها. قال: كلّا! إنه شديد الوَجيف[4]، عارِمُ الوَظيف[5]، فغلبها. فلما أتاها القوم قالت لهم: إنه أتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأة. فإمّا أن تُغمِضوا له، وإما أن تَرحَلوا عن مكانكم هذا؛ فرَحلوا وذهبوا. فقال حَكيم بن أبي الخِلاف السَدَريّ في قصيدة له يذكر أنه إنما ارتحلوا عنهم لأنهم آذوهم بكثرة ما يصنعون بهم:

فكان الذي تُهدُون للجار منكم   بخاتيجَ[6] حبأتٍ كثيراً سُعالُها

يزيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية:

قال إسحاق فأخبرني الفَزاريّ: أنّ قوماً من بني نُمَيرٍ وقوماً من بني جَعفَر

---

(١) المرضوف: المحمى.

(٢) المشروج: المشقوق.

(٣) طمر الشيء: دفنه وخبأه.

(٤) الوجيف: سرعة السير.

(٥) العارم: القويّ الشديد. والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ الى مفصل الساق.

(٦) البخاتج: جمع بختج (بالضم) وهو العصير المطبوخ.

تزاوروا؛ فزار شُبانٌ من بني جعفر بيوتَ بني نُمير، فقبلوا وحدثوا، وزار بنو نُمير بني جعفر فلم يُقبلوا؛ فاستنجدوا ابنَ الطثرية فزار معهم بيوتَ بني جعفر، فأنشدهنَّ وحدثهنَّ فأُعجِبنَ به واجتمعنَ اليه من البيوت. فتوعّد بنو جعفر ابنَ الطثرية، فتتاركوا وأمسك بعضهم عن بعض. فأرسلتْ أسماء الجعفرية الى ابن الطثرية أن لا تقطعني، وإن مُنعتُ فإني سأتخلص الى لقائك. فأنشأ يقول:

خليليَّ بين المُنحنى من مُخمَّرٍ ... وبين اللِّوى من عَرفجاء[1] المُقابلِ
قفا بين أعناق اللِّوى لمُرِنّةٍ ... جنوبٍ تُداوي غلَّ شوقٍ مُماطلِ
لكيا أرى أسماء أو لتمسّني ... رياحٌ بريّاها لِذاذُ الشمائلِ
لقد حادلتْ[2] أسماء دونك باللِّوى ... عيونَ العِدا سَقياً لها من مُحادِلِ
ودسّت رسولاً أنّ حولي عِصابةً ... هُمُ الحربُ فاستبطن سلاحَ المُقاتِلِ
عشيّةَ ما لي من نصيرٍ بأرضها ... سوى السيفِ ضمّتْهُ إليَّ حمائلي
فيا أيّها الواشون بالغِشِّ بيننا ... فُرادى ومَثنى من عدوٍّ وعاذلِ
دَعُوهنَّ يَتبعنَ الهوى وتبادلوا ... بنا، ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ
ترَوا حين نأتيهنَّ نحنُ وأنتمُ ... لِمَن وعلى مَن وَطأةُ المُتثاقِلِ
ومَن عُرّيتْ للهو قِدماً رِكابُه ... وشاعت قوافي شعرِه في القبائلِ
تُبرِّزْ وجوهُ السابقين ويَختلِطْ ... على المُقرفِ[3] الكافي غبارُ القنابلِ
فإن تمنعوا أسماء أو يكُ نفعُها ... لكم أو تَدِبّوا بيننا بالغوائلِ
فلن تمنعوني أن أُعلِّل صُحبتي ... على كل شيء، من مدى العينِ قابلِ

قال إسحاق وحدثني أبو زياد الكلابي:

---

(١) عرفجاء: ماء لبني قشير.

(٢) حادل: راوغ.

(٣) المقرف: النذل. والكافي: الخادم. والقنابل جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس او الخيل.

أن يزيد بن الطثرية كان شريفاً مِتلافاً يغشاه الدَّين؛ فإذا أُخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَور؛ ثم إنه كثُر عليه دَينٌ لمولًى لعُقبةَ بن شَريك الحَرَشيّ يقال له البربريّ فحبسه له عُقبة بالعَقيق من بلاد بني عُقيل، وعُقبةُ عليها يومئذٍ أميرٌ.

وقال المُفضَّل بن سَلَمة قال أبو عمرو الشيبانيّ: كان يزيد قد هَرَب منه، فرجع اليه من حبِّ أسماء، وكانت جارةَ البربريّ، فأخذه البربريّ. ويقال: إنه أعطاه بعيراً من إبل ثَور أخيه. فقال يزيد في السجن:

قضى غُرمائي حبُّ أسماء بعد ما ... تَخوَّنني ظلمٌ لهم وفُجورُ
فلو قلَّ دَينُ البربريّ قضيتُه ... ولكنَّ دَينَ البربريّ كثير
وكنتُ إذا حَلَّتْ عليَّ ديونُهم ... أضُمّ جَناحي منهمُ فأطير
عليّ لهم في كل شهرٍ أديَّة[١] ... ثمانون وافٍ نَقدُها وجَزور
نَجيء الى ثَورٍ ففيمَ رحيلُنا ... وثَورٌ علينا في الحياة صَبور
أشدّ على ثَورٍ وثورٌ إذا رأى ... بنا خَلَّةً جَزْلُ العطاء غفور
فذلك دَأْبي ما بقيتُ وما مَشى ... لثَورٍ على ظهر البِلاد بعير

ويُروى: «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إن عُقبة حَجّ على جمل له يقال له ابن الكُميت أنجب ما ركب الناسُ، وثبت ابن الطثريّة في السجن حتى انصرف عُقبة بن شَريك من مكة، فأرسل ابنَ الكميت في مَخاضه[٢] مستقبِلةَ الرَّبيع وهي حاضرة العقيق، تأكل الغَضى وتشرب بأحسائه[٣]، وانحدر عُقبة نحو اليمامة وعليها المُهاجِر بن عبد الله الكِلابيّ. فلمّا ضاقت بابن الطثريّة المخارِج قال له صاحبٌ له: لا أعلم لك أنجى إن قَدرتَ على الخروج من السجن إلا أن تركب

(١) الأدية في اللغة: المال القليل.

(٢) المخاض: الحوامل من النوق.

(٣) الأحساء جمع واحده الحسى وهو سهل من الارض يستنقع فيه الماء.

ابن الكُميت فيُنجيك نحو بلد من البلاد . فلم يزل حتى جعل للحَدّاد(١) على أن يُرسله ليلةً الى ابن عمه جُعلاً؛ فشكا اليه وَجدَه بها فأرسله . فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاء فاحتكم ابنَ الكميت حتى جلس عليه فوجّهه قصدَ اليامة يريد عُقبةَ بن شريك؛ وقال في طريقه :

لَعمريَ إن ابنَ الكُميتِ على الوَجا(٢) وَسيريَ خمساً بعد خمسٍ مُكمَّلُ
لَطَلقُ الهوادي بالوَجيفِ اذا وَنى ذواتُ البَقايا(٣) والعَتيقُ الهمرَجل

فورد اليامةَ فأناخ بابنِ الكميت على باب المهاجر، فكان اول مَن خرج عليه عُقبة ابن شريك . فلما نظر اليه عرفه وعرف الجمل فقال : وَيحك ! أيزيدُ أنت ؟ قال نعم . وهذا ابن الكميت ؟ قال نعم . قال : ويحك ! فما شأنك ؟ قال : يا عقبة ، فارّ منك اليك؛ وأنشده قصيدته التي يقول فيها :

يا عُقب قد شُذِبَ اللِّحاء عن العصا عنّي وكنتُ مُوزَّراً محمودا
صِلْ لي جَناحي واتّخذني عُدّةً ترمي بيَ المُتعاشيَ الصِّنديدا

فقال له عقبة — وكانت من خير فَعلةٍ علمناه فعلها — : أُشهدكم أني قد أبرأته من دَين البربري وأن له ابنَ الكميت ؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله . وهذان البيتان من القصيدة التي أولها :

أمسى الشبابُ مودَّعاً محمودا

وهي من جيّد شعره، يقول فيها :

---

(١) الحدّاد : السجان .

(٢) الوجا : أن يشتكي البعير باطن خفه .

(٣) ذوات البقايا من الخيل : التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل . والعتيق : الرائع . والهموجل : السريع .

ومُدِلَّةٍ عند التبذُّل[١] يَفتري[٢] منها الوِشاحُ[٣] مُخَصَّراً أُملودَا
نازعتُها غُنمَ الصِبا إنّ الصِبا قد كان مني للكواعب رِيدا
يا للرِّجالِ وإنما يشكو الفتى مَرَّ الحوادث او يكون جليدا
بَكرتْ نَوارُ تَجُدُّ[٤] باقيةَ القُوى يومَ الفِراق وتُخلِفُ الموعودا
ولرُبَّ أمرِ هَوًى يكون نَدامةً وسبيلِ مَكرَهةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخَر:

لا أتَّقي حَسَكَ[٥] الضغائنِ بالرُّقى فِعلَ الذَّليلِ وإن بَقيتُ وحيدَا
لكنْ أُجرِّدُ للضغائن مثلَها حتى تموتَ وللحُقود حُقودَا

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن الصبّاح قال:

قال أبو محضة الأعرابيّ وأنشد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطثريّة: هي والله من مغنج الكلام:

بنَفسِيَ مَن لو مَرَّ بَردُ بَنانِهِ على كبدي كانت شفاءً أناملُهْ
ومَن هابني في كلّ شيءٍ وهِبتُهُ فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

---

(١) التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة.

(٢) يفتري: يريد به يكسو.

(٣) الوشاح: شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها مخالفاً بينها. والمخصر: الدقيق الضامر. والأملود: الناعم الغض.

(٤) تجدّ: تقطع.

(٥) المراد بحسك الضغائن: الحقد والعداوة.

وهذه الابيات من قصيدته التي قالها في وَحشيَّة الجرميَّة التي مضى ذكرها .

تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثتني ظبية قالت :

مرّ يزيد بن الطثريّة بأعداء له ؛ فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الإبلَ على أثره ؛ فخشي أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة ، فنزل فسبقهم عَدواً، وأدركوا الراحلةَ فعقروها . فقال في ذلك :

ألا هل أتى ليلى على نأيِ دارِها ... بأن لم أقاتلْ يومَ صخرٍ مُذَوَّدا
وأنّي أسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ ... وقد كنتُ مِقداماً بسيفيَ مُفردا
أثرتُ فلم أسطِع قتالًا ولا ترى ... أخا شيعةٍ يوماً كآخر أوحدا
فهل تصرِمَنّ الغانياتُ مودّتي ... إذا قيل قد هاب المنونَ فعرَّدا[١]

هاجى فديكا الجرميّ لانه عذب وحشية بالنار ليصدّها عنه :

أخبرني يحيى إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زِياد قال :

كان يزيد بن الطثريّة يتحدث الى نساء فُدَيك بن حَنظلة الجرميّ ، ومنزلها بالفلَج[٢] . فبلغ ذلك فُدَيكا فشقّ عليه فزجر نساءه عن ذلك ، فأبَينَ إلا أن يدخل عليهنّ يزيد . فدخل عليهنّ فُدَيك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أخواتِه وبناتِ

---

(١) عرّد : هرب .

(٢) الفلج (بالتحريك) : مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير .

عمه وغيرَهن من حُرَمه، ثم قال لهن: قد بلغني أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه، وإن لله عليّ نَذراً واجباً – واخترط سيفَه – إن لم أضرب أعناقكنّ به. فلما ملأهنّ رُعباً ضرب عنق غلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصام فقتله، ثم أنشأ يقول:

جعلتُ عصاماً عِبرةً حين رابني ... أناسيَّ من أهلي مِراضٌ قلوبُها

ثم إنّ فُدَيكا رأى يزيدَ قائماً عند باب أهله، فظنّ أنه يُواعد بعض نسائه، فارتصده على طريقه وأمر بزُبيةٍ[1] فحُفرتْ على الطريق ثم أوقد فيها ناراً ليّنةً ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما: تبصّرا هل ترَيان أحداً؛ فلم يَلبثا إلا قليلاً حتى خرجتْ بنت أخي فُدَيك، وكان يقال لها وَحشيّة، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد؛ فأيقظه العبدان؛ ومضت حتى وقعت على الزُّبية فاحترق بعضها، وأمر بها فأُخرجتْ، واحتملها العبدان فانطلقا بها الى داره. فقال فُدَيك:

شفى النفسَ من وَحشيّةَ اليومَ أنها ... تَهادى وقد كانت سريعاً عَنيقُها[2]
فإلّا تدع خبطَ الموارِدِ في الدُّجى ... تكُنْ قَمَناً من غشيةٍ لا تُفيقُها
دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنّه ... يُداوي المجانينَ المُخلّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال:

ستَبرأُ من بعدِ الضَّمانةِ[3] رِجلُها ... وتأتي الذي تَهوى مُخلّى طريقُها
عليّ هدايا البُدنِ إن لم أُلاقِها ... وإن لم يكن إلا فُدَيكٌ يسوقها

---

(١) الزبية: الحفرة يصاد بها الاسد والذئب.

(٢) العنيق: السير المنبسط.

(٣) الضمانة: الزمانة والعاهة. أراد احتراق رجلها.

يُحِصِّنها مني فديكٌ سَفاهــةً   وقد ذهبتْ فيها الكُباس(١) وحُوقُها
تُذيقونها شيئاً من النــار كلَّما   رأتْ من بني كعبٍ غلاماً يَرُوقها

قال: وإنما كانت وضعت رجلها فأحرقتها النار .

وقال يزيد أيضاً :

يا سُخنةَ العينِ(٢) للجَرمِيِّ إذ جمعتْ   بيني وبــينَ نَوارٍ وحشةُ الدارِ
خُبِّرتُهم عذَّبوا بالنــار جارتَهم   ومَن يُعذِّبُ غـيرَ الله بالنارِ

فبلغ ذلك فُدَيكا فقال :

أحالفةٌ عليك بنو قُشيرٍ   يَمِينَ الصبرِ(٣) أم متحرِّجونا

— ويروى : يمين الله —

فإن تنكُل قُشيرٌ تَقضِ جَرمٌ   وتقضِ لها مع الشبه اليقينا
أليس الجـورُ أنَّ أباك مناً   وأنــك في قبيلةِ آخرينا
لعَمرُ اللهِ إنَّ بني قُشــيرٍ   لِجَرمٍ في يزيــدَ لظالمونا
فإلا يَحلِفوا فعليــك شَكلٌ   ونَحرٌ ليس مما يعرفونا
وأعرِفُ فيك سِيما آلِ صَقرٍ   ومِشيتَهم إذا يتخيَّــلونا

قال: وكانت جَرمٌ تدَّعيه، وقُشيرٌ تدّعيه؛ فأراد أن يُخبر أنه دَعِيٌ .

---

(١) الكباس : الكمرة الضخمة . والحوق : ما استدار من حروفها .

(٢) سخنت عينه سخناً وسخونة وسخنة : نقيض قرّت .

(٣) يمين الصبر : هي التي يلزم بها المرء ويحبس عليها حتى يحلف بها .

وقال فُدَيك بن حنظلة يهجوه:

وإنّا لسيّارون بالسُّنَّة التي أُحلّت وفينا جفوةٌ حين نُظلَمُ
ومنّا الذي لاقته أمك خالياً فلم تدرِ ما أيّ الشهور المحرّمُ

فقال يزيد يهجو فُدَيكا:

أنعتُ عَيراً من عُيور القهر أقمرَ من شرِّ حمير قُمْرِ[1]
صبّح أبياتَ فُدَيكٍ يجري منزلةَ اللؤم ودارَ الغدر
فلقيتُه عند باب العقر[2] يَنشطها والدرعُ عند الصَّدر

نَشطَكَ بالدّلو قراحَ الجفر[3]

حاور حسناء عرفته من حديثه:

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو الحارث هانئ بن سعد الخفاجيّ قال:

ذُكرت ليزيد بن الطثرية امرأةٌ حدثةٌ جميلةٌ؛ فخرج حتى يدفعَ اليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدثان، فسلّم عليهم؛ فأوجستْ أنه يزيد ولم تتثبّتْ، ورأتْ عليه مسحة. فقالت: أيُّ ريح جاءت بك يا رجل؟ قال: الجنوبُ. قالت: فأيَّ طيرٍ جرتْ لك الغداة؟ قال: عنزٌ زنمةٌ[4] رأيتُها يداورُها ثعلبانِ؛

(١) القهر: موضع. والقمرة: لون الى الخضرة.

(٢) العقر: موضع. وينشطها: يرفعها.

(٣) الجفر: البئر.

(٤) عنز زنمة: لها لحمتان متدليتان من حلقها.

فانقضَّ عليها سِرحانٌ[١] فراغ الثعلبانِ . قال : فطفَرتُ وراء سِترها ، وعرفتُ أنه يزيد .

ذهب معه قطريٌ لرؤية نساء يحتجبن عنه :

قال إسحاق وحدثني عَطرَّد قال :

قال قَطَرِيّ بن بَوزَل ليزيد بن الطَّثَريّة : انطلِقْ معي الى فلانةَ وفلانة فانهنّ يَبرُزنَ لك ويستترنَ عنّي ، عسى أن أراهنّ اليوم على وجهك . فذهب به معه ، فخرج عليهما النِسوةُ وَظلّا يتحدّثان عندهن حتى تَرَوّحا . وقال يزيد في ذلك :

علـى قَطَرِيّ نعمةٌ إن جزى بها   يزيدَ وإلا يَجزِهِ اللهُ لي أجرَا
دنوتُ به حتى رَمى الوحشَ بعدما   رأى قَطَرِيٌّ من أوائلها نَفرَا

قصته مع رجل من صداء :

أخبرنا يحيي إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَطرَّد قال :

نزل نَفرٌ من صُداء[٢] بناحية العَقيق ، وهو منزلُ ابن الطثريّة ، نصفَ النهار فلم يأتهم أحد ؛ فأبصرهم ابن الطثريّة فمرّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أهله . فلما رآهم مُرمِلين[٣] أنفذ اليهم هديّةً ومضى على حِياله ولم يراجعهم . فسألوا عنه

(١) السرحان : الذئب .

(٢) صداء : مخلاف باليمن ، بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً .

(٣) المرمل : الذي نفد زاده .

بعدُ حتى عرفوه، فَحَلا عندهم وأعجبهم . ثم إنّ فتى منهم وادّه فآخاه فأهدى له بُرداً وجُبَّةً ونَعلَين . ثم اغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطرِّف بن الأعلم بن رَبيعة بن عُقيل على ناس من خَثعَم . وفي ذلك يقول الشاعر :

مُغار ابن هَمَّامٍ على حَيّ خَثعَما

فأخذ منهم إبلاً ورَقيقاً، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه، وكان يهواها الذي آخى يزيدَ، فأصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نحِل جسمُه وتغيّرتْ حالُه ؛ فأقبل الفتى حتى نَزل العقيقَ متنكِّراً؛ فشكا الى يزيد ما أصابه في تلك الجارية . فقال : أفيك خير ؟ قال نعم . قال : فإني أدفعها اليك . فَخبّاه في عَريشٍ له أياماً حتى خَطِف الجارية فدفعها اليه . فبعث اليها قَطَريٌّ بن بَوزَل، فاعترض لها بين أهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها اليه وقد وَطّن له ناقةً مُفاجّةً[1] فقال : النَّجاةَ فإنك لن تُصبح حتى تخرجَ من بلاد قُشير وتصيرَ الى دار نَهْد فقد نجوتَ؛ وأنا أخفي أثرَك فعفّى أثرَه، وقال لابنة خمّار كان يشرب عندها : اسحي ذيلَكِ على أثره ففعلتْ . ثم بُحِث على ذلك حتى قيل : قد كان قَطَريٌّ أحدثَ الناسِ بها عهداً؛ فاستُعدِيَ عليه فظَفر بيزيد فأُخذ مكانَه فحُبِس بحُجر[2]، حبسه المُهاجر . في ذلك يقول يزيد :

ألا لا أبالي إن نجا لي ابنُ بَوزَلٍ ثَوائي وتقييدي بحُجرٍ لياليا
إذا حُمّ أمرٌ فهو لا بدّ واقعٌ له لا أبالي ما عليّ ولا ليا
هو العسَلُ الماذيُّ[3] طوراً وتارةً هو السمُّ والذّيفان والليثُ عاديا

---

(١) المفاجة : التي تفرّج في المشي بين رجليها .

(٢) حجر (بالضم) : قرية باليمن .

(٣) الماذيّ : العسل الأبيض . والذيفان (بالفتح ويكسر) : السم الناقع .

نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبه :

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب عن محمد بن سَلّام الجُمَحيّ قال حدثني أبو الغرّاف قال :

كان يزيد بن الطثريّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلِّهم شعراً، وكان أخوه ثَورٌ سيّداً كثيرَ المال والنخل والرَّقيق، وكان متنسِّكاً كثيرَ الحجّ والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يُلِمّ بالحيّ إلا الفَلتة والوَقعة، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطثريّة فتُسقى على عَينه . فبينا يزيدُ مارٌّ في الإبل وقد صدَر عن الماء إذ مرّ بخِباء فيه نسوةٌ من الحاضر؛ فلما رأينَه قلن : يا يزيد، أطعِمنا لحماً . فقال : أعطِينني سِكّيناً فأعطينه، ونحرَ لهنّ ناقةً من إبل أخيه . وبلغ الخبرُ أخاه ؛ فلما جاءه أخذ بشعره وفنّقه وشتَمه . فأنشأ يزيد يقول :

يا ثَورُ لا تَشتُمَنْ عِرضي فداك أبي ... فإنما الشتمُ للقوم العَواويرِ[1]
ما عَقرُ نابٍ لأمثال الدُّمى خُرُدٍ ... عِينٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعاصيرِ[2]
عَطَفنَ حَولي يَسألنَ القِرى أُصلاً ... وليس يَرضَينَ مني بالمَعاذيرِ
هَبهُنّ ضيفاً عَراكم بعد هَجعتِكم ... في قِطقِطٍ[3] من سَقيطِ[4] الليل منثورِ

---

(١) العواوير : الجبناء .

(٢) الخرد : جمع خريدة وهي المرأة الحيية ، والبكر التي لم تمس . والعين : جمع عيناء وهي الواسعة العين . والمعاصير : جمع معصر وهي الجارية التي بلغت شبابها أو أدركت .

(٣) القطقط (كزبرج) : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر .

(٤) السقيط : الندى والثلج .

وليس قُرَبكمُ شاءٌ ولا لبنٌ ... أيرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبورِ
ما خيرُ واردةٍ للماء صادرةٍ ... لا تنجلي عن عقيرِ الرِّجل منحور

أحب امرأة وعلم أن سبعة يحبونها :

أخبرني أبو خليفة قال قال ابن سلّام :

كان يزيد بن الطثرّية يتحدث الى امرأة ويُعجَب بها . فبينا هو عندها إذ حدث لها شابٌ سواه قد طلع عليه، ثم جاء آخرُ ثم آخرُ، فلم يزالوا كذلك حتى تمّوا سبعةً وهو الثامن؛ فقال :

أرى سبعةً يَسعونَ للوصلِ كلُّهم ... له عند ليلى دِينةٌ يستدينُها
فألقيتُ سهمي وسطَهم حين أوخشوا[1] ... فما صار لي من ذاك إلّا ثَمينُها
وكنتُ عَزُوفَ النَّفسِ أشنأ أن أرى ... على الشِّرك من وَرْهاء طَوعٌ قرينُها[2]
فيوماً تراها بالعهود وَفِيَّةً ... ويوماً على دِينِ ابنِ خاقانَ دينُها
يداً بيدٍ مَن جاء بالعينِ منهمُ ... ومَن لم يجيء بالعين حِيزَت رُهونُها

وقال فيها وقد صارمها :

ألا بأبي مَن قد يَرى الجسمَ حُبُّهُ ... ومَن هو موموقٌ اليَّ حبيبُ
ومن هو لا يزداد إلا تشوُّقاً ... وليس يُرى إلّا عليه رقيب
وإني وإن أحموا[3] عليَّ كلامَها ... وحالت أعادٍ دونها وحُروب

---

(١) أوخشوا : خلطوا وصاروا الى الوخاشة أي الرذالة .

(٢) الورهاء : الحمقاء .

(٣) أحمى : حرّم ومنع .

لَمُثْنٍ على ليلى ثناء يزيدها قوافٍ بأفواه الرُّواةِ تطيبُ
أليلى أحذري نقضَ القوى لا يزلْ لنا على النأيِ والهجرانِ منكِ نصيب
وكوني على الواشين لدّاء شغبةً كما أنا للواشي ألدُّ شغوب
فإنْ خفتِ ألا تحكمي مِرَّةَ القوى فرُدّي فؤادي والمَزارُ قريب

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال:

إستعدت جرْمٌ على ابن الطثريّة في وحشيّة (امرأةٍ منهم كان يشبّب بها) فكتب بها صاحبُ اليامة الى ثور أخي يزيد بن الطثريّة وأمره بأدبه، فجعل عقوبته حلق لِمّته فحلقها، فقال يزيد:

أقول لثورٍ وهو يحلقُ لِمّتي بججناء مردودٍ عليها نصابُها

— قال عبد الرحمن: كان عمي يحتجّ في تأنيث الموسى بهذا البيت —:

ترفّق بها يا ثورُ ليس ثوابُها بهذا ولكن غيرُ هذا ثوابُها
ألا ربّما يا ثورُ قد غلّ وسطها أناملُ رخصاتٌ حديثٌ خضابُها
وتسلك مِدرَى[1] العاج في مُدلهِمّةٍ اذا لم تُفرّجْ مات غمًّا صُوابُها
فراح بها ثورٌ ترِفّ[2] كأنها سلاسلُ دِرعٍ خيرُها[3] وانسكابُها
مُنعّمةٌ كالشَّريةِ[4] الفردِ جادَها نِجاءُ الثريّا هطلُها وذِهابُها

(١) المدرى: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لم يكن له مشط. ومدلهمة: سوداء.

(٢) رف لونه: برق وتلألأ.

(٣) الخير: الهيئة.

(٤) الشرية: شجرة الحنظل، تشبه اللمم بها لحسنها لأنها جعدة. والنجاء: جمع نجو كبحر وبحار، وهو السحاب الذي هراق ماءه. والذهاب: جمع ذهبة (بالكسر) وهي المطرة الضعيفة.

فأصبح رأسي كالصُّخَيرة أشرفتْ عليها عُقابٌ ثم طارت عُقابُهَا

اخبار من حلقت رؤوسهم :

ونظير هذا الخبر اخبار مَن حُلِقتْ جُمَّتُه فرثاها ، وليس من هـذا الباب ، ولكن يُذكر الشيء بمثله :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عبد الرحمن عن عمه قال :

شَرِب طُخَيمُ الأسديّ بالحيرة ، فأخذه العبّاس بن مَعبَد المُرّيّ ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر ، فحلَق رأسه ؛ فقال :

وبالحيرةِ البَيضاء شَيخٌ مُسلَّطٌ إذا حلَف الأيمـانَ بالله بَرّتِ
لقد حلَقوا منّا غُـداقاً كأنها عناقيدُ كَرمٍ أينعتْ فاسبطرّتِ (١)
يَظلّ العذارى حين تُحلَقُ لِمّتي على عَجَلٍ يَلقُطنَها حين جُزّتِ

أخبرني محمد عن عبد الرحمن عن عمه عن بعض بني كِلاب قال :

أخذ فتًى منّا مع بعض فَتيات الحيّ ، فحُلِق رأسه فقال :

يا لِمّتي ولقـد خُلقتِ جَميلةً وكرُمتِ حين أصابكِ الجَلَمانِ
أمستْ تَروق الناظرين وأصبحتْ قَصصاً (٢) تكون فواصلَ المرجانِ

شعره في أخيه ثور :

أخبرني وَكيع قال حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثنـا أبو مُحلِّم قال :

(١) اسبطرت : طالت وامتدت .

(٢) القصص (بالتحريك) : ما قص من الشعر .

كان ليزيد بن الطثرية أخٌ يقال له ثَور أكبرُ منه، فكان يزيد يُغير على ماله ويُتلفه، فيتحمّله ثَور لمحبته إياه. فقال يزيد في ذلك :

نُغيرُ على ثَورٍ وثورٌ يَسُرُّنا وثورٌ علينا في الحياة صَبورُ
وذلك دَأْبي ما حَييتُ وما مشى لثورٍ على عَفرِ التراب بعيرُ

مقتل يزيد وما رثاه به الشعراء :

وقُتل يزيد بن الطثرية في خلافة بني العباس، قتلته بنو حَنيفة.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكريّ عن محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابي عن المُفضَّل بن سَلَمة عن أبي عُبيدة وابن الكلبيّ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجرّاح العُقَيليّ قال :

أغارت بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقيل ومعهم رجلٌ من بني قُشير جارٌ لهم؛ فقُتل القُشيريّ ورجلٌ من بني عُقيل وأَطردت(١) إبلٌ من العُقيليين؛ فأتى الصريخ(٢) عُقيلاً فلحقوا القومَ فقاتلوهم فقتلوا من بني حَنيفةَ رجلاً وعقروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبثوا سنة. ثم إن عُقيلاً انحدرتْ منتجعةً من بلادها الى بلاد بني تَميم، فذُكِر لحنيفةَ وهم بالكوكبةِ والقيضاف، فغزتهم حَنيفةُ، وحَذِر العُقَيليّون وأتتهم النُّذُرُ من غُيرٍ فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم؛ فبلغ ذلك من بني عُقيل وتلهّفوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعاً ليَغزُوا حنيفة، ثم تشاوروا. فقال بعضهم : لا تغزوا قوماً في منازلهم ودُورهم فيتحصّنوا دونكم

---

(١) طرد الابل : ساقها.

(٢) الصريخ : الاستغاثة.

ويمتنعوا منكم، ولا نأمن أن يفضحوكم، فأقاموا بالعقيق . وجاءت حنيفةُ غازيةً كعباً لا تتعدّاها حتى وقعت بالفلَج، فتطاير الناسُ، ورأسُ حَنيفة يومئذٍ المُندلِفُ، وجاء صَريخ كَعب الى أبي لطيفة بنِ مُسلم العقَيليّ وهو بالعقيق أميرٌ عليهـا ؛ فضاق بالرسول ذَرعاً وأتاه هولٌ شديد، فأرسل في عُقَيل يستمدّها؛ فأتته ربيعةُ بن عُقيل وقُشير بن كعب والَحريشُ بن كعب وأفناء خَفاجة، وجاش[1] اليه الناس؛ فقال : إني قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيء، ونعلمَ ما تُشير به . قال أبو الجرّاح: فأصبح صُبح ثالثةٍ على فرس له يَهتِف : أعزّ الله نصركم وأمتَعَنـا بكم ! إنصرِفوا راشدين فلم يكن بأسٌ ؛ فانصرف الناس؛ وصار في بني عمّه ورَهطِه دِنيـةً . وإنما فعل ذلك لتكون له السُمعةُ والذِكر . فكان فيمن سار معه القُحَيف بن خُمَير ويزيد بن الطثرّية الشاعران؛ فساروا حتى واجهوا القومَ، فواقعوهم فقتلوا المُندلِفَ، رَموه في عينه، وسَبَوْا وأسَروا ومثّلوا بهم وقطعوا أيدي اثنين منهم وأرسلوهما الى اليمامة وصنعوا ما أرادوا . ولم يُقتل ممن كان مع أبي لَطيفةَ غيرُ يزيـدَ بن الطثرّية، نَشِب ثوبُه في جِذلٍ[2] من عُشَرةٍ فانقلب، وخبَطه القومُ فقُتل . فقـال القُحَيف يرثيه :

ألا تَبكي سَراةُ بني قُشيرٍ ... على صِنديدِها وعلـى فَتاها
فإن يُقتَل يزيدُ فقد قتَلنـا ... سَراتَهمُ الكهولَ على لِحاها
أبا المَكشوحِ بَعدكَ مَن يُحامي ... ومَن يُزجي المَطيَّ على وَجاها

وقال القُحَيف أيضاً يرثيه :

إن تقتُلوا منّا شهيداً صابرا ... فقد تركنا منكمُ مجازِرا

---

(١) جاش اليه الناس : ساروا اليه ليلاً .

(٢) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : شجرة من العضاه وهي من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض .

عشرين لمّاً يدخُلوا المقابرا قتلى أصيبتْ قعصاً نخاوِرا
نعجاً ترى أرجلَها شواغِرا[١]

وهذه من رواية ابن حبيب وحدَه . وقال القُحَيف ايضاً ولم يَروِها إلّا ابن حبيب :

يا عينُ بكّي هَمَلاً على هَمَلْ على يزيد ويزيدَ بنِ حَمَلْ
قتّال أبطالٍ وجرّار حُلَلْ

قال : ويزيد بن حَمَل قُشيري قُتل يومئذٍ أيضاً . وقالت زينب بنت الطثريّة ترثي أخاها يزيد — وعن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ الأبيات لأمّ يزيد ، قال : وهي من الأزْد . ويقال : إنها لوحشيّة الجرميّة — :

أرى الأثلَ من بطن العقيق مُجاوِري مُقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فتًى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا مُتضائلٌ ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وبآدِلُه[٢]
فتًى لا ترى قَدَّ القميص بخَصْرِه ولكنّما تُوهي القميصَ كواهلُه
إذا نزل الضِيفانُ كان عَذَوَّراً[٣] على الحيّ حتى تَستقلّ مَراجلُه
يَسرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً وكلُّ الذي حمّلتَه فهو حامِلُه
إذا جَدّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاكَ باطلُه
إذا القومُ أمّوا بيتَه فهو عامِدٌ لأفضلِ ما أمّوا له فهو فاعِلُه

---

(١) شواغر : مرفوعات .

(٢) البآدل : جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة .

(٣) العذوّر : السيء الخلق القليل الصبر عما يريده وما يهم به . والمراجل : جمع مرجل وهو القدر . واستقلالها : انتصابها على الأثافي .

مضى وورثناه دَريس مُفاضَـةٍ[١] وأبيضَ هِنديًا طويلًا حمائلُه
وقد كان يَحمي المَحجرين[٢] بسيفه ويبلغُ أقصى حَجرةِ[٣] الحيِّ نائلُه
فتىً ليس لابن العم كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهـو آكِلُه
سيبكيه مولاه إذا ما ترفّعت عن الساق عند الرَّوع يوماً ذَلاذِلُه

الذَّلذُل : هُدب الثياب .

وقد أخبرنا الحرميّ عن الزبير عن عمر بن إبراهيم السعديّ عن عبـاس بن عبد الصمد قال :

قال هشام بن عبد الملك للعُجَير السلوليّ : أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمـك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، ألا إنّي قلتُ :

فتىً قُدَّ قَدَّ السيفِ لا متضائلٌ ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وأباجلُـه[٤]

فذكر هذا البيت وحده ونسبه الى العُجَير السلوليّ من الابيات المنسوبة الى أخت يزيد بن الطثرّية او الى أمه وأتى بأبياتٍ أُخر ليست منها ، وسيذكر ذلـك في أخبار العُجَير مشروحاً إن شاء الله تعالى .

---

(١) الدريس : الخلق من الدروع وغيرها . والمفاضة : الدرع الواسعة . وأبيض يعني سيفاً . وجعله طويل الحمائل لطول قوامه .

(٢) المحجر : الحرم وما يمنعه القوم .

(٣) الحجرة (بالفتح) : الناحية .

(٤) الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل .

ومما يُغنّى فيه من شعر يزيد بن الطثريّة قولُه :

صوت

بنفسيَ مَن لا بدّ أنّيَ هاجرُهْ ومن أنا في الميسور والعُسْرِ ذاكِرُهْ
ومن قد رماه الناسُ بي فأتّقاهمُ ببغضيَ إلّا ما تُجِنُّ ضمائرُهْ

عروضُه من الطويل . غنى في هذين البيتين عبد الله بن العباس الرَّبيعيّ لحناً من خفيف الثقيل بالبنصر . وغنّت فيه عَريبُ وفي أبيات أضافتها اليها لحناً من خفيف الثقيل الاول آخرَ . وغنّت عُلَيّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ . وذكر الهشاميّ أن لإبراهيم فيها لحناً ماخُورياً . والأبياتُ المُضافةُ :

بنفسيَ من لا أخبِرُ الناسَ بأسمه وإن حَمَلَتْ حِقداً عليّ عشائرُهْ
بأهلي ومالي من جلبتُ له الأذى ومَن ذكره منّي قريبٌ أسامرُه
ومَن لو جرت شحناء بيني وبينه وحاوَرَني لم أدرِ كيف أحاوِرُه

صوت

من المائة المختارة

شأَتكَ المنازلُ بالأبرَقِ دوارسَ كالعينِ في المُهرَقِ
لآلِ جَميلةَ قد أخلَقتْ ومهما يَطُل عهدُه يُخلِق
فإن يقُلِ الناسُ لي عاشقٌ فأين الذي هو لم يَعشَق
ولم يَبكِ نُؤياً على عَجرةٍ بداء الصبابة والمَعلَق

شأتك : بعُدتْ عنك . والشأو : البعد . يقال : جرى الفرسُ شأواً يريد طَلَقاً .

والُمهرَق : الصحيفة ، والجمع المَهارق . يريد أنّ الدار قد بَقِيتْ منها طرائقُ كالصّحف وما فيها .

الشعر للأحوص : والغناء لجميلة ، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى عن إسحاق . وفيه لعَطَرّد ثقيلٌ اولُ بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش . وفيه رمل يقال : إنه لفريدة، ويقال : إنه لمالك . وقيل : إن الثقيلَ الاول لابن عائشة . وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعَطَرّد أيضاً .

ذكر جميلة وأخبارها

هي جميلة مولاةُ بني سُلَيم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهز، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخزرج، وكانت تنزِل فيهم، فغلَب عليها ولاء زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تَنزِل بالسُّنح[1] وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدّيق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاري الأمويّ السَّعيدي. وذكر عبد العزيز بن عِمران أنها مولاةٌ للحجّاج بن عِلاط السُّلَميّ. وهي أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبابةُ وسَلّامة وعقيلة العَقيقية والشّماسيّتان خُلَيدة ورُبَيحة. وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطاة:

صوت

إنّ الدَّلال وحسنَ الغنا ... ء وَسطَ بيوت بني الخزرجِ
وتلكم جميلةُ زينُ النساء ... اذا هي تَزدان للمَخرَجِ
إذا جئتَها بذلَتْ وُدَّها ... بوجه مُنيرٍ لها أبلَجِ

الشعر لعبد الرحمن بن أرطاة. والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: فيه للدَّلال وجَميلة لحنانِ.

كانت أعلم خلق الله بالغناء:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشيّ عن المُحرِزيّ قال:

---

(١) السنح (بالضم وبضمتين): موضع قرب المدينة.

كانت جميلة أعلمَ خلق الله بالغناء؛ وكان معبد يقول: أصلُ الغناء جميلة وفرعُه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغنّين.

كيف تعلمت الغناء:

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عَباية قال حدثني رجل من الأنصار قال:

سُئلت جميلة: أنّى لكِ هذا الغناء؟ قالت: والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنَّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعه يغنّي ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذتُ تلك النَّغمات فبنيتُ عليها غنائي، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء، فعلمتُ وألقيتُ، فسمعني مَوالياتي[1] يوماً وأنا أغني سراً ففهمنني ودخلنَ عليَّ وقلنَ: قد علمنا فما تكتُمينا. فأقسمنَ عليّ، فرفعتُ صوتي وغنّيتهنّ بشعر زُهير بن أبي سُلمى:

وما ذكرْتُكِ إلّا هِجتِ لي طَرَباً ... إنَّ المحبَّ ببعض الأمرِ معذورُ
ليس المحبَّ بمن إن شطَّ غيَّره ... هجرُ الحبيب وفي الهِجران تغييرُ

صوت

نام الخَليّ فنومُ العين تَعذِيرُ[2] ... مما أذكرتُ وهمٌ النفس مذكورُ
ذكرتُ سَلمى وما ذِكري براجعها ... ودونها سَبسَبٌ يَهوي به المُورُ[3]

(١) مواليَاتي: هو جمع الجمع، كصواحبات.

(٢) تعذير: قليل.

(٣) المور: الغبار المتردد.

– الشعر لزُهير . والغناء في هذين البيتين لجميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش – فحينئذٍ ظهر أمري وشاع ذكري، فقصدني الناسُ وجلستُ للتعليم ؛ فكان الجواري يتكاوَسنني¹، فربما انصرف أكثرهنّ ولم يأخذنَ شيئاً سوى ما سمعني أطارِحُ لغيرهنّ، ولقد كسبتُ لمواليَّ ما لم يخطر لهنّ ببال، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ .

إجماع الناس على تقدمها في الغناء :

وحدثني أبو خليفة قال حدثني ابن سَلّام قال حدثني مَسلمة بن محمد بن مَسلمة الثّقفيّ قال :

كانت جميلةُ ممن لا يُشَكّ في فضيلتها في الغناء، ولم يَدّعِ أحدٌ مقاربَتها في ذلك، وكلٌّ مدنيّ ومكيّ يشهد لها بالفضل .

قال إسحاق وحدثني هشام بن المُرِّيّة المدنيّ قال حدثني جرير المدنيّ – قال إسحاق : وكانا جميعاً مغنِّيَين حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنّا فأمّا هشام فبلغ الثانين، وأما جرير فلا أدري – قال جرير :

وَفد ابن سُريج والغريض وسَعيد بن مِسجح ومُسلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعض من وَفدوا عليه، فأجمع رأيُهم على النزول على جميلة مولاةِ بَهز، فنزلوا عليها . فخرجوا يوماً الى العَقيق متنزّهين، فوردوا على مَعبَد وابن عائشة فجلسوا اليهما فتحدّثوا ساعةً، ثم سأل معبدٌ ابنَ سُريج وأصحابَه أن يَعرِضوا عليهم بعضَ ما ألفوا . فقال ابن عائشة : إنّ للقوم أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أبا عَبّاد، ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليعمل كلٌّ واحد منّا صوتاً ساعتَه ثم يغنِّ به . قال معبد : يابنَ عائشة، قد أعجبتك نفسُك حتى بلّغتك

---

(١) يتكاوسنني ، تريد : يكتنفنني ويتزاحمن حولي .

هذه المرتبةَ ! قال ابن عائشة : أوَ غضِبتَ يا أبا عَبَّاد ! إني لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقَّصك فإنك لأنت المُفادُ منه . قال معبدٌ : أما إذ قد اختلفنا وأصحابُنا المَكِّيُّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَماً . قال ابن عائشة : إنّ أصحابنا شركاء في الحكومة . قال ابن سُرَيج : على شَريطةٍ ؛ قال : على أن يكون ما نُغنّي به من الشعر ما حُكِمت فيه امرأةٌ . قال ابن عائشة ومَعبَد : رَضِينا ، وهي أمّ جُندَب . فأجمع رأيُهم على الاجتماع في منزل جَميلة من غدٍ . فلما حضروا قال ابن عائشة : ما تَرى يا أبا عبّاد ؟ قال : أرى أن يبتدئ أصحابُنا أو أحدُهم . قال ابن سُرَيج : بل أنتا أولى . قالا : لم نكن لنفعلَ . فأقبل ابن سُرَيج على سعيد بن مِسجَح فسأله أن يبتدئ فأبى . فأجمع رأيُ المكيّين على أن يبتدئ ابنُ سُرَيج . فغنى ابن سريج :

صوت

ذهبتَ من الهجران في غير مَذهبٍ ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ
خليليّ مُرّا بي على أمّ جُندَب أُقضّ لُباناتِ الفؤاد المُعذَّب
فإنكما إن تُنظِراني ساعةً من الدهر تنفعني لدى أمّ جُندَب
ألم تَرياني كلّما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطيَّب

— الشعر لامرئ القيس . ولابن سُريج فيه لحنان ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى ، وخفيفُ رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن إسحاق — .

وغنى مَعبد :

صوت

فللهِ عيناً مَن رأى من تَفرّقٍ أَشتَّ وأنأى من فِراق المُحصَّبِ [1]

(١) المحصب : موضع رمي الجمار بمكة .

عَلَونَ بأنطاكيَّةٍ فوق عِقمَةٍ كجِرمَةِ نخلٍ أو كجنَّةِ يثربِ ١
فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نخلةٍ وآخرُ منهم جازعٌ نجدَ كبكبِ ٢
فعيناكَ غَربا جدولٍ في مُفاضةٍ كمَرِّ خليجٍ في سَنيحٍ مُثقَّبِ ٣

وغنى ابن مِسجَح :

صوت

وقالت فإن يُبخَل عليكَ ويُعتلَلْ يَسؤْكَ وإن يُكشَف غرامُك تَدرَبِ ٤
وإنك لم يَفخَر عليكَ كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغلِبكَ مثلُ مُغلَّبِ
وإنك لم تَقطَع لُبانةَ عاشقٍ بمثل بُكورٍ أو رَواحٍ مؤوَّبِ ٥
بأدماءَ حُرجُوجٍ كأنَّ قُتودَها على أبلقِ الكَشحَين ليس بمُغرِبِ ٦
يغرِّدُ بالأسحارِ في كلِّ سُدفةٍ تَغرُّدَ مَيّاحِ النَّدامى المُطرِّبِ ٧

(١) علون : يعني الظعائن . وإنما يريد الإبل التي تحمل الظعائن ؛ والعقمة : ضرب من الوشي . والجرمة : ما جرم من البسر . والجنة : البستان .

(٢) بطن نخلة : موضع على ليلة من مكة . والجازع : القاطع .

(٣) الغرب : الدلو الضخمة . والمفاضة هاهنا : الأرض الواسعة . والخليج : الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ . والسنيح : اللؤلؤ .

(٤) تدرب : من الدربة وهي التجربة .

(٥) المؤوب : المردّد المتكرر .

(٦) الأدماء : الناقة البيضاء . والحرجوج : الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . والقتود : جمع قتد وهو أداة الرحل . وأبلق الكشحين : أبيض الخاصرتين . والإغراب : بياض الأشفار والوجه . والمجفرة : المنتفخة . والحرف : الضامرة .

(٧) يغرد : يطرّب . وسدفة : طائفة من الليل . ومياح : وصف من ماح في مشيته يميح ميحاً وميحوحة إذا تبختر . والندامى : الفتيان الذين يتنادمون .

وغنى ابنُ عائشة :

صوت

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها وماءُ الندى يَجري على كل مِذنَبِ [١]
بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ لاحَه طِرادُ الهوادي كلَّ شأوٍ مُغرِّبِ [٢]
إذا ما جرى شأوَينِ وأبتلَّ عِطفُه تقول هزيزُ الرّيح مرّتْ بأثأبِ [٣]
له أيطلا ظَبيٍ وساقا نعامةٍ وَصهوةُ عَيرٍ قائمٍ فوقَ مَرقَبِ [٤]

وغنى ابن مُحرِز :

صوت

فللسَّوطِ أُلهوبٌ وللساق دِرَّةٌ وللزَّجرِ منه وَقعُ أخرجَ مُهذِبِ [٥]
فأدرك لم يَجهد ولم يُبلِ شَدَّه يمرُّ كخُذروفِ الوَليدِ المُثقَّبِ [٦]

---

(١) المذنب : مسيل الماء الى الروضة .

(٢) المنجرد : القصير الشعر . والأوابد : الوحش . ولاحه : غيره وأهزله وأضناه . والطراد : المطاردة . والهوادي : السوابق المتقدّمات. والشأو : الطلق وهو جري مرة الى الغاية . والمغرّب : البعيد المدى .

(٣) عطفه : ناحيته . وهزيز الريح : صوتها . والأثأب شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدّة صوت .

(٤) الأيطل : الخاصرة . والصهوة : الظهر . والعير : حمار الوحش . والمرقب : المكان المرتفع من الارض .

(٥) الإلهاب والألهوب : شدّة العدو الذي يثير اللهب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار . والأخرج : الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه . والمهذب : الشديد العدو .

(٦) الخذروف : الدّوارة التي يلعب بها الصبيان .

تذُبُّ به طَـوراً وطوراً تُمِرُّهُ كَذَبَّ البشير بالرّداء المُهدّب [1]
إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أو صُلتُ صَولةً تَرَقَّبُ مني غيرَ أدنى تَرَقُّبِ [2]

وغنى الغريض :

صوت

أخا ثقـةٍ لا يَلعَنُ الحيُّ شخصَه صبوراً على العِلّات غيرَ مُسبَّبِ [3]
رأينا شِياهاً يَرتَعينَ خَميلةً كمَشي العذارى في المُلاء المُجوَّبِ [4]
وما أنتِ أم ما ذِكرُها رَبَعيَّةً تَحُلُّ بإيرٍ أو بأكناف شُربُبِ [5]
أطعتُ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرمِها فقد أنهجتْ حِبالُها للتقضُّبِ [6]

فقالت جميلةُ : كلُّكم مُحسنٌ وكلُّكم مُجيد في معناه ومذهبه . قال ابن عائشة : ليس هذا بمُقنِع دون التفضيل . فقالت : أمَّا أنت يا أبا يحيى فتُضحِك الثَّكلى بحُسن صوتك ومشاكلتِه للنفوس . وأما أنت يا أبا عَبّاد فنَسيجُ وَحدِك بجودة تأليفك وحسن نَظمك مع عذوبة غِنائك . وأما أنت يا أبا عثمان فلك أوّلية هذا

---

(١) المهدّب : ذو الهدب . شبه خطران الناقة بذنبها بلمع البشير برداء ذي هدب .

(٢) الدف : الجنب . وترقب : تلحظ السوط بمؤخر عينها من الخوف .

(٣) غير مسبب : غير مسبوب .

(٤) شياه : بقر من الوحش . والخميلة : رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل في الثوب . والمجوّب : المصنوع له جيب .

(٥) إير : جبل لبني غطفان غربيّ جبلي طيّ . وشربب : واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم في شمال اليمامة . والأكناف : النواحي .

(٦) أنهجت : خلقت وبليت . والتقضب : التقطع .

الأمر وفضيلته . وأما أنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح . وأما أنت يا أبا الخطاب فلو قدمتُ أحداً على نفسي لقدمتُك . وأما أنت يا مولى العبلات فلو ابتدأتَ لقدمتُك عليهم . ثم سألوها جميعاً أن تغنيهم لحناً كما غنّوا ؛ فغنّتهم بيتاً لامرىء القيس وأربعةَ أبيات لعلقمة وهي :

خليليَّ مُرّا بي على أمّ جُندبِ أُقضِّ لُباناتِ الفؤادِ المعذَّبِ
لياليَ لا تَبلى نصيحةُ بيننا لياليَ حَلّوا بالسِّتار(١) فغُرَّبِ
مُبتّلة(٢) كأنّ أنضاءَ حَليها على شادنٍ من صاحةٍ مُتربِّبِ
مَحالٌ(٣) كأجوازِ الجرادِ ولؤلؤٌ من القَلَقيِّ والكبيسِ الملوَّبِ
إذا ألحم الواشون للشرّ بيننا تبلّغ رسَّ الحبّ غيرُ المكذَّبِ(٤)

فكلّهم أقرّوا لها وفضّلوها . فقالت لهم : ألا أحدّثكم بحديث يتمّ به حسنُ غنائكم وتمامُ اختياركم ؟ قالوا : بلى والله . قال الغريض : قد والله فهمتُه يا سيّدتي . قالت : لعنك الله يا مخنّث ! ما أجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك ! وما يُلام فيك أبو يحيي إذ عرفته ؛ فهاته حدثنا . قال : يا سيّدتي وسيّدةَ مَن حضر ، والله لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ ، ولكِ الفضلُ والعُتبى . قالت : تنازع امرؤ القيس علقمةَ بنَ عَبدةَ الفحلَ الشعرَ ؛ فقال له : قد حكّمتُ بيني وبينك امرأتك

(١) الستار : جبل بعالية الحجاز . وغرب موضع تلقاءه .

(٢) المبتلة : المكتنزة اللحم الضامرة الكشح . وأنضاء الحلي : ما دق منه ولطف . ومتربب : مربى .

(٣) المحال : ضرب من الحلي يصاغ مفقراً على تفقير وسط الجراد . والجوز : وسط الشيء . والقلقي : ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ . والكبيس : حلي يصاغ مجوفاً ثم يحشى طيباً ثم يكبس . والملوّب : المعطر بالملاب ، وهو نوع من العطر .

(٤) ألحم : أدخل . والرس : الثابت الراسخ .

أمّ جُندَب؛ قال: قد رَضيتُ. فقالت لهما: قُولا شعراً على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ. فقال أمرؤ القيس:

خليليّ مُرّا بي على أمّ جُندَبِ   أُقضِّ لُبانات الفؤادِ المُعذَّبِ

وقال عَلقمة:

ذهبتَ من الهجرانِ في غير مَذهبِ   ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ

وأنشداها، فغلَّبتْ عَلقمةَ. فقال لها زوجُها: بأيّ شيء غلّبتِه؟ قالت: لأنك قلت:

فللسَّوطِ أُلهوبٌ وللساق دِرَّةٌ   وللزَّجرِ منه وَقعُ أَهوجَ مِنعَبِ (١)

فجَهدتَ فرَسَك بسَوْطك، ومَرَيتَه (٢) بساقك وزَجرك، وأتعبتَه بجَهدك. وقال علقمةُ:

فولّى على آثارهنّ بحاصبٍ   وغَبيَةِ شُؤْبوبٍ من الشَّدّ مُلهِبِ (٣)
فأدركهنّ ثانياً من عِنانه   يمُرّ كمَرّ الرائح المُتحلِّبِ (٤)

فلم يضرب فرسَه بسوط، ولم يَمرِه بساق، ولم يُتعبْه بزَجر. فقال أبن عائشة:

---

(١) المنعب: الأحمق المصوت. والمنعب أيضاً: الذي يمد عنقه في العدو.

(٢) مرى الفرس: استخرج جريه.

(٣) على آثارهنّ: يعني البقر. وبحاصب: يعني بعدو شديد كالحاصب من المطر وهو العظيم القطر. والغبية: المطرة التي تجيء شديدة. والشؤبوب: اول كل شيء وحدّته. وملهب: مثير للهب من شدة جريه. واللهب: الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار.

(٤) الرائح: يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ. والمتحلب: المتساقط المتتابع.

جُعلتُ فداكِ! أتأذنينَ أن أحدِّث؟ قالت: هِيه. قال: إنما تزوّج أمّ جندب حين هرَب من المُنذر بن ماء السماء، فأتى جبليْ طيّئ، وكان مُفرَّكاً[1]. فبينما هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له: قُم يا خير الفتيان فقد أصبحتَ، فلم يقم؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع، فرجع فقال لها: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ فأمسكتْ. وألحّ عليها فقالت: حملني أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العجيزة، سريعُ الإراقة، بطيء الإفاقة. فعرف تصديقَ قولها وسكتَ. فلما أصبح أتى علقمة وهو في خيمته وخلفَه أمّ جُندَب، فتذاكروا الشعر، فقال أمرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علقمة مثلَ ذلك، فتحاكما الى أمّ جُندَب، ففضّلت أمّ جندب علقمة على أمرئ القيس. فقال لها: بِمَ فضّلتِه عليّ؟ قالت: فرسُ ابن عبَدَةَ أجودُ من فرسك. زجرتَ وضربتَ وحرّكتَ ساقيك، وابنُ عبدةَ جامدٌ لا مقتدر. فغضب من قولها وطلّقها، وخلَف عليها علقمةُ. فقالت جميلة: ما أحسنَ مجلسنا لو دام اجتماعُنا! ثم دعتْ بالغداء فأتى بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة. ثم قالت: لولا شناعةُ مجلسنا لكان الشراب مُعداً ولكنّ الليل بيننا. فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث. فلما جنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكل رجلٍ منهم بعود، وأخذتْ هي عُوداً فضربتْ، ثم قالت: أضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد، وغنّت بشعر أمرئ القيس:

أأذكرتَ نفسكَ ما لن يعودا فهاج التذكُّرُ قلباً عميدا
تذكّرتَ هنداً وأترابَها وأيامَ كنتَ لها مُستقيدا[2]
ويُعجبك اللّهوُ والمُسمِعاتُ فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا
ونادمتُ قيصرَ في مُلكه فأوجهني[3] وركِبتُ البريدا

(١) المفرَّك: الذي تبغضه النساء.

(٢) استقاد له: أعطاه مقادته اي أطاعه وذل له.

(٣) أوجهه: شرفه وجعله وجيهاً.

فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك . ثم قالت : تغنَّوا جميعاً بلحنٍ واحد؛ فغنَّوها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنَّته . وعلم القوم ما أرادت بهذا الشعر؛ فقال ابن عائشة : جُعلتُ فِداكِ ! نرجو أن يدوم مجلسنا ، ويُؤثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كل ما نَملكه . قال أبو عَبَّاد : وكيف بذاك ! فباتوا بأنعمِ ليلةٍ وأحسنها . قال إسحاق قال أبي قال لي يونس : قال أبو عبَّاد : لا أعرف يوماً واحداً منذُ عقَلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيرِه مثلَ ذلك اليوم ، ولا أحسَبه يكون بعدُ . قال يونس : ولا أدركنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغنا . قال إسحاق : ولا أنا ، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعدُ .

زارها عبد الله بن جعفر فأشارت الى من عندها بالانصراف :

وحدثني أبي قال حدثنا يونس قال قال لي أبو عبَّاد :

أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أني سبقتُ الناسَ اليها ، فاذا مجلسُها غاصٌّ ؛ فسألتُها أن تُعلِّمني شيئاً ؛ فقالت لي : إنّ غيرَكَ قد سبقَك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك . فقلتُ : جُعِلتُ فِداكِ ! إلى متى تَفرُغين ممن سبقني ! قالت : هو ذاك ، الحقُّ يسَعُك ويَسعُهم . فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر — وإنه لأول يومٍ رأيتُه وآخرُه وكنت صغيراً كيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح — فقامت وقام الناس ، فتلقَّته وقبَّلتْ رجليه ويديه ، وجلس في صدر المجلس على كرسيٍ لها وتحوَّقَ[1] أصحابُه حولَه ، وأشارت الى من عندها بالانصراف ، وتفرّقَ الناسُ ، وغمزتني أن لا أبرح فأقمتُ . وقالتْ : يا سيِّدي وسيِّدَ آبائي ومَواليَّ ، كيف نشِطتَ الى أن تنقل قدميك الى أمتِك ؟ قال : يا جميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسِكِ ألا تغني أحداً إلا في منزلكِ ، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك

(١) تحوّقوا حوله : استداروا حوله وأحاطوا به .

طريقاً ماذّاً فسيحاً. قالت: جُعلتُ فداكَ! فأنا أَصيرُ اليكَ وأُكفِر. قال: لا أُكلّفكِ ذلك، وبلغني أنك تُغنّين بيتين لامرىء القيس تُجيدين الغناء فيهما، وكان اللهُ أنقذ بهما جماعةً من المسلمين من الموت. قالت: يا سيّدي نعم! فاندفعتْ تغني فغنّت بعودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ الى أن ماتت مثلَ ذلك الغناء؛ فسبّح عبدُ الله بن جعفر والقوم معه. وهما:

ولما رأت أنّ الشريعةَ همُّها وأنّ البياضَ من فرائصها دامي [١]
تيمّمتِ العينَ التي عند ضارجٍ يَفيءُ عليها الظلُّ عَرمَضُها طامي [٢]

حديث عبد الله بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق:

– ولابن مِسجح في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُها – فلما فرغتْ قالت جميلة: أيْ سيّدي أزيدُك؟ قال: حسبي. فقال بعضُ من كان معه: بأبي جُعلت فداك! وكيف أنقذ اللهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين؟ قال: نعم، أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النبيَّ صلى الله عليه وسلم فضلّوا الطريق ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقدِرون على الماء، وجعل الرجلُ منهم يَستذري [٣] بفَيءِ السمُر والطَّلح يائساً من الحياة، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال:

ولما رأت أن الشريعةَ همُّها وأن البياضَ من فرائصها دامي
تيمّمتِ العينَ التي عند ضارج يَفيءُ عليها الظِّلُّ عَرَمَضُها طامي

---

(١) الشريعة: مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب. وهمها: طلبها. والفريصة: اللحم الذي بين الكتف والصدر.

(٢) ضارج: موضع في بلاد بني عبس. والعرمض: الطحلب. وطام: مرتفع.

(٣) يستذري: يستظل.

فقال الراكب : مَن يقول هذا ؟ قال : امرؤُ القيس . قال : والله ما كذَب ؛ هذا ضارجٌ عندكم ، وأشار لهم اليه ؛ فحَبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ عذبٌ وإذا عليه العَرمضُ والظلّ يَفيء عليه ، فشربوا منه رِيّهم وحملوا ما اكتفَوْا به حتى بلغوا الماء ، فأتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر امرىءْ القيس ، وأنشدوه الشعرَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها ، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها ، يجيء يومَ القيامة معه لواء الشعراء الى النار » . فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونهض عبدُ الله بن جعفر ونهض القومُ معه . فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه .

قال إسحاق : حدثني بعض أهل العلم عن ابن عَيَّاش عن الشعبيّ قال :

رأيت دَغفلاً النسّابةَ يحدّث أنه رأى العباسَ بنَ عبد المطّلب سأل عمرَ بنَ الخطّاب عن الشعراء ، فقال : امرؤ القيس سابقُهم خسَف لهم عينَ الشعر فافتقر عن معانٍ عُورٍ أصحَّ بصراً . قال إسحاق : معنى خسَف : احتفَر . وهو من كِندةَ من اليمن ، وليست لهم فصاحةُ مُضر ، ولا شعرُهم بجيّد . فجعل معانيَ اليمن معانيَ عُوراً وما قاله : أصحّ بصراً أي أجودَ شعراً . ومعنى افتقر : احتفر . والفقيرة : الحفيرة تُحفر للفَسيلة لتُغرس . وكل ما ابتدأتَ حفرَه فهو فقير . والمعنى أنه قال شعراً جيّداً وليس هو في معنى شعر مُضَر .

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخطَفَى :

سمعت أبي يقول : دخل جدّي على بعض ملوك بني أمية ؛ فقال : ألا تخبرُني عن الشعراء ؟ قال بلى . قال : مَن أشعرُ الناس ؟ قال : ابن العشرين (يعني طَرَفة) . قال : فما تقول في امرىءْ القيس ؟ قال : اتخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين ، فأُقسِم بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذلاذله[1] . قال : فما رأيك في ابن أبي سُلمى ؟ قال : كان يَبري

---

(١) الذلاذل : أسافل القميص الطويل ، الواحد ذلذل .

الشعرَ . قال : فما رأيُك في ذي الرُّمّة ؟ قال : قدَر من طريف الكلام وغَريبِه وحَسنِه على ما لم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعرَ .

زيارة معبد ومالك لجميلة :

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عَباية عن رجل من الأنصار قال :

زار معبدُ مالكَ بنَ أبي السَّمح ؛ فقال له : هل لك أن نصير الى جميلة ؟ فمضيا جميعاً فقصداها ؛ فأذِنت لهما فدخلا ، فأخرجت اليهما رُقعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بعث بهذه الرقعة اليّ فلان أغنّي فيها . فقال معبد : فابتدئي ؛ فابتدأت جميلةُ فغنَّت :

صوت

إنما الذَّلفاء همّي فليدَعني من يَلومُ

فغنى معبد :

أحسنُ الناسِ جميعاً حين تمشي وتقومُ

فغنَّت جميلة :

حبّ الذّلفاء عندي مَنطِقٌ منها رَخيمُ

فغنى معبد :

أصلُ الحبلَ لترضى وهي للحبل صَرُومُ

فغنَّت جميلة :

حبُّها في القلب داءٌ   مستكنٌّ لا يَريمُ

طريقةَ واحدة — الشعر للأحوص. وذكر ابن النطاح أنه للبختريّ العِباديّ. والغناء لَمعبد، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيلٍ اول بالسبّابة في مجرى البِنصَر عن ابن المكيّ، وثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكيّ أن له فيه خفيف ثقيلٍ آخرَ. وذكر حمّاد بن إسحاق أن فيه لمالكٍ وجميلةَ لحنين — وقالت لَمعبد ولمالك: يغني كلٌّ واحد منكما لحناً مما عمله. فغنّاها مَعبد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به، وكان مُعجباً بها، وكانت هي له مُكرِمة، وهو قوله:

شَأتكَ المنازلُ بالأبرَقِ   دوارسَ كالعين في المُهرَقِ
لآلِ جَميلةَ قد أخلقتْ   ومهما يَطُلْ عهدُه يُخلِقِ
فإن يقل الناسُ لي عاشقٌ   فأين الذي هو لم يَعشَقِ
ولم يَبكِ نُؤياً على عَبرةٍ   بداء الصبابة والمَعلَقِ

— في هذه الأبيات ثقيلٌ اولُ بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعطرّد، وذكر ابن المكيّ أنه لجميلة. وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه لعطرّد ايضاً وعمرو، وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الاول لابن عائشة. وذكر حَبَش أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لَمعبد وأن خفيفَ الرَّمل لمالك — قال معبد: فسُرّت جميلةُ بما غنّيتُها به وتبسّمت وقالت: حَسبُك يا أبا عَبّاد! ولم تَكنِني قبلها ولا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أخا طيّئٍ هاتِ ما عندك وجِئنا مثلَ قولِ عبدِ ابن قَطَن؛ فاندفع وغنى بلحنٍ لها، وقد تغنى به ايضاً معبدٌ لها. واللحنُ:

ألا مَن لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذهَلُ   أفِق فالتعزّي عن بُثينةَ أجملُ
فما هكذا أحببتَ مَن كان قبلها   ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل
فإن التي أحببتَ قد حيلَ دونها   فكن حازماً والحازم المتحوّل

— لحنُ جميلة هكذا ثقيلٌ اولُ بالبنصر. وفيه ألحان عِدّةٌ مع أبيات أُخرَ من

القصيدة، وهي لجميل — فقالت جميلة: أحسنتَ والله في غنائك وفي الأداء عني. أمّا قوله: «شأتك» فأراد بَعُدتْ عنك. والشأوُ: البعد، يقال: جرى الفرس شأواً او شاوين أي طَلقاً أو طَلقين. والمُهرَق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، والجمع مَهارِق؛ قال ذو الرمّة:

كمُستعبِرٍ في رسم دارٍ كأنّها بوَعساءَ تَنضوها الجماهيرُ(١) مُهرَقُ

الذلفاء التي شبب بها الأحوص.

والعين أن تتعيّن الإداوة او القِربةُ التي تُخرَز ويَسيل الماء عن عيون الخَرز. فشبَّه ما بقي من الدار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئاً بعد شيء. فأما الذّلفاء التي ذُكرت فيها فهي التي فُتن بها أهلُ المدينة. وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلّقها:

لا باركَ اللهُ في دار عددتُ بها طلاقَ ذَلفاء من دارٍ ومن بلدِ
فلا يقولَن ثلاثاً قائـلٌ أبداً إني وجدتُ ثلاثاً أنكد العددِ

فكان إذا عدّ شيئاً يقول: واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة.

حديث بثينة لها عن عفة جميل:

وقالت جميلة: حدّثتني بُثينة — وكانت صَدُوقةَ اللسان جميلةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفةَ البطن والفرج — قالت: والله ما أرادني جميلٌ رحمةُ الله عليه بريبةٍ قطّ ولا حدّثت أنا نفسي بذلك منه. وإنّ الحيّ أنتجعوا موضعاً، وإني لفي هودج لي أسيرُ إذا أنا بهاتفٍ يُنشِد ابياتاً، فلم أتمالك أن رميتُ بنفسي وأهـل الحيّ

(١) الوعساء: الرملة اللينة. والجمهور: الرمل الكثير المتراكم الواسع.

ينظرون، فبقيت أطلب المُنشِدَ فلم أقف عليه، فناديتُ : أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه ؟ وأنا أحسبه قد قضى نَحبَه ومضى لسبيله، فلم يُجبني مُجيب؛ فناديت ثلاثاً، وفي كل ذلك لا يردُّ عليَّ أحدٌ شيئاً . فقال صَواحِباتي : أصابكِ يا بُثينة طائفٌ من الشيطان ؟ فقلت : كلّا ! لقد سمعتُ قائلا يقول ! قُلنَ : نحن معكِ ولم نسمع ! فرجعتُ فركبت مطيّتي وأنا حَيرى والهةُ العقل كاسفةُ البال ، ثم سرْنا . فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهتِف بذلك الشعر بعينه، فرميتُ بنفسي وسعيتُ الى الصوت، فلما قَرُبت منه انقطع؛ فقلت : أيها الهاتف، ارحمْ حَيرتي وسكِّن عَبرتي بخبر هذه الأبيات؛ فإن لها شأناً ! فلم يردَّ عليَّ شيئاً . فرجعتُ الى رَحلي فركبت وسِرتُ وأنا ذاهبةُ العقل؛ وفي كل ذلك لا يُخبرني صَواحِباتي أنهنَّ سمِعنَ شيئاً . فلما كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين، فإذا الهاتف يهتِف بي ويقول : يا بُثينة، أقبلي اليَّ أُنبئك عما تريدين . فأقبلتُ نحوَ الصوت، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحيّ، فسألتُه عن اسمه وبيته . فقال : دَعِي هذا وخُذي فيا هو أهمُّ عليكِ[1] . فقلت له . وإن هذا لَمِمّا يَهُمّني . قال : اقنَعي بما قلتُ لكِ . قلت له : أنت المنشدُ الأبيات؟ قال نعم . قلتُ : فما خبرُ جميل؟ قال : نعم فارقتُه وقد قضى نَحبَه وصار الى حُفرته رحمة الله عليه . فصرَختُ صَرخةً آذنتُ منها الحيَّ، وسقطتُ لوجهي فأُغمي عليَّ، فكأنَّ صوتي لم يسمعه أحد، وبقيتُ سائرَ ليلتي، ثم أفقتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ الى مكاني . فقال لي أهلي : ما خبرُكِ وما شأنُكِ ؟ فقصصتُ عليهم القصّة . فقالوا : يَرحم الله جميلا . واجتمع نساء الحيِّ وأنشدتُهنَّ الأبياتَ فأسعدنَني بالبكاء، فأقمنَ كذلك لا يفارقنني ثلاثاً، وتحزَّن الرجالُ أيضاً وبكَوا ورثَوه وقالوا كلُّهم : يَرحمُه الله، فإنه كان عفيفاً صَدُوقاً ! فلم أكتحلْ بعده بإثمِد ولا فرَقتُ رأسي بتخيط ولا مُشط ولا دهَنتُه إلا من صُداع خِفتُ على بصَري منه

(١) يريد : فيا هو أجدى عليك .

ولا لبستُ خِماراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزال أبكيه الى الممات . قالت جميلة : فأنشدتني الشعرَ كلّه وهذا الغناء بعضُه، وهو :

ألا مَن لقلبٍ لا يَملُّ فيَذهلُ أفِق فالتعزّي عن بُثينةَ أجملُ

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه :

قال ابن سَلّام حدثني جرير قال :

زار ابنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها . فلما قدِم عليها أنزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكة فأخبرها . وبلغ معبداً الخبرُ . وكانت تُطارحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها . وكانت عندها جاريةٌ مُحسِنةٌ لبِقةٌ ظريفةٌ، فابتدأت تُطارِحها . فقال ابن سُرَيج : سبحانَ الله ! نحن كنّا أحقّ بالابتداء . قالت جميلة : كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليه . فقال ابنُ سُرَيج : صدقتِ جُعلت فداكِ ! وما أدري أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ ! فقالت له : كُفَّ يا عُبيد، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « احثُوا في وجوه المَدّاحين التراب » . فسكت ابنُ سُرَيج . وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائي :

أتعرفُ آثار الديار توهُّما كخطِّك في رَقٍّ كتاباً مُنمنماً
أذاعت به الأرواحُ[1] بعد أنيسها شهوراً وأياماً وحَولاً مجرَّما[2]
فأصبحنَ قد غَيَّرنَ ظاهرَ تُربِه وغيّرتِ الأنواء ما كان مَعلَما
وغيّرها طولُ التقادُم والبِلى فما أعرف الأطلالَ إلا توهُّما

قال : فحُدِّثتُ أنه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أهل الغناء، فكلّهم قال:

---

(١) الارواح : جمع ريح .

(٢) حولا مجرّما : تاماً كاملاً .

مَزاميرُ داود! قال ابنُ سُرَيج لها: أفأُسمِعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاتِه؛ فغنى:

دِيارُ التي قامت تُريكَ وقد عفت ... وأقوت من الزُّوّار كفّاً ومعصماً
تَهادى عليها حَليُها ذاتَ بهجة ... وكَشحاً كطيِّ السابريَّة[1] أهضما
فبانت لِطيّاتٍ لها وتبدّلت ... به بَدَلاً مرّت به الطيرُ أشؤما
وعاذلتانِ هبّتا بعد هَجعةٍ ... تَلومانِ مِتلافاً مُفيداً ملوّما

قالت جميلةُ: أحسنتَ يا عُبيد، وقد غفرنا لك زَلّتَك لحسن غنائك. قال معبد: جُعلت فداءكِ! أفلا أُسمِعُكِ أنا أيضاً لحناً عملتُه في هذا الشعر؟ قالت: هاتِ وإني لأعلم أنك تُحسِن. فاندفع فغنى:

فقلتُ وقد طال العتاب عليهما ... وأوعَدتاني أن تَبينا وتَصرِما
ألا لا تَلوماني على ما تَقدّما ... كفى بصُروف الدهر للمرء مُحكِما
تَلومانِ لما غوّر النجمُ ضَلّةً ... فتًى لا يرى الإنفاقَ في الحقّ مَغرَما

قالت جميلةُ: ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقةَ التي أنت عليها. قال: مالكُ: أفلا أغنّيكِ أنا أيضاً؟ قالت: ما علمتُكَ إلّا تُجيد الغناء وتُحسِن، فهات. فاندفع فغنّى في هذا الشعر:

يضيء لنا البيتُ الظليلُ خَصاصُه[2] ... إذا هي ليلاً حاولتْ أن تبسّما
إذا انقلبتْ فوقَ الحشيَّة مَرّةً ... ترنّمَ وَسواسُ الحُليِّ ترنّما

(١) السابرية: الثياب الرقيقة. والأهضم: اللطيف الكشح.

(٢) الخصاص: المنافذ.

وَنحراً كفاثُورِ⁽¹⁾ اللُّجينِ يَزينـه توقّـدُ ياقوتٍ وَشذرٍ⁽²⁾ منظّمَا
كجَمرِ الغضى هَبَّتْ به بعدَ هجعةٍ من الليل أرواحُ الصَّبا فتنسَّما

فقالت : جميلٌ ما قلتَ وحسنٌ ما نظمتَ، وإنّ صوتك يا مالكُ لِمما يَزيد العقل قوّةً والنفسَ طِيباً والطبيعة سُهولة، وما أحسب أن مجلسَنا هـذا إلّا سيكون عَلَماً وفي آخر الزّمان متواصَفاً؛ والخَـبرُ ليس كالمشاهدة، والواصف ليس كالمعاين وخاصّة في الغناء .

زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص فغنتهم :

وحدثني الحسن بن عُتبة اللّهبيّ قال حدثني من رأى ابنَ أبي عَتيق وابنَ أبي ربيعة والأحوص بنَ محمد الأنصاريّ وقد أتوا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذنتْ لهم، فلما جلسوا سألت عمر وأحفت؛ فقال لها : إني قصدتُكِ من مكة للسلام عليكِ . فقالت له : أهلُ الفضل أنتَ . قال : وقد أحببتُ أن تُفرغي لنا نفسَكِ اليومَ وتُخلي لنا مجلسَكِ؛ قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أُحبُّ ألّا تغني إلّا ما أسألكِ . قالت : ليس المجلس لكَ، والقوم شركاؤكَ فيه . قال : أجـل . قال عمر : إن تُرِدْ أن تفعل ذلك بك يكن . قال الأحوص : كلّا ! قـال عمر : فإني أرى أن نجعل الخيارَ اليها . قال ابنُ أبي عَتيق : وفّقكَ الله . فدعتْ بالعود وغنّت :

تمشي الهُوَينى إذا مشتْ فُضُلًا مَشي النزيفِ المخمور في الصُّعُدِ⁽³⁾

---

(١) الفاثور : الخوان الذي يتخذ من فضة، وبه يشبه الصدر الواسع .

(٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل به بين الجواهر في النظم .

(٣) تمشي فضلًا اي تمشي متبذلة في ثوب واحد . والنزيف : السكران . والصعـد : الصعود والارتفاع ويريد هنا المكان العالي .

تَظلُّ من زَوْرِ[١] بيت جارتِها واضعةً كفَّها على الكبد
يا من لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ كَمِدِ[٢]
أزجُرُه وهو غيرُ مُزدجِرٍ عنها وطرفي مكحَّلُ السَّهَدِ

فلقد سُمِعتْ للبيت زَلْزلةٌ وللدار هَمهمةٌ. فقال عمر: لله دَرُّكِ يا جميلة! ماذا أعطيتِ! أنت اولُ الغناء وآخره! ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث، ثم أخذت العودَ وغنّت:

شَطَّتْ سُعادُ وأمسى البينُ قد أفِدا وأورثوكَ سَقاماً يَصدَع الكبدَا
لا أستطيع لها هَجراً ولا تِرَةً ولا تزال أحاديثي بها جُدُدَا

— الغناء فيه لسِياطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولم يذكر حبش لحن جميلة. وذكر إبراهيمُ أن فيه لحناً لحَكَم الوادي. وذكر الهشاميّ وابن خُرداذبه أنه من ألحان عمر بن عبد العزيز بن مَروان في سُعاد وأن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر ابراهيم ان لابن جامع فيه أيضاً صَنعةً — فاستخفَّ القومَ أجمعين، وصفّقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحرّكوا رؤوسهم، وقالوا: نحن فِداؤكِ من السوء ووِقاؤكِ من المكروه، ما أحسنَ ما غنّيتِ وأجملَ ما قلتِ! وأُحضِر الغداء فتغدى القومُ بأنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطْبةِ واليابسة، ثم دعتْ بأنواعٍ من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أبي عَتيق مثلَ ذلك؛ فقال الأحوص: لكنني أشرب؛ وما جزاء جميلة ان يُمتنع من شرابها! قال عمر: ليس ذلك كما ظننتَه. قالت جميلة: من شاء أن يَحملني بنفسه ويَخلِط روحي بروحه شكرناه، ومن أبى ذلك عذرناه، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس بمحادثته. قال ابن أبي عَتيق: ما

(١) الزور: مصدر كالزيارة.

(٢) السدم: الشديد العشق المهموم الحزين. والمكلم: المجرح.

يحسُن بنا إلا مساعدتُكِ . قال عمرُ : لا أكون أخسّكم، إفعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً . فشرب القوم أجمعون . فغنّت صوتاً بشعر لعُمَر :

ولقد قالت لجاراتٍ لها　كالمها يلعبنَ في حُجرتها
خذنَ عنّي الظِلّ لا يتبعُني　ومضتْ تسعى الى قُبّتها
لم تُعانِق رجلاً فيا مضى　طَفلةٌ غيداءُ في حُلّتها
لم يَطِش قطُّ لها سهمٌ ومَن　تَرمِه لا يَنجُ من رَميتها

— لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت . وذكر الهشامي أنّ فيه لابن المكيّ رَمَلاً بالبنصر . وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سُرَيج رَمَلاً بالوسطى — فصاح عمر : وَيلاه ! ويلاه ! ثلاثاً ثم عمَد الى جَيب قيصه فشقّه الى أسفلِه فصار قَباء، ثم آب اليه عقلُه فندِم واعتذر وقال : لم أملكْ من نفسي شيئاً . قال القوم : قد أصابنا كالّذي اصابَك وأُغمي علينا، غير أنّا فارقناك في تخريق الثياب . فدعت جميلةُ بثيابٍ لخلَعتها على عمرَ، فقبِلها ولبسها، وانصرف القوم الى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن أبي عَتيق، فوجّه عمر الى جميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه، فقبِلتها جميلةُ . وانصرف عمرُ الى مكة جَذلانَ مسروراً .

حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات :

قال إسحاقُ وحدثني أبي عن سِياط وابنُ جامع عن يونس قالا : حَجّتْ جميلةُ، وأخبرني إسماعيلُ بن يونس قال حدثنا عمرُ بن شَبّة قال حدثنا إسحاق ابن إبراهيم قال حدثني أبي عن سِياطٍ وابنُ جامع عن يونسَ الكاتبِ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن سعيد الدِمشقيّ قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثني عمي مُصعب قالوا جميعاً :

إنّ جميلة حجّت — وقد جمعتُ رواياتهم لتقاربُها، وأحسب الخبر كلّه مصنوعاً

وذلك بيّنٌ فيه – فخرج معها من المغنّين مشيّعين حتى وافوا مكةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ وطُوَيسٌ والدَّلال وبَردُ الفؤاد ونومةُ الضُّحى وفِندٌ ورحمةُ وهِبةُ الله – هؤلاء مشايخُ وكلّهم طيّب الغناء – ومَعبدٌ ومالكٌ وابنُ عائشة ونافعٌ بنُ طُنبورةَ وبُديحُ المليح ونافعُ الخير؛ ومن المغنّيات الفرهةُ وعَزّةُ الميلاء وحَبابةُ وسلّامة وخُليدة وعُقيلة والشمّاسية وفرعةُ وبُلبُلة ولَذّة العيش وسُعيدة والزَّرقاء؛ ومن غير المغنّين ابن أبي عَتيق والأحوص وكثيّر عَزّة ونُصيب وجماعةٌ من الأشراف؛ وكذلك من النساء من مَواليها وغيرِهنّ. وأما سِياطٌ فذكر أنه حجّ معها من القيانِ مشيّعاتٍ لها ومعظّماتٍ لقدرها وحقّها زُهاءَ خمسين قينةً؛ وجّه بهنّ مَواليهنّ معها فأعطوهنّ النفقاتِ وحَملوهنّ على الإبل في الهوادج والقِبابِ وغيرِ ذلك؛ فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهماً فما فوقَه حتى رجعن. وأما يونُس فذكر أنه حجّ معها من الرجال المغنّين مع من سمّينا زُهاء ثلاثين رجلاً؛ وتخايروا في اتّخاذ أنواع اللِّباس العجيب الظريف وكذلك في الهوادج والقِباب. وقيل، فيما قال أهل المدينة: إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سَفراً طِيباً وحُسناً ومَلاحةً. قالوا: ولما قاربوا مكةَ تلقّاهم سعيدُ بن مِسجح وابنُ سُريج والغَريض وابنُ مُحرز والهُذَليّون وجماعةٌ من المغنّين من أهل مكة وقيانٌ كثيرٌ لم يُسمَّين لنا؛ ومن غير المغنّين عمرُ بن أبي ربيعة والحارث بن خالدٍ المخزوميّ والعَرجيّ وجماعةٌ من الأشراف. فدخلتْ جميلةُ مكةَ وما بالحجاز مُغنٍّ حاذقٌ ولا مغنّيةٌ إلا وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممن سمّينا وغيرهم من الرجال والنساء. وخرج أبناء أهلِ مكةَ من الرجال والنساء ينظرون الى جمعها وحُسنِ هيئتهم. فلما قضتْ حجّها سألها المكيون أن تجعل لهم مجلساً. فقالت: للغناء أم للحديثِ؟ قالوا: لهما جميعاً. قالت: ما كنت لأخلطَ جِدّاً بهزل، وأبت أن تجلس للغناء. فقال عمرُ بن أبي ربيعة: أقسمتُ على من كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلا خرج معها الى المدينة؛ فإني خارج. فعزَم القومُ الذين سمّيناهم كلّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممن نشِط؛ فخرجتْ في جمعٍ أكثرَ من جمعها بالمدينة. فلما قَدِمتِ المدينةَ تلقّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء؛ فدخلتْ

أحسن مما خرجت به منها، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورِهم ينظرون الى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلتْ منزلها وتفرّق الجمع الى منازلهم ونزل أهلُ مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلّمين، وما أستنكف من ذلك كبيرٌ ولا صغير . فلما مضى لمقدَمِها عشرة أيام جلستْ للغنـاء ؛ فقالت لعمرَ بنِ أبي ربيعة : إني جالسةٌ لك ولأصحابك، وإذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم، فغصّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء . فابتدأت جميلةُ فغنّت صوتاً بشعر عمر :

هيهاتَ من أمةِ الوهّابِ منزلُنا ... إذا حللنا بسِيفِ البحر من عدَنِ
وأحتلَّ أهلكِ أجياداً[1] فليس لنـا ... إلا التذكُّر أو حظٌّ من الحزَنِ
لو أنها أبصرت بالجـزع عبرتَه ... وقد تغرّد قُمريٌّ عـلى فَنَنِ
إذاً رأت غيرَ ما ظنّتْ بصاحبها ... وأيقنت أن عَكّاً ليس من وَطني
ما أنسَ لا أنسَ يومَ الخَيفِ موقفَها ... ومَوقفي وكِلانا ثَمّ ذو شَجَنِ
وقولَها للثُرَيّا وهي باكيةٌ ... والدمعُ منها على الخدّين ذو سُنَنِ
بأللهِ قُولي له في غـير معتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكثِ في اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نعِمتَ بها ... فما أصبتَ بتركِ الحجِّ من ثَمَنِ

غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر :

فكلّهم أستحسن الغناء، وضجّ القوم من حُسن ما سمعوا . ويقال : إنهم ما سمعوا غناء قطّ أحسن من غنائها ذلك الصوتَ في ذلك اليوم . ودمعت عـينُ عمر حتى جرى الدمعُ على ثيابه ولحيته . وإنه ما رُئِيَ عمرُ كذلك في محفِل غيرِه قطُّ . ثم أقبلتْ على أبن سُريج فقالت : هاتِ ؛ فأندفع يغني ورفع صوتَه بشعر عمر :

---

(١) أجياد : موضع بمكة يلي الصفا .

أليست بالتي قالت لمولاةٍ لها ظُهرًا
أشيري بالسلام له إذا هو نحونا نظرا
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ نوِّلي عُمرا
وهذا سِحرُكِ النِّسوا نَ قد خبَّرنني الخبرا

غناء ابن مسجح :

فسُمع من ابن سُريج في هذا اللحن من الحُسن ما يقال إنه ما سُمع مثله . ثم قالت لسعيد بن مِسجح : هاتِ يا أبا عثمان؛ فاندفع فغنّى :

قد قلتُ قبل البَينِ لمّا خشيتُه لتُعقِب وُدًّا أو لتعلم ما عندي
لكِ الخيرُ هل من مَصدرٍ تَصدُرينه[١] يُريح كما سهّلتِ لي سُبُلَ الوِرد
فلمّا شكوتُ الحبَّ صدّت كأنما شكوتُ الذي ألقى الى حجرٍ صلد
تولّت فأبدت غُلّةً دون نَقعِها كما أرصدتْ من بُخلها إذ بدا وجدي

غناء معبد :

فاستُحسِن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يا معبد هاتِ؛ فغنّى :

أحاربُ مَن حاربتَ من ذي عَداوةٍ وأحبِس مالي إن غرِمت فأعقِلُ[٢]
وإني أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أحُلْ إن أبزاكَ[٣] خصمٌ او نبا بكَ منزل

---

(١) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره . فالثلاثي يتعدى ويلزم .

(٢) يريد : فأعقل عنه . يقال : عقل عنه اذا غرم ما لزمه من دية . وأما عقلته فمعناه دفعت ديته . ومعنى البيت : إن أصابك غرم حبست ما لي عليك واحتملت فيه الثقل عنك .

(٣) لم أحل : لم أتغير . وأبزاك خصم، يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك، من أبزيت بفلان اذا بطشت به وقهرته . ويجوز أن يكون «أبزى» منقولا بالالف عن بزى يبزى بزًى (كفرح). والبزى هو دخول الظهر وخروج البطن . ويكون المعنى : إن خفض منك خصم وحملك من الثقل ما يبزى له ظهرك فلا تطيق الثبات تحته والنهوض به .

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني يمينَك فأنظرْ أيَّ كفٍّ تبدِّلُ

غناء ابن محرز :

قالت جميلة : أحسنتَ يا معبد أختيار الشعر والغناء — هذا الشعر لمعْن (١) بن أوس — ثم قالت : هات يأبن محرز ؛ فإني لم أؤخرك لخساسةٍ بك ولا جهلًا بالذي يجب في الصناعة، ولكنني رأيتُك تحبّ من الأمور كلها أوسطَها وأعدلها، فجعلتُك حيث تحبُ واسطةَ بين المكيين والمدنيين . فغنى :

وقفتُ بربع قد تحمّل أهله فأذريتُ دمعاً يسبِق الطَّرفَ هامِلُه
بسائلة الرَّوحاء أو بَطن مَثعرٍ (٢) لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهِلُه
هو الموتُ إلا أن للموتِ مدّةً متى يَلقَ يوماً فارغاً فهو شاغله

غناء الغريض :

فقالت جميلة : يا أبا الخطّاب، كيف بدا لك في ثلاثةٍ وأنت لا ترى ذلك ؟! قال : أحببتُ أن أواسيَ معبداً . قال معبدٌ : والله ما عَدوت ما أردت . ثم قالت للغريض : هاتِ يا مَولى العبلاتِ فأندفع يغني :

فوا ندَمي على الشبابِ ووا ندَمْ ندِمتُ وبانَ اليوم مني بغيرِ ذَمّْ
وإذ إخوتي حَولي وإذ أنا شائخٌ وإذ لا أجيبُ العاذلاتِ من الصَّمم
أرادتْ عراراً بالهوانِ ومن يُرِد عراراً لعَمري بالهوانِ فقد ظَلَم

قالت جميلة : أحسن عمرو بن شأس ولم تُحسن إذ أفسدتَ غناءك بالتعريض . والله

(١) شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والاسلام ، وله ترجمة في الاغاني .

(٢) مثعر : ماء لجهينة .

ما وضعناك إلا موضعَك ولا نقصنا من حظِّك! فبماذا أهنّاكَ! ثم أقبلتْ على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقنع بمكانه. فأقبل القومُ عليه وقالوا له: قد أخطأتَ إن كنت عرَّضتَ. فقال: قد كان ذلك، ولستُ بعائدٍ وقام الى جميلة فقبَّل طرَف ثوبها واعتذر فقبِلت عذرَه وقالت له: لا تعُد. ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت: يا أبا جعفر هاتِ؛ فتغنّى بشعر النابغة:

سقى الغيثُ قبراً بين بُصرى وجاسِمٍ[1] عليه من الوَسميّ جودٌ ووابلُ
وأنبتَ حوذاناً[2] وعوفاً مُنوّراً سأُتبِعُه من خيرِ ما قال قائل
بكى حارثُ الجولانِ[3] من هُلكِ ربّه فحورانُ منه خاشعٌ مُتضائل
وما كان بيني لو لقيتُك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل

غناء نافع وبديح:

قالت جميلةُ: حسَنٌ ما قلتَ يا أبا جعفر. ثم أقبلت على نافع وبُدَيح فقالت: أُحبُّ أن تغنّيا صوتاً واحداً؛ فغنّيا جميعاً بصوتٍ واحد ولحنٍ واحد:

ألا يا مَن يلوم على التصابي أفِقْ شيئاً لتَسمعَ من جوابي
بكَرتَ تلومُني في الحبِّ جهلاً وما في حبِّ مثلي من مَعابِ
أليس من السعادةِ غيرَ شكٍّ هوى متواصلَين على اقتراب
كريمٌ نال وُدّاً في عفافٍ وسترٍ من مُنعَّمةٍ كَعاب

---

(١) بصرى وجاسم: موضعان بالشأم.

(٢) الحوذان: نبت يرتفع قدر ذراع، له زهرة حمراء في أصلها صفرة، وورقته مدوّرة. والعوف نبت طيب الرائحة.

(٣) الجولان: جبل من نواحي دمشق حوران. وحوران: قضاء واسع من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كبيرة ومزارع وحرار.

غناء الهذليين الثلاثة :

فقالت جميلة : هواكما والله واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نُحِّتما من بقيـة الكرم وواحدِ الشرف : عبد الله بن جعفر بنِ أبي طالب . ثم أقبلتْ على الهذليّين الثلاثة فقالت : غنُّوا صوتاً واحداً؛ فأندفعوا فغنَّوْا بشعر عنترة العبسيّ :

حُيّيتَ من طللٍ تَقادم عهدُه أقوى وأقفر بعـد أمِّ الهيثمِ
كيف المزارُ وقـد تربّع أهلُها بعُنيزَتَينِ[1] وأهلُنـا بالغيلمِ
إن كنتِ أزمعتِ الفراقَ فإنمـا زُمّت رِكابُكم بليـلٍ مُظلمِ
شرِبتْ بماءِ الدُّحرُضَينِ[2] فأصبحتْ زوراءَ تنفِر عن حِياضِ الدَّيلمِ

غناء نافع بن طنبورة :

قالت : ما رأيتُ شيئاً أشبه بغنائكم من آتفاق أرواحكم . ثم أقبلت على نافع بن طُنبورة فقالت : هاتِ يا نَقشَ الغضار[3] ويا حَسن اللسان؛ فأندفع يغنّي :

يا طُولَ ليلي وبتُّ لم أنَمِ وِسادِيَ الهمُّ مُبطِنٌ سَقَمِي
أنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ فأبـصرتُ رَقاشاً وليت لم أقمِ

غناء مالك بن أبي السمح :

فقالت جميلة : حسَنٌ والله — ولآبن سُرَيج في هذا اللحن أربعةُ أبياتٍ في صوت —

---

(١) عنيزة : موضع بين البصرة ومكة . والغيلم : موضع في ديار بني عبس .

(٢) الدحرضان : اسم موضع . والديلم : الأعداء .

(٣) الغضار : الطين اللازب الأخضر ، وهو لقب له .

ثم قالت : يا مالكُ هاتِ ؛ فإني لم أؤخرك لأنك في طبقة آخرِهم ، ولكنّي أردتُ أن أختِمَ بك يومنا تبرُّكاً بك وكي يكون أولُ مجلسنا كآخرِه ووسَطُه كطرَفِه ، وإنك عندي ومَعبداً لفي طريقة واحدة ومذهبٍ واحد ، لا يدفع ذلك إلا ظالمٌ ولا ينكره إلا عاضِل . الحقّ أقول ، فمن شاء فلينكر ؛ فسكتَ القوم كلُّهم إقراراً لما قالت . واندفع يغني :

عدوٌّ لمن عادت وسِلمٌ لسِلمِها ... ومن قرّبت سلمى أحبَّ وقرّبا
هَبيني امرأً إمّا بريئاً ظلمتِه ... وإمّا مُسيئاً تاب بعدُ وأعتبا
أقول التاسَ العُذر لمّا ظلَمتني ... وحمّلتني ذنباً وما كنتُ مُذنِبا
ليَهنِئك إشماتُ العدوّ بهجرِنا ... وقطعُك حبلَ الوصل حتى تقضّبا

اليوم الثاني من ايام المدينة وغناء طويس :

قالت جميلة : ليت صوتَك يا مالك قد دام لنا ودمنا له . وقطعت المجلسَ وانصرف عامة الناس وبقي خواصُّهم . فلما كان اليوم الثاني حضر القومُ جميعاً . فقالت لطُويس : هاتِ يا أبا عبد النعيم . قال : فأنكر ما فعلتْ جميلةُ في اليوم الاول ؛ لان طُويساً لم يكن يرضى بذلك . فأخبرني ابنُ جامع أن جميلةَ صنّفتهم طويساً وأصحابَه وابنَ سُريج وأصحابَه ، ثم أقرعتْ بينهم ، فخرجت القرعةُ الأولى لابن سُريج وأصحابه والثانيةُ لطُويس وأصحابِه . فابتدأ طويسٌ فغنّى :

قد طال ليلي وعاد لي طرَبي ... من حبِّ خودٍ كريمةِ الحسَبِ
غرّاء مثلِ الهلال آنسةٍ ... أو مثلِ تمثالِ صُورة الذهب
صادت فؤادي بجيد مُغزلةٍ[1] ... ترعى رياضاً ملتفّةَ العُشب

(١) المغزلة : الظبية ذات الغزال :

غناء الدلال :

فقالت جميلة : حسنٌ والله يا أبا عبد النعيم . ثم قالت للدّلال : هات يا أبا يَزيد ؛ فاندفع فغنّى :

قد كنت آمُلُ فيكمُ أملاً والمـرء ليس بمدركٍ أمَلَهْ
حتى بَـدا لي منكمُ خُلُفٌ فزَجرتُ قلبي فارْعوى جَهلَه
ليس الفتى بمخلَّدٍ أبـداً حيّاً وليس بفائتٍ أجلَه
حَيِّ النَجومَ ومَن بعَقوتها[١] وقَفا العَمودِ وإن خَلا أهلَه

غناء برد الفؤاد ونومة الضحى :

قالت : حسن والله يا أبا يزيد . ثم قالت لِهيتٍ : إنّا نُجلّك اليوم لـكِبَر سِنِّك ورِقّة عَظمِك . قال : أجل يا ماما . ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَومةِ الضُّحى : هاتيا جميعاً لحناً واحداً؛ فغنّيا :

إني تذكّرتُ فلا تَلحَني لؤلؤةً مكنونةً تَنطِقُ
مسـكنُها طَيبةُ لم يَغذُها بؤسٌ ولا والٍ بها يَخرُقُ
قد قلت والعيسُ سِراعٌ بنا تُرقِلُ إرقالاً وما تُعنِقُ[٢]
يا صاحبي شَوقي أرى قاتِلي ومُوردِي منها جَوًى يُقلِقُ

غناء فند ورحمة وهبة الله :

قالت جميلة : أحسنتما . ثم قالت لِفَند ورَحمة وهبة الله : هاتُوا جميعاً صوتاً واحداً فإنـكم متّفقون في الأصوات والألحان؛ فاندفعوا فغنّوا :

(١) العقوة : ساحة الدار . والعمود : هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر . وقفاه : وراءه .

(٢) الإرقال : السير السريع . والإعناق : السير المنبسط .

أشاقكَ من نحو العَقيق بُروقُ ... لوامعُ تَخفى تارة وتَشوقُ
وما لِيَ لا أهوى جواري بَربَرٍ ... ورُوحي الى أرواحِهن تَتوق
لهنّ جمالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ ... ودَلٌّ على دَلِّ النساء يَفوق

وكان بَربرُ حاضراً، فقال: جواريّ والله على ما وَصفتم، فمن شاء أقرّ ومن شاء نكر.

غنا جميلة :

فقالت جميلة: صدَق. ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى — ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها — :

بانت سُعادُ وأمسى حبلُها انقطعا ... واحتلّتِ الغور فالجدّينِ فالفَرَعا[1]
واستنكرتْني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادث إلا الشَّيبَ والصَّلَعا
تقول بِنتي وقد قَرُبتُ مرتحلاً ... يا ربِّ جَنِّب أبي الأوصابَ والوَجعا
وكان شيءٌ إلى شيءٍ فغيّره ... دهرٌ مُلحٌّ على تفريق ما جَمعا

فلم يُسمَع شيءٌ أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتمِها في اليوم الثاني. وقطعت المجلسَ فانصرف القومُ وأقام آخرون. فلما كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ، فضربتْ سِتارة وأجلست الجواريَ كلَّهن فضرَبْنَ وضرَبتْ فضرَبْنَ على خمسين وتراً فتزلزلتِ الدارُ؛ ثم غنّت على عُودها وهنّ يَضرِبْنَ على ضربها بهذا الشعر:

فإن خَفِيَتْ كانت لعينِك قُرّةً ... وإن تَبدُ يوماً لم يُعمِمك عارُها
من الخَفِراتِ البيضِ لم تَرَ غِلظةً ... وفي الحسَبِ الضخم الرَّفيع نِجارُها
فما رَوضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثرى ... يَمجُّ النَّدا جَثجاثُها وعَرارُها

---

(١) الجدان: موضع. والفرع: موضع بين الكوفة والبصرة.

بأطيبَ من فيها اذا جئتَ طارقاً وقد أُوقِدتْ بالمندَل الرَّطب نارُهَا

غناء عزة الميلاء :

فدَمعت أعينُ كثيرٍ منهم حتى بَلّ ثوبَه وتنفّس الصُّعداء وقال : بنفسي أنتِ يا جميلةُ ! ثم قالت للجواري : اكففْنَ فكففنَ؛ وقالت : يا عزّ غني؛ فغنّت بشعر لعمرَ :

تذكّرتَ هنداً وأعصارَها[1] ولم تقضِ نفسُك أوطارَهَا
تذكّرتِ النفسُ ما قد مضى وهاجتْ على العينِ عُوّارَها[2]
لتمنحَ رامةَ منّا الهوى وترعى لرامةَ أسرارَها
إذا لم نَزُرها حِذارَ العِدا حسدنا على الزَّورِ زُوّارَها

غناء حبابة وسلامة :

فقالت جميلة : يا عزّ، إنكِ لباقيةُ على الدهر، فهنيئاً لكِ حسنُ هذا الصوت مع جودة هذا الغناء. ثم قالت حَبابةَ وسَلّامةَ : هاتيا لحناً واحداً؛ فغنّتا :

كفى حَزَناً أني أغيبُ وتَشهدُ وما نلتقي والقلبُ حرّانُ مُقصَدُ
ومن عَجبٍ أني إذا الليلُ جنّني أقوم من الشوق الشديد وأقعُد
أحِنُّ اليكم مثلَ ما حنّ تائقٌ الى الورد عَطشانُ الفؤاد مصرَّدُ[3]
ولي كَبِدٌ حرَّى يعذّبها الهوى ولي جسدٌ يَبلى ولا يتجدّدُ

---

(١) الأعصار : جمع عصر، يريد الأوقات التي كان يجتمع فيها معها .

(٢) العوّار : ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .

(٣) التصريد : سقي دون الريّ .

غناء خليدة :

فاستُحسن غناؤهما . ثم أقبلتْ على خُليدة فقالت لها : بنفسي أنت ! غنّي؛ فغنّتْ :

ألا يا مَن يَلوم على التصابي   أفِق شيئاً لتسمع من جوابي
بكرتَ تلومُني في الحبّ جهلاً   وما في حبّ مثلي من مَعاب
أليس من السعادة غيرَ شكٍّ   هوى مُتواصلين على اقتراب
كريمٌ نال وُدّاً في عَفافٍ   وسَترٍ من منعّمةٍ كَعاب

غناء عقلية والشماسية :

فاستُحسن منها ما غنّت، وهو بلَحنها حسنٌ جداً . ثم قالت لعُقَيلة والشماسيّة : هاتِيا، فغنّتا :

هجرتِ الحبيبَ اليومَ في غيرِ ما اجترَمْ   وقطّعتِ من ذي وُدّكِ الحبلَ فانصرَمْ
أطعتِ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ   مقالةَ واشٍ يَقرَع السنَّ من نَدَمْ

غناء فرعة وبلبلة ولذة العيش :

ثم قالت لفَرعة وبُلبُلَةَ ولذّةِ العيش : هاتِينَ فغنّينَ؛ فاندفعن بصوتٍ واحد :

لَعمري لئن كان الفؤادُ من الهوى   بغى سَقَماً إني إذاً لسَقيمُ
عليّ دِماءُ البُدنِ إن كان حبُّها   على النأي في طول الزمان يَريم
تُلِمُّ مُلِمّاتٌ فيُنسَين بَعدَها   ويُذكَر منها العهدُ وهو قديم
فأُقسِمُ ما صافيتُ بعدكِ خُلّةً   ولا لكِ عندي في الفؤاد قَسيم

غناء سعدة والزرقاء :

قالت : أحسنتَنّ ! وهو لعمري حسنٌ . وقالت لسُعدة والزرقاء : غنيا؛ فغنّتا :

قد أرسلوني يُعزّونني فقلتُ لهم كيف العزاء وقد سارتْ بها الرُّفقُ
إستهدَتِ الرِّيمَ عينيه لجادلها بمُقلتيه ولم تُترَك له عُنُقُ

فأستُحسِن ذلك . ثم قالت للجماعة فغنّوا؛ وأنقضى المجلسُ وعاد كلٌّ إنسان إلى وطنه . فما رُئي مجلسٌ ولا جمعٌ أحسنُ من اليوم الاول ثم الثاني ثم الثالث .

وحدثتني عمّتي – وكان أسنّ من أبي وعُمِّرتْ بعده – قالت : كان السبب في طلب أبيك الغناء والمواظبةِ عليه لحناً سمعه لجميلةَ في منزل يونُسَ بنِ محمد الكاتب، فأنصرف وهو كئيبٌ حزين مغمومٌ لم يَطعَم ولم يُقبِل علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن السبب فأمسك؛ فألححتُ عليه فأنتهرني، وكان لي مُكرِماً؛ فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس الى بيت آخر، فتبِعَني وترضّاني وقال لي : أحدّثك ولا كتمانَ منكِ : عشِقتُ صوتاً لأمرأة قد ماتت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركني اللهُ منه برحمته . فقالت : أتظُنّ أن الله يُحيي لك ميّتاً ! قال : بل لا أشكّ . قالت : فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعطاه إلا نبيٌّ ولا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم ! وأمّا عشقُك الصوتَ فهو أن تحذِقه وتُغنّيه عشرَ مِرارٍ، فتملّه ويذهب عشقُك له ! فكأنه أرعوى ورجع الى نفسه، وقام فقبّل رأسي ويدي ورجلي وقال لي : فرّجتِ عني ما كنتُ فيه من الكرب والغمّ، ثم تمثّل : « حبُّك الشيء يُعمِي ويُصِمّ » ولزِم بيتَ يونُسَ حتى حذَق الصوتَ، ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى مات يونُس وأنضمّ الى سِياطٍ، وكان من أحذقِ أهل زمانه بالغناء، وأحسنِهم أداء عمّن مضى . قالت عمّتي : فقالت لإبراهيم : وما الصوتُ ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يحسِن أداء الغناء :

من البَكراتِ عِراقيّةٌ ... تُسمّى سُبيعةَ أطريتُها
مَن آلِ أبي بكرةَ الأكرمين ... خَصصتُ بودّي فأصفيتُها
ومن حبّها زرتُ أهلَ العراق ... وأسخطتُ أهلي وأرضيتُها
أموتُ إذا شَحطت دارُها ... وأحيا إذا أنا لاقيتُها
فأُقسِم لو أنّ ما بي بها ... وكنتُ الطبيبَ لداويتُها

قالت عمّتي : هذا شعرٌ حسنٌ، فكيف به اذا قُطِع ومُدِّد تمديد الأطرِبة وضُرب عليها بقُضبان الدِّفلى على بطون المِعزى ! فما مضت الأيام والليالي حتى سمعت اللحن مؤدًى، فما خرق مسامعي شيء قطُّ أحسنُ منه؛ ولقد أذكرني بما يُؤثر من حسن صوت داود وجمال يوسف . فبينا أنا يوماً جالسةٌ إذ طلع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً؛ فقال لي : ألا أحدِثك بعجبٍ ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إن لي شريكاً في عشق صوت جميلة . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سِياطٍ في يومنا هذا وأنا أغنّيه الصوتَ وقد وقّفني فيه على شيء لم أكن أحكمتُه عن يونُس، وحضر عند سِياطٍ شيخٌ نبيلٌ فسبّح على الصوت تسبيحاً طويلاً، فظننتُ أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت . فلما فرغتُ أنا وسِياطٌ من اللحن قال الشيخ : ما أعجب أمرَ هذا الشعر وأحسن ما غُنّي به وأحسن ما قال قائله ! فقلت له دون القوم : وما بلغ من العجب به ؟ قال : نعم ! حَجّت سُبيعةُ من ولد عبد الرحمن ابن أبي بكرةَ، وكانت من أجمل النساء، فأبصرها عمر بن أبي ربيعة، فلما انحدرت الى العراق اتّبعها يُشيّعها حتى بلغ معها موضعاً يقال له الخورنق . فقالت له : لو بلغتَ الى أهلي وخطبتني لزوّجوك . فقال لها : ما كنتُ لأخلِطَ تشييعي إياكِ بخِطبة، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطباً؛ فرجع ومرّ بالمدينة فقال فيها :

من البَكراتِ عِراقيّةٌ ... تسمى سُبيعةَ أطريتُها

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغني بهذا الشعر ففعلت . فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وَجودة تأليفها، لحُسن موقعُ ذلك منه، فوجّه الى بعض مَوالِياته ممن كانت

تطلُب الغناء أن تأتيَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها ؛ فطارحتها إياه أياماً حتى حذَقتْ ومَهرتْ به . فلما رأى ذلك عمر قال : رأى أن تَخرُجي الى سُبَيعة وتغنّيها هــذا الصوتَ وتُبلّغيها رسالتي؛ قالت : نعم جعلني الله فداكَ . فأتتها فرحّبتْ بها، وأعلمتها الرسالةَ، فحَيَّتْ وأكرمتْ، ثم غنّتها فكادت أن تموت فرحاً وسروراً لحسن الغنـاء والشعر . ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كانت وقالت له : إنها خارجة في تلـك السنة . فلما كان أوانُ الحج استأذنتْ سُبيعةُ أباها في الحج، فأبى عليها وقال لها : قد حَججتِ حِجّةَ الإسلامِ . قالت له : تلك الحِجّةُ هي التي أسهرتْ ليلي وأطالت نهاري وتوقّتني الى أن أعود وأزور البيتَ وذلك القبرَ؛ وإن أنت لم تأذَن لي مُتُّ كمداً وغَماً؛ وذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت، فإن يئستُ فالموت لا شكَّ نازلٌ بي . فلما رأى ذلك أبوها رَقّ لها وقال : ليس يَسعُني منعُها مع ما أرى بها، فأذِن لها . ووافى عمرُ المدينة ليعرف خبرَها؛ فلما قدِمتْ علم بذلك . وسألهـا أن تأتيَ منزل جميلة، وقد سبق اليه عمرُ، فأكرمتْها جميلـةُ وسُرّت بمكانها . فقالت لها سُبيعة : جعلني الله فِداكِ ! قلقني وأسهرني صوتُكِ بشعر عمـر فيّ، فأسمعيني إياه . قالت جميلة : وَعزازةَ لوجهك الجميل ! فغنّتها الصوتَ، فأُغمي عليهـا ساعةَ حتى رُشّ على وجهها الماء وثاب اليها عقلُها . ثم قالت : أعيـدي عليّ، فأعادت الصوتَ مراراً في كل مرّة يُغشى عليها . ثم خرجت الى مكة وخرج معها . فلما رجعت مرّت بالمدينة وعمرُ معها، فأتت جميلةَ فقالت لهـا : أعيدي عليّ الصوتَ ففعلت؛ وأقامت عليها ثلاثاً تسألها أن تُعيد الصوت . فقالت لها جميلة : إني أُريد أن أغنّيكِ صوتاً فأسمعيه . قالت : هاتِيه يا سيّدتي؛ فغنّتها :

أبتِ المليحــةُ أن تُواصلَني ... وأظنُّ أني زائرٌ رَمسِي
لا خيرَ في الدنيـا وزينتِها ... ما لم تُوافِقْ نفسُها نفسي
لا صبرَ لي عنها إذا حسرت ... كالبدر أو قَرنٍ من الشمس
ورمت فؤادَك عنـد نظرتها ... بملاحةِ الإيثـار والأُنس

قالت سُبيعة : لولا أنّ الاول شعر عمر لقدّمتُ هذا على كلّ شيء سمعتُه . فقـال

عمر: فإنه والله أحسنُ من ذلك، فأما الشعر فـلا. قالت جميلةُ: صدقتَ والله. قالت عمتي قال لها أبي: لعمري إنّ ذلك على ما قالا.

ولابن سُرَيج في هذا الشعر لحنٌ عن جميلة وربما حُكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلًا بمثل.

جمعت الناس في دارها وقصت عليهم رؤياها:

أخبرني من يفهم الغناء قال:

بلغني أنّ جميلة قعدت يوماً على كرسيٍّ لهـا وقالت لآذنتِها: لا تحجُبي عنّا أحداً اليومَ، واقعدي بالباب، فكل من يمرّ بالباب فاعرِضي عليه مجلسي؛ ففعلتْ ذلك حتى غصّتِ الدارُ بالناس؛ فقالت جميلةُ: اصعَدوا الى العَلاليّ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأتْ السطوحُ. فجاءتها بعض جواريها فقالت لهـا: يا سيّدتي، إن تمادى أمرُكِ على ما أرى لم يبقَ في داركِ حائطٌ إلّا سقط، فأظهري ما تريدين. قالت: اجلسي. فلما تعالى النهارُ واشتدّ الحرّ استسقى الناسُ المـاء فدَعت لهم بالسَّويق[1]، فشرب من أراد؛ فقالت: أقسمتُ عـلى كل رجل وامرأة دخل منزلي إلّا شرب، فلم يبق في سُفلِ الدار ولا عُلوِها أحد إلا شرب، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمَراوح الكبار، وأمرت جواريَها فقُمن على كراسيّ صِغارٍ فيما بين كلّ عشرةِ نفرٍ جاريةٌ تروّح. ثم قالت لهم: إني قد رأيتُ في منامي شيئاً أفزعني وأرعبني، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك، وقد خِفتُ أن يكون قـربَ أجلي، وليس ينفعني إلّا صالحُ عملي، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلحقني منه شيء عند ربي. فقال قوم منهم: وفّقكِ الله وثبّت عَزمكِ! وقال آخرون: بل لا حَرجَ عليكِ في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقه وتجربة: قد

(١) السويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير.

تكلمت الجماعة، وكلٌّ حزبٍ بما لديهم فَرِحون، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شَرِكتُهم في رأيهم؛ فأستمعوا الآن لقولي وأنصِتوا ولا تَشغَبوا الى وقت انقضاء كلامي؛ فمن قبِل قولي فالله موفّقه، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنتُ في طاعة ربي. فسكت القوم جميعاً. فتكلّم الشيخ فحمِد اللهَ وأثنى عليه وصلى على محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا معشر أهـلِ الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوُّكم وظفِر بكم ولا تُفلِحوا بعدها أبداً. إنكم قد أنقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرِهم ممن لا يزال يُنكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب اليـه كما يندب جوعكم وشرفكم وعزكم. فأكثرُ ما يكون عند عابدكم فيـه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدِ في الدنيا؛ لان الغناء من أكبر اللذات وأسرُّ للنفوس من جميع الشهوات، يُحيي القلبَ ويزيد في العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفسَحُ في الرأي ويتيسَّر به العسير وتفتح به الجيوش ويذلَّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند أستماعه، ويُبرِئ المرضى ومن مات قلبُه وعقله وبصره، ويزيد أهـلَ الثروة غِنًى وأهلَ الفقر قناعةً ورِضاً باستماعه فيَعزِفون عن طلب الاموال. من تمسَّك بـه كان عالمًا ومن فارقه كان جاهلًا؛ لانه لا منزلةَ أرفعُ ولا شيء أحسن منه؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجـلّ. وكلام كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث به، فما رَدَّ عليه أحد ولا أنكر ذلـك منهم بَشَرٌ، وكلٌّ عاد بالخطإ على نفسه وأقرّ بالحقّ له. ثم قـال لجميلة: أوَعَيتِ ما قلتُ ووقع من نفسكِ ما ذكرتُ؟ قالت: أجل وأنا أستغفر اللهَ. قال لهـا: فأختِمي مجلسَنا وفرّقي جماعتَنا بصوت فقط؛ فغنَّتْ:

أفي رسمِ دارٍ دمعُك المترقرقُ سَفاهاً! وما أستنطاقُ ما ليس يَنطِق
بحيثُ التقى جَمعٌ وأقصى مُحسِّرٍ مَغانيه قد كادت عن العهد تَخلَق
مُقامٌ لنـا بعد العِشاء ومنزلٌ به لم يكدِّره علينـا مُعوِّق
فأحسنُ شيءٍ كان اولُ ليلنـا وآخرُه حزنٌ اذا نتفـرّق

فقال الشيخ : حسنٌ واللهِ ! أمثلُ هذا يترك ! فيم تتشاهد الرجال ! لا والله ولا كرامة لمن خالف الحقّ . ثم قام وقام الناس معه، وقال : الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فَضيلته، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ الله يا جميلة .

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا :

وقال أبو عبد الله : جلستْ جميلة يوماً ولبست بُرُنساً طويلاً، وألبست من كان عندها برانسَ دون ذلك، وكان في القوم ابنُ سُرَيج، وكان قبيحَ الصَّلَع قد اتخذ وَفرةَ شعر[1] يضعها على رأسه، وأحبّت جميلةُ أن ترى صَلعتَه . فلما بلَغ البرنسُ الى ابن سُرَيج قال : دَبَرْتِ عليّ وربِّ الكعبة ! وكشَف صَلعتَه ووضع القلنسيةَ على رأسه، وضحك القومُ من قُبح صَلعتِه ؛ ثم قامت جميلةُ ورقصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُرنُس الطويل وعلى عاتقها بُردَةٌ يَمانِيةٌ وعلى القوم أمثالها، وقام ابن سُرَيج يرقُص ومَعبَد والغريض وابن عائشة ومالكٌ وفي يد كل واحد منهم عود يضرِب به على ضرب جميلة ورَقصِها؛ فغنّت وغنى القومُ على غنائها :

ذهب الشبابُ وليته لم يَذهبِ ... وعَلا المفارقَ وَقعُ شيبٍ مُغربِ[2]
والغانياتُ يُرِدن غيرَك صاحباً ... ويَعِدنَكَ الهجرانَ بعد تقرّب
إني أقولُ مقالةً بتجاربِ ... حقّاً ولم يُخبِرْكَ مثلُ مجرّب
صافِ الكريمَ وكن لعِرضك صائناً ... وعن اللئيمِ ومثلِه فتنكّب

ثم دعت بثياب مُصبَّغة ووفوة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتها على رأسها،

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه .

(٢) مغرب : أبيض .

ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، ثم ضربتْ بالعود وتمشَّت وتمشى القوم خلفَها ، وغنَّت وغنَّوا بغنائها بصوت واحد :

يَمشِين مَشيَ قَطا البِطاح تَأَوُّداً   قُبُّ البطون رواجحَ الأكفالِ
فيهنَّ آنسةُ الحديثِ حَيِيَّةٌ   ليست بفاحشةٍ ولا مِتفالِ (١)
وتكون رِيقتُها إذا نبّهتَها   كالمسك فوق سُلافة الجِريالِ (٢)

ثم نعرتْ ونعر القوم طرباً، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا الى زيِّهم، وأذِنت لمن كان ببابها فدخلوا ؛ وانصرف المغنُّون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري .

وحدثتني عمتي قالت : سمعت سِياطاً يحدِّث أباك يوماً بأحاديثِ جميلةَ فقال : بنفسي هي وأمّي ! فما كان أحسن وجهها وخَلقها وغناءها ! ما خلّفتِ النساء مثلها شبيهاً ؛ فأعجبني ذلك . ثم قال سياط : جلستْ جميلة يوماً للوِفادة عليها ، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسدلةً كالعناقيد الى أعجازهنّ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبَّغة ووضعت فوق الشعور التيجان، وزيّنتهنّ بأنواع الحَليِ ، ووجّهت الى عبد الله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أملتْ عليه : « بأبي أنت وأمّي ! قَدرُك يَجلّ عن رسالتي وكرَمُك يحتمل زَلَّتي ؛ وذنبي لا تُقال عَثرتُه ولا تُغفر حَوبتُه . فإن صَفحتَ فالصفحُ لكم مَعشرَ أهلِ البيت يُؤثَر ، والخيرُ والفضلُ كله فيكم مُدَّخر، ونحن العبيد وأنتم المَوالِي . فطوبى لمن كان لكم مُقارِباً والى وجوهكم ناظراً ! وطُوبى لمن كان لكم مُجاوِراً، وبعزِّكم قاهراً، وبضيائكم مبصراً ! والويل لمن جهل قَدرَكم ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخَلق لكم ! فصغيرُكم كبير بل لا صغيرَ فيكم، وكبيرُكم جليلٌ بل الجلالةُ التي وَهبها الله عزّ وجلّ

(١) المتفال : المتغيرة الريح لترك التطيب والادّهان .

(٢) الجريال : من أسماء الخمر .

للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم . وبالكتاب نسألك وبحقّ الرسول تدعوك إن كنتَ نشيطاً لمجلس هيَّأْته لك لا يحسُن إلّا بك ولا يتمّ إلا معك، ولا يصلح أن يُنقَل عن موضعه، ولا يُسلَك به غيرِ طريقه » . فلما قرأ عبد الله الكتاب قال : إنّا لنعرف تعظيمَها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمتُ أنها قد آلتْ أليّةً ألّا تغني أحداً إلّا في منزلها . وقال للرسول : والله قد كنتُ على الركوب الى موضع كذا وكان في عَزمي المرورُ بها . فأمّا إذ وافق ذلك مُرادها فإني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها . فلمّا صار الى بابها أدخل بعضَ مَن كان معه اليها وصرف بعضَهم . فنظر الى ذلك الحسنِ البارع والهيئة الباذّة[1]، فأعجبه ووقع من نفسه؛ فقال : يا جميلة ! لقد أوتيتِ خيراً كثيراً، ما أحسنَ ما صنعتِ ! فقالت : يا سيّدي، إنّ الجميل للجميل يصلُح، ولك هيّأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجواري صَفّين ؛ فأقسم عليها فجلست غيرَ بعيد . ثم قالت : يا سيّدي، ألا أُغنيك ؟ قال : بلى ! فغنّت :

بني شَيبةِ[2] الحمدِ الذي كان وجهُه ... يُضيء ظلامَ الليلِ كالقمر البدرِ
كُهولُهم خيرُ الكهولِ ونَسلُهم ... كنسل الملوكِ لا يَبورُ ولا يحري[3]
أبو عُتبةَ المُلقي إليك جمالَه ... أغرُّ هِجانُ اللون من نفرٍ زُهرِ
لِساقي الحجيج ثم للخيرِ هاشمٍ ... وعبدِ منافٍ ذلك السيّدِ الغَمرِ
أبوكم قُصيٌّ كان يُدعى مُجمِّعاً ... به جمّع الله القبائلَ من فِهرِ

فقال عبد الله : أحسنتِ يا جميلةُ وأحسن حُذافةُ ما قال ! بالله أَعيديه عليّ فأعادته فجاء الصوت أحسنَ من الأرتجال . ثم دعت لكل جاريةٍ بعود وأمرتهنّ بالجلوس

---

(١) الهيئة الباذة : الغالبة الفائقة .

(٢) شيبة الحمد : لقب عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

(٣) يبور : يهلك . ويحري : ينقص .

على كراسيّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ، فضربن وغنت عليهنّ هـذا الصوتَ وغنى جواريها على غنائها. فلما ضربنَ جميعاً قال عبد الله: ما ظننتُ أنّ مثلَ هـذا يكون! وإنه لمماً يفتن القلب! ولذلك كرهه كثيرٌ من الناس لِما علموا فيه. ثم دعا ببَغلته فركبها وانصرف الى منزله. وقد كانت جميلةُ أعدّت طعـاماً كثيراً، وكان أراد المُقام، فقال لأصحابه: تخلّفوا للغداء، فتغدّوا وانصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحُذافة بن غانم بن عُبيد الله بن عُويج بن عَديّ بن كعب يمدح به عبد المطّلب.

قال وحدثني بعض المكيين قال:

كان العَرجيّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعراً سخياً شجـاعاً أديباً ظريفاً. ويشبَّه شعرُه بشعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدّما عليه؛ وقد نُسِب كثيرٌ من شعره الى شعرهما، وكان صاحب صيد. فخرج يوماً متنزّهاً من مكة ومعه جماعةٌ من غِلمانه ومواليه ومعـه كِلابُه وفُهوده وصُقوره وبوازيه نحوَ الطائف الى مالٍ له بالعَرْج — وبهذا الموضع سُمّي العَرجيّ — فجرى بينه وبين مولًى لبني أمية كلامٌ، فأمضّه المولى فكفّ عنـه العرجيّ حتى أوى الى منزله، ثم هجم عليه ومعه غِلمانه فأمرهم أن يُوثقوه، ثم أمرهم أن ينكحوا امرأته وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أميرَ مكة ما فعـل فطلبه، فخرج من منزله وأخرج معه غِلمانه ومَواليَه وآلة الصيد وتوجّه نحو المدينة وقد ركِب أفراسَه وأعدّ عُدّته. فلم يزل يتصيد ويتقصف في طريقه حتى دخل المدينةَ ليلًا، وأراد المُقام في منزل جميلة، وكانت آلت ألّا تغني بشعره ولا تُدخلَه منزلها لكثرة عَبَثه وسفهه وحَداثة سِنّه. فلما أُعلِمت بمكانه ليلًا قالت: طارق! إن له لشأناً! فاستخبرت خبرَه فقيل لها: إنه قدِم مُستخفياً، ولم يرَ بالمدينـة موضعاً هو أطيبُ له من منزلك، والأعيانُ تكفّر، والأشرافُ لا يُردّون. فقالت لرسولها اليه: منزلي منزلُ جَوارٍ، ولا يمكن مثلك الاستخفاء فيه، فعليك بالأحوص — وكان الأحوص مُجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة — فقال: أنّى لي

بالأحوص مع الذي كان بيننا ! قالت : أئته عني وقل له : قد غنينا بذلك الشعر؛ فإن أحببتَ أن تظهر وتبقى مودّتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبد الله، إذ أصلح ما بيننا، وأنزِله منزلك . قال لها : ليس هذا بمُقنِعي؛ أمّا إذ أبيت أن أقيم بمنزلك فوجّهي معي رسولًا الى الأحوص ؛ فإنّ منزله أحبُّ المنازل اليّ بعد منزلك . فوجّهت معه الى الأحوص بعضَ مَولياتها؛ فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جوارَه وستَرَ أمره . فقال شعراً ووجّه به الى جميلة :

ألا قاتَل اللهُ الهوى كيف أخلَقا ... فلم تُلفِه إلّا مَشوباً مُمذَقا[١]

وما من حبيبٍ يستزير حبيبَه ... يُعاتبه في الودّ إلا تفرّقا

أمرّ وصالُ الغانياتِ فأصبحت ... مَضاضتُه يشجى بها مَن تَمطّقا[٢]

تعلّق هذا القلبُ للحَين مَعلَقاً ... غزالًا تحلّى عِقدَ دُرٍّ ويارَقا[٣]

إذا قلتُ مهلًا للفؤاد عن التي ... دعتْك اليها العينُ أغضى وأطرقا

دعانا فلم نَستبقِ حُبّاً بما نرى ... فما منك هذا العذلُ إلا تحرُّقا

فقد سنّ هذا الحبَّ مَن كان قبلنا ... وقاد الصِبا المرءَ الكريمَ فأعنقا[٤]

فلمّا قرأت شعرَه رقّتْ له وقالت : كيف لي بإيلائي ألّا يدخل منزلي ولا أغنّيه بشعره ؟! فقيل لها : يدخل منزلك وتغنّين وتكفّرين عن يمينك . فوجّهتْ اليه أن صِرْ الينا والأحوص في تلك الليلة، فجاءاها؛ وعرّفت الأحوص تكفير اليمين؛ فقال لها : وأنا والله شفيعُه اليكِ؛ ففرّجي ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوى، فتؤنسينه وتسرّينه وتغنّينه بشعره . فغنّت :

---

(١) ممذقا : مخلوطا .

(٢) تمطق : تذوّق وتمضغ .

(٣) اليارق : السوار .

(٤) الإعناق : السير المنبسط .

أَلا قاتلَ اللهُ الهوى كيف أخلقا فلم تُلفِهِ إلّا مشوباً مُمذّقا

وحدّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد :

كان الأحوصُ مُعجَباً بجميلة، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها اذا جلستْ. فصار اليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتن مَن رآه، فشغل أهلَ المجلس، وذهبت الالحونُ عن الجواري وخلَطن في غنائهنّ. فأشارت جميلة الى الأحوص أن أخرِج الغلام؛ فالخللُ قد عمّ مجلسي وأفسد عليّ أمري. فأبى الأحوصُ وتغافل، وكان بالغلام مُعجباً، فآثر لذّته بالنظر الى الغلام مع السماع. ونظر الغلام الى الوجوه الحسان من الجواري ونظرن اليه، وكان مجلساً عامّاً. فلما خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعض مَن حضر بإخراج الغلام فأُخرِج؛ وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقلْ شيئاً؛ فأحمد أهلُ المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم : هذا كان الظنّ بك، أكرمكِ الله ! فقالت : إنه والله ما آستأذنني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري، ولا رأيت له وجهاً قبل ذلك؛ وإنه ليعِزّ عليّ غضبُ الأحوص، ولكن الحقّ أولى، وكان ينبغي له ألّا يُعرِّض نفسه وإيايَ لما نكره مثله. فلمّا تفرّق أهلُ المجلس بعثتْ اليه : الذنبُ لك ونحن منه بُرءاء؛ إذ كنت قد عرفت مذهبي، فلِمَ عرّضتني للذي كان؛ فقد ساءني ذلك وبلغ مني؛ ولكن لم أجد بُدّاً من الذي رأيت إمّا حياء وإمّا تصنّعاً. فردّ عليها : ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تمحين به ما كان منك. قالت : أفعلُ ذلك سرّاً؛ قال الأحوص : قد رَضيتُ. فجاءاها ليلاً فأكرمتهما، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلّا عجائزَ من مَواليها. وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنّيه من شعره :

وبالقَفر دارٌ من جميلةَ هيّجتْ سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنصِبِ
وكانت إذا تنأى نوًى أو تفرّقت شِدادُ الهوى لم تدرِ ما قولُ مِشغَبِ

أَسيلةُ مجرى الدمعِ خُمصانةُ الحشا ... بَرُودُ الثنايا ذاتُ خَلقٍ مُشرعَبِ [١]
ترى العينُ ما تهوى وفيها زيادةٌ ... من الحسنِ إذ تبدو ومَلهىً لِملعِبِ [٢]

قال يونس: ما لها صوتٌ أحسنُ منه، وابنُ مُحرزٍ يغنّيه وعنها أخذه، وأنا أغنّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النخوة والتيه. وقال المحدّث لي بهذا الحديث عن يونس: إنّ هذا للأحوص في جميلة. والذي عندي أنه لطُفَيل الغنويّ قاله في ابن زيد الخيل، وهو زيد بن المهلهل بن المُختلِس بن عبد رُضًا أحدُ بني نَبهان، ونَبهان لقبٌ له، ولكنه سُودان بن عمرو بن الغَوث بن طَيّئ، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعب، واستحرّ القتلُ في غَنيّ بن أعصُر ومالك بن أعصُر؛ وأعصر هو الدخان، ولذلك قيل لها ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطُّفاوةُ وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيلان، وغَطفان بن سعد عمُّهم. وكانت غَنيّ مع بني عامر في دارهم مواليَ لنمير، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء. ثم إنّ غَنيًّا أغارت على طيّئ وعليهم سيار بن هريم؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة:

وبالفقر دارٌ من جميلة هيّجت ... سوالفَ شوقٍ في فؤادك مُنصِبِ

لحنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطاب لحناً جيلاً:

وحدثني أيّوب بن عَباية قال:

كان عمرو بن أحمر بن العمَرّد بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاس بن مَعن بن

---

(١) المشرعب: الطويل.

(٢) ألعب المرأة: جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به.

مالك بن أعصُر بن قيس بن عَيلان بن مُضر من شعراء الجاهلية المعدودين، وكان ينزل الشام، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم : عمر بن الخطاب فمن دونه الى عبد الملك بن مروان، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالداً الى الشام، ولم يأتِ أبا بكر . وقال في خالد رحمه الله :

إذا قال سيفُ الله كُرُّوا عليهمُ كرَرتُ بقلبٍ رابطِ الجأش صارمِ

وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيّدة :

أدركتُ آل أبي حفص وأسرته وقبل ذاك ودهراً بعده كَلِباً
قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُوَلٌ بين المناتين لا جِداً ولا لَعِباً
اللهُ يعلم ما قولي وقولُهمُ إذ يركبون جَناناً مُسهباً ورِبا (١)

وقال في عثمان بن عفّان رضي الله عنه :

حُتّي فليس الى عثمانَ مُرتَجَعٌ إلا العداء وإلّا مُكنِعٌ (٢) ضررُ
إخالُها سَمِعت عَزفاً فتحسَبه إهابةَ القَسر ليلاً حين تنتشر (٣)

وقال في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

مَن مُبلغٌ مَالكاً عني أبا حَسَنٍ فأرتحْ لخصمٍ هداك الله مظلومِ

---

(١) الجنان : الأمر الخفيّ . والورب : الفاسد .

(٢) المكنع : الذليل الحقير .

(٣) العزف : الصوت . والإهابة : مصدر أهاب بالشيء إذا دعاه . والقسر : اسم رجل كان راعياً لابن أحمر هذا . وتنتشر : تتفرق .

فلما أنشدتْ جميلةُ قصيدتَه في عمر بن الخطاب، قالت : والله لأعملنّ فيهــا لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلا بكى . قال إبراهيم : وصدقَتْ؛ والله ما سمعتُــه قطُّ إلا أبكاني؛ لأني أجد حين أسمعه شيئاً يضغط قلبي ويحرقه فلا أملك عيني، وما رأيتُ أحداً قطُّ سمعه إلا كانت هذه حالَه .

صوت

من المائة المختارة

يا دارَ عَبلةَ من مَشارقِ مَأسلِ دَرَس الشؤونُ وعهدُها لم يَنجلِ
فاستبدلتْ عُفرَ الظِّبــاء كأنما أبعارُها في الصيف حَبُّ الفُلفُلِ
تمشي النَّعـام به خلاءً حوله مَشيَ النصارى حول بيت الهيكل
إحذَر محلَّ السوء لا تحلُلْ بــه وإذا نَبا بــك منزلٌ فتحوَّلِ

الشعر، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق، لعَنترة بن شدّاد العبسيّ . وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع الينا؛ فذكر غــير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفاف البُرْجمي، إلا أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشكّ فيه . والغناء لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجلي، ولحنه المختــار، على ما ذكره أبو أحمد، من الثقيل الاول . وذكر ابن خُرداذبه أنّ لحن أبي دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى . وذكر إسحاق أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الاول المطلق في مجرى الوسطى، وأن فيه لأبي دُلَف لحناً ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى، وأن لابن سُرَيج في البيت الثاني ثقيلاً اول، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، وليس ممن يعتمد على قوله . وقــد ذكر يونس أيضاً أن فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته .

ذكر عنترة ونسبه وبعض أخباره

نسب عنترة :

هو عنترةُ بن شدّاد، وقيل : ابن عمرو بن شدّاد، وقيل : عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قُطيعة بن عَبس بن بَغيض بن الرَّيث بن غطفان بن سَعد بن قيس ابن عَيلان بن مُضر . وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلحاء؛ وذلك لتشقُّق شَفتيه . وأمّه أمَةٌ حبشية يقال لها زَبيبة، وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شدّاد، وكانوا إخوته لأمّه . وقد كان شدّاد نفاه مرّةً ثم أعترف به فألحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب أعترفت به وإلا بقي عبداً .

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه ابوه فكفته عنه فقال فيها شعراً :

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمد بن حَبيب، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشيبانيّ، قالا : كان عنترة قبل أن يدّعيه أبوه حرّشت عليه أمرأة أبيه وقالت : إنه يُراودني عن نفسي؛ فغضِب من ذلك شدّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرّحاً وضربه بالسيف؛ فوقعت عليه أمرأة أبيه وكفّته عنه . فلما رأت ما به من الجراح بكت — وكان أسمها سُميّة وقيل : سُهيّة — فقال عَنترة :

صوت

أمِن سُميَّة دمعُ العين مذروفُ ... لو أنّ ذا منكِ قبل اليوم معروفُ

كأنّها يوم صدّت ما تكلّمني ظَبيٌ بعُسفانَ[1] ساجي العين مطروفُ
تجلّلتني إذ أهوى العصا قِبَلي كأنها صَنمٌ يُعتادُ معكوف
العبدُ عبدُكُمُ والمالُ مالُكُم فهل عذابُك عنّي اليوم مصروف
تنسى بلائي إذا ما غارةٌ لَحِقتْ تخرُجُ منها الطُّوالاتُ السراعيف
يخرُجن منها وقد بُلّت رَحائلها بالماء تركُضها الشمُّ الغطاريف
قد أطعن الطعنةَ النجلاء عن عُرُضٍ تَصفرُ كفُّ أخيها وهو منزوف

غنى في البيت الاول والثاني عَلَوية، ولحنه من الثقيل الاول مطلق في مجرى البنصر، وقيل: إنه لإبراهيم. وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال: إنه لابن سُرَيج، وهو من منحول ابن المكيّ.

قوله «مذروف»: من ذَرَفت عينُه، يقال: ذَرَفت تَذرِفُ ذَرِيفاً وذَرفاً، وهو قَطرٌ يكاد يتصل. وقوله: «لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروف». أي قد أنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُنكره. «ساجي العين»: ساكنها. والساجي: الساكن من كل شيء. «مطروف»: أصابت عينَه طَرفةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. «تجللتني»: ألقت نفسها عليّ. و«أهوى»: اعتمد. «صنم يعتاد» أي يُؤتى مرّةً بعد مرّة. و«معكوف»: يُعكفُ عليه. و«السراعيف»: السِّراع، واحدتها سُرعوفة. و«الطُّوالات»: الخيل. والرحائل: السروج. والشمم: ارتفاع في الأنف. و«الغطاريف»: الكرام والسادة ايضاً. والغطرفة: ضرب من السير والمشي يُختال فيه. و«النجلاء»: الواسعة، يقال: سِنانٌ مِنجَلٌ: واسع الطعنة: «عن عُرُض» أي عن شِقٍّ وحَرف. وقال غيره: أعترِضه اعتراضاً حين أقتُله.

(١) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة.

سبب ادّعاء ابيه إياه :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثني عمي عن ابن الكلبيّ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتيبة قال قال ابن الكلبيّ :

شدّادٌ جدُّ عنترةَ غلَب على نسبه، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد؛ وقد سمعتُ من يقول : إن شدّاداً عمّه، كان نشأ في حِجره فنُسب اليه دون أبيه . قال : وإنما ادّعاه أبوه بعد الكِبَر؛ وذلك لأن أمّه كانت أمَةً سوداء يقال لها زَبيبة، وكانت العربُ في الجاهلية اذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمـةٍ استعبدوه . وكان لعنترة إخوةٌ من أمّه عبيدٌ . وكان سببُ ادّعاء أبي عنترةَ إياه أنّ بعض أحيـاء العرب أغاروا على بني عَبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً، فتبِعهم العَبسيّون فلَحِقوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترةُ يومئذٍ فيهم؛ فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترةُ . فقال عنترة : العبدُ لا يُحسِنُ الكرّ ، إنما يُحسِن الحِلابَ والصرّ . فقال : كرّ وأنت حرّ . فكرّ وهو يقول :

أنا الهجـينُ عَنتَرَهْ كلُّ امرئٍ يحمي حِرَهْ
أسودَه وأحمـرَه والشعَراتِ المُشعَره
الواردات مِشفَره

وقاتل يومئذٍ قتالاً حسناً، فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه .

وحكى غير ابن الكلبيّ أنّ السببَ في هذا أنّ عبساً أغاروا عـلى طيّئ، فأصابوا نَعَماً، فلما أرادوا القِسمة قالوا لعنترة : لا نَقسِم لك نصيباً مثل أنصبائنا لأنك عبد . فلما طال الخطبُ بينهم كرّت عليهم طيّئ؛ فاعتزلهم عنترة وقال : دُونَكم القومَ، فإنكم عَددُهم . واستنقذت طيّئ الإبل . فقال له أبوه : كرّ

يا عنترةُ . فقال : أوَ يُحسِنُ العبد الكرّ ! فقال له أبوه : العبدُ غيرُك، فاعترف به، فكرّ واستنقذ النَّعم، وجعل يقول :

أنا الهجينُ عنترهْ كلُّ امرئ يحمي حِرَهْ

الأبياتَ .

قال ابن الكلبيّ : وعنترةُ أحدُ أغرِبة العرب، وهم ثلاثة : عنترة وأمّه زبيبة وخُفاف بن عُمير الشريديّ وأمّه نُدبة، والسُّلَيك بن عُمير السعديّ وأمّه السُّلَكةُ، وإليهنّ يُنسبون . وفي ذلك يقول عنترة :

إني امرؤٌ من خير عَبسٍ مَنصِباً شَطري وأحمي سائري بالمُنصُلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظت أُلفِيتُ خيراً من مُعِمٍّ مُخوِلِ

يقول : إنّ أبي من أكرم عَبس بشطري، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أمّي فيه ضَربي بالسيف، فأنا خيرٌ في قومي ممن عمه وخاله منهم وهو لا يُغني غَنائي . وأحسب أن هذه القصيدة هي التي يُضاف اليها البيتان اللذان يُغنى فيهما، وهذه الأبيات قالها في حرب داحِس والغبراء .

قال أبو عمرو الشيبانيّ : غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قَيس بن زُهير، فانهزمت بنو عَبس وطلبتْهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، ولحقتهم كَبكبةٌ من الخيل، فحامى عنترةُ عن الناس فلم يُصَب مُدبِرٌ . وكان قيس بن زُهير سيّدهم، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذٍ، فقال حين رجع : والله ما حمى الناسَ إلا ابنُ السوداء . وكان قيس أكولًا . فبلغ عنترةَ ما قال؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التي يقول فيها :

صوت

بَكرتْ تخوّفني الحُتوفَ كأنني أصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعزِلِ

فأجبتُها أنّ المنيَّــةَ مَنهلٌ لا بدّ أن أُسقى بكأس المنهلِ
فاقْنَيْ حياءكِ لا أبا لــكِ واعلمي أني امرؤٌ سأمــوت إن لم أُقتلِ
إنّ المنيَّــةَ لو تُمَثَّلُ مُثِّلتْ مِثلي إذا نزلوا بضَنْــكِ المنزلِ
إني امرؤٌ من خــيرِ عَبسٍ مَنصِباً شَطري وأَحمي سائري بالمُنصُلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظتْ أُلفِيتُ خيراً من مُعِمٍّ مُخوِلِ
والخيــلُ تعلم والفوارسُ أنني فرّقتُ جمعهمُ بضربــةِ فيصلِ
إذ لا أبادر في المَضيق فوارسي أوَ لا أُوَكِّلُ بالرّعيــل الاولِ
إن يُلحَقوا أكْرُرْ وإن يُستَلحموا أشْدُدْ وإن يُلفَوا بضنكٍ أنزِلِ
حين النزولُ يكون غايةَ مثلنــا ويفِرّ كلُّ مُضلَّــلٍ مُستوهلِ[1]
والخيلُ ساهمــةُ الوجوهِ كأنما تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ
ولقد أبيتُ عــلى الطَّوى وأظَلُّه حتى أنالَ بــه كريمَ المأكلِ

عَروضه من الكامل . غنت في الأربعة الأبيات الاول والبيت الثـاني عَريبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشاميّ وابن المعتزّ وأبي العُبيس .

« الحتوف » : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف . « عن عَــرَض » أي ما يعرض منها . « بمعزل » أي في ناحية معتزلة عن ذلك . و « منهل » : مورد . وقوله : « فاقني حياءك » أي احفظيه ولا تضيِّعيه . و « الضَّنْــك » : الضيق . يقول : إن المنيَّة لو خُلقت مِثالًا لكانت في مثــل صورتي . و « المَنصِب » : الأصل . و « المُنصُل » : السيف ، ويقال مُنصَل أيضاً بفتح الصاد . وأحجمت : كَعَّتْ[2] . و « الكتيبة » : الجماعــة اذا اجتمعت ولم تنتشر . و « تلاحظت » : نظرتْ مَن يُقدِم على العدوّ . وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم الى بعض

---

(١) المستوهل : الضعيف الفزع .

(٢) كع : جبن وضعف .

بمُؤْخر العين . و « الفيصل » : الذي يفصِل بين الناس . وقوله : « لا أبادر في المضيق فوارسي » أي لا أكون اول منهزم ولكني أكون حاميتهم . و « الرعيل » : القطعة من كل شيء . و « يُستلحموا » : يُدركوا . والمُستلحَم : المُدرَك ؛ وأنشد الأصمعيّ :

نَجّى علاجاً وبِشراً كلُّ سَلهبةٍ[1] وأستلحم الموتُ أصحابَ البراذِينِ

و « ساهمة » : ضامرة متغيّرة، قد كَلَح فوارُسها لشدّة الحرب وهولها . وقوله : « ولقد أبيت على الطوى وأظله » . قال الأصمعيّ : أبيت بالليل على الطوى وأظلّ بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أي ما لا عيبَ فيه عليّ ، ومثله قوله : إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقُها طعاماً ولا شراباً أي لا أذوق فيها . والطوى : خَمصُ البطن، يقال : رجل طَيّان وطاوِي البطن .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدثنا ابن عائشة قال :

أنشِد النبيُّ صلى الله عليه وسلم قولَ عَنترةَ :

ولقد أَبيتُ على الطَّوى وأَظَلُّه حتى أَنالَ به كريمَ المأكلِ

فقال صلى الله عليه وسلم : « ما وُصِف لي أعرابيٌّ قطُّ فأحببت أن أراه إلا عنترةَ » .

كيف ألحق إخوته لأمه بنسب قومه :

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابي وأبي عُبيدة :

(١) السلهبة : الفرس الطويل، يطلق على الذكر والأنثى .

أن عنترة كان له إخوة من أمّه، فأحبَّ عنترةُ أن يدّعيهم قومُه ؛ فأمر أخاً له كان خيرَهم في نفسه يقال له « حنبل »، فقال له : أروِ مُهرَك من اللبن ثم مُرَّ به عليَّ عشاء، فاذا قلت لكم : مـا شأنُ مُهرِكم مُتخدِّداً[1] مهزولاً ضامراً، فاضرب بطنه بالسيف كأنك تُريهم أنك قد غضبتَ مما قلتُ . فمرّ عليهم، فقـال له : يا حنبل، ما شأنُ مهركم متخدّداً أعجرَ[2] من اللبن ؟ فأهوى أخـوه بالسيف الى بطن مُهره فضربه فظهر اللبن . فقال في ذلك عَنترةُ :

أبني زبيبةَ ما لِمُهرِكمُ مُتخدِّداً وبطونُـكم عُجرُ
ألكم بإيغال الوليدِ على أثَرِ الشِّياه بشدَّةٍ خُبْرُ

وهي قصيدة . قال : فأستلاطه[3] نفرٌ من قومه ونفاه آخرون . ففي ذلـك يقول عنترة :

ألا يا دارَ عَبلةَ بالطَّويِّ كرَجعِ الوَشمِ في كفِّ الهَديِّ[4]

وهي طويلةٌ يُعدِّد فيها بلاءه وآثاره عند قومه .

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب :

أخبرني عمي قال أخبرني الكُرانِيّ عن النَّضر بن عمرو عن الهيثم بن عَـدي قال : قيل لعنترة : أنت أشجعُ العربِ وأشدُّها ؟ قال لا . قيل : فبماذا شاع لك

---

(١) المتخدد : المهزول .

(٢) بطن أعجر : ملآن .

(٣) استلاطه قومه : ألصقوه بهم وادّعوه .

(٤) الطويّ : موضع .والهديّ : العروس .

هذا في الناس ؟ قال : كنت أُقدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزماً، وأُحجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزماً، ولا أدخلُ إلا موضعاً أرى لي منه مَخرَجاً، وكنتُ أعتمِد الضعيفَ الجبانَ فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلبُ الشُّجاع فأُثنّي عليه فأقتله .

أخبرني حبيب بن نَصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال :

قال عمر بن الخطاب للحُطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنا ألفَ فارس حازمٍ . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس بن زُهير فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه . وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نَحمِل اذا حمل ونُحجِم اذا أحجم . وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نُخالفه . وكان فينا عُروة بن الوَرد فكنّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدَقتَ .

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكريّ قال قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل عن أبي عبيدة وابن الكلبيّ قالا :

موته واختلاف الروايات في سببه :

أغار عنترةُ على بني نَبهان من طيّئ فطَرَدَ[١] لهم طريدةً وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول :

آثارُ ظُلمانٍ بقاعٍ مُحرب[٢]

قال : وكان زِرّ بن جابر النَّبهانيّ في فُتُوّة ، فرماه وقال : خذها وأنا ابن سَلمى، فقطع مَطاه؛ فتحاملَ بالرَّمية حتى أتى أهلَه؛ فقال وهو مجروح :

---

(١) طرد الطريدة : ساقها .

(٢) ظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام. والقاع: أرض سهلة مطمئنة تنفرج عنها الجبال والآكام.

وإنَّ أبنَ سَلمى عنده فأعلموا دَمي ... وهيهاتَ لا يُرجى أبن سلمى ولا دَمي
يحلُّ بأكناف الشِّعاب وينتمي ... مكانَ الثُّرَيَّا ليس بالمُتَهَضَّم
رماني ولم يَدهَش بأزرقَ لَهذَمٍ ... عشيَّةَ حلُّوا بين نَعفٍ[١] ومَخرِمِ

قال ابن الكلبيّ : وكان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص[٢] . وأما أبو عمرو الشيبانيّ فذكر أنه غزا طيّئاً مع قومه، فانهزمت عَبسُ، فخرّ عن فرسه ولم يَقدِر من الكِبَر أن يعود فيركب؛ فدخل دَغَلاً ، وأبصره رَبيئة[٣] طيّئ فنزل اليه، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله .

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسنّ وأحتاج وعجز بكِبَر سِنّه عن الغارات ، وكان له على رجل من غَطفان بَكرٌ، فخرج يتقاضاه إياه؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيف وهو بين شَرْجٍ[٤] وناظرة، فأصابته فقتلته .

قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال :

كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالي مَن لَقيتُ من فُرسان العرب ما لم يلقَني حُرّاها وهَجيناها . يعني بالحُرَّين عامرَ بن الطُّفيل وعُتيبةَ بن الحارث بن شِهاب، وبالعَبدين عنترة والسُّليكَ بن السُّلكة .

هذه اخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر .

* * *

(١) النعف : ما انحدر عن السفح وغلظ . والمخرم : منقطع أنف الجبل .

(٢) الأسد الرهيص : الذي لا يبرح مكانه كأنه رهص .

(٣) الربيئة : الطليعة .

(٤) شرج وناظرة : ماءان لبني عبس .

نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي :

وأما عبد قَيس بن خُفاف البُرجُميّ فإنّي لم أجد له خبراً أذكره إلّا ما أخبرني به جعفر بن قُدامة قال : قرأت في كتابٍ لأبي عثمان المازنيّ : كان عبد قَيس ابن خُفاف البُرجُميّ أتى حاتم طيّئٍ في دِماء حمَلها عن قومه فأسلموه فيها وعجَز عنها، فقال : والله لآتينّ مَن يحمِلها عنّي، وكان شريفاً شاعراً شُجاعاً؛ فقدِم على حاتم وقال له : إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها ، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدّمتُ مالي وأخّرتُ أهلي، وكنتَ أوثقَ الناس في نفسي . فان تحمّلتَها فكَم من حقٍّ قضيتَه وهمٍّ كفيتَه، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُم يومَك ولم أنس غدك؛ ثم أنشأ يقول :

حملتُ دماء للبراجِمِ جَمّةً ... فجئتُكَ لمّا أسلمتْني البراجمُ
وقالوا سَفاهاً لِمْ حملتَ دماءَنا ... فقلتُ لهم يكفي الحَمالةَ حاتم
متى آته فيها يَقُلْ لِيَ مرحباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتْكَ الأشائم
فيحملها عنّي وإن شئتُ زادني ... زيادةَ مَن حِيزتْ اليه المكارم
يعيش النَّدى ما عاش حاتمُ طيّئٍ ... وإن مات قامت للسخاء مآتم
يُنادينَ مات الجودُ معْكَ فلا نَرى ... مُجيباً له ما حام في الجوِّ حائم
وقال رجال أنهبَ العامَ مالَه ... فقلت لهم إني بذلك عالم
ولكنه يُعطى مِنَ اموال طيّئٍ ... إذا حلَق المالَ الحقوقُ اللوازم
فيُعطي التي فيها الغنى وكأنه ... لتصغيره تلك العطيّةَ جارم
بذلك أوصاه عَديٌّ وحشرَجٌ ... وسَعدٌ وعبدُ الله تلك القماقم

فقال له حاتم : إني كنتُ لأحِبّ أن يأتيني مثلُك من قومك، وهذا مِرباعي[1] من الغارة على بني تميم فخذه وافراً، فإن وَفى بالحمالة وإلا أكملتُها لك، وهي مائتا بعير

(١) المرباع : ما يأخذه الرئيس من الغنيمة خاصة دون أصحابه وهو ربع الغنيمة .

سوى نيبها وفصالها، مع أني لا أحب أن تؤبس[١] قومك بأموالهم . فضحك أبو جبيل وقال : لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا منكم، وأي بعير دفعته إلي وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء . فأخذها وزاده مائة بعير، وانصرف راجعاً الى قومه . فقال حاتم :

أتاني البرجمي أبو جبيل ... لهم في حمالته طويل
فقلت له خذ المرباع منها ... فإني لست أرضى بالقليل
على حال ولا عودت نفسي ... على علاتها علل البخيل
فخذها إنها مائتا بعير ... سوى الناب الرذية والفصيل
ولا من عليك بها فإني ... رأيت المن يزري بالجميل
فآب البرجمي وما عليه ... من أعباء الحمالة من فتيل
يجر الذيل ينفض مذرويه ... خفيف الظهر من حمل ثقيل

---

(١) تؤبس : توبخ وتؤنب .

ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عِجل بن لُجَيم بن صَعب بن عليّ ابن بكر بن وائل. ومحلّه في الشجاعة وعُلوّ المحلّ عند الخلفاء، وعِظَم الغَنـاء في المشاهد وحُسن الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظرائه. وذكرُ ذلك أجمع مما لا معنى له لطوله؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقنَع. وله أشعارٌ جيادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة. فمن جيّد شعره وله فيه صنعة قوله:

صوت

بنفسي يا جِنانُ وأنتِ منّي محلَّ الروح من جسد الجبانِ
ولو أنّي أقول مكانَ نفسي خشيتُ عليك بادرةَ الزمان
لإقدامي إذا ما الخيلُ حامت وهابَ كُماتُها حَرَّ الطِّعان

وله فيه لحن. وهذا البيت الاول أخذه من كلام إبراهيم النظّام.

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمـد بن الحسن بن الحَرُون قال:

لقي إبراهيم النظّام غلاماً حسنَ الوجه، فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنك لولا ما سَبق من قول الحكماء مما جعلوا بـه السبيل لمثلي الى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحدٍ أن يكبُر عن أن يسأل، كما أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول، لمَا أنبتُّ الى مخاطبتك ولا أنشرح صدري لمحادثتك، لكنه

سببُ الإخاء وعَقد المودّة، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان . فقال له الغلام — وهو لا يعرفه — : لئن قلتَ ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام : الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل الى ما قاربها بالموافقة؛ وكِياني مائلٌ الى كِيانك بكلّيّتي . ولو كان الذي أنطوى عليه عَرَضاً لم أعتدّ به وُدّاً، ولكنه جوهر جسمي؛ فبقاؤه ببقاء النفس، وعَدَمُه بعدَمها؛ وأقول كما قال الهذليّ :

فتيقَّني أن قد كلِفتُ بكم ثم أفعلي ما شئتِ من علمِ

فقال له النظام : إنما كلّمتك بما سمعتَ وأنت عندي غلام مُستحسَن؛ ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ معمرٍ وطَبقتِه في الجدَل لَمَا تعرّضتُ لك . قال أبو الحسن : ومن هذا أخذ أبو دُلَف قوله :

أُحبُّكِ يا جِنانُ وأنتِ مني محلَّ الرُّوح من جسد الجبان

ومن جيّد شعره وله فيه صنعة قوله :

صوت

في كلّ يومٍ أرى بيضاء طالعةً كأنما أُنبِتَتْ في ناظر البصرِ
لئن قصَصتُكِ بالمقراضِ عن بصري لَمَا قطعتُكِ عن هَمّي وعن فِكَري

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلَف يقول : حدثتني ظَبية جارية أبي قالت: إني لَمَعهُ ليلةً بالسرادِنِ[1] وهو جالسٌ يشرَب معي وعليه ثيابٌ ممسّكة، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّراة

(١) السرادن : موضع ببلاد فارس .

أطرافَ عسكره؛ فلبس الجَوشَنَ ومضى فقتَل وأَسَر وانصرف إليّ في آخر الليل وهو يغنّي – قالت: والشعر له –:

صوت

ليلتي بالسرادنِ كُلِّلتْ بالمحاسن
وَجوارٍ أوانسٍ كالظِّباء الشَّوادن
بُدِّلتْ بالمُسَكا تِ أَدْراعَ الجواشن

الشعر لأبي دُلَف. والغناء له رملٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر.

وقال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى في جملة مَن كان مع الإفشين خَيذَر بن كاوُوس لمّا خرج لمحاربة بابَك(١)، ثم تنكّر له؛ فوجّه يوماً بمن جاء به ليقتله. وبلَغ المعتصمَ الخبرُ، فبعث اليه بأحمد بن أبي دُواد وقال له: أدرِكْه، وما أراك تلحقه، فاحتلْ في خَلاصه منه كيف شئتَ. قال ابنُ أبي دُواد: فمضيتُ رَكضاً حتى وافيتُه، فاذا أبو دُلَف واقفٌ بين يديه وقد أخذ بيديه غلامان له تركيّان، فرميتُ بنفسي على البِساط، وكنت اذا جئته دعا لي بمُصلّى، فقال لي: سبحانَ الله! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت أجلستني هذا المجلسَ. ثم كلّمتُه في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له، فجعل لا يزداد إلّا غِلظةً. فلما رأيتُ ذلك قلت: هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفق به فلم ينفع، وليس إلا أخذُه بالرَّهبة والصِّدق؛ فقمتُ فقلت: كم تُراك قدرتَ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد! قد حملتُ اليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهاتِ الجوابَ! قال: فذلّ حتى لصِق بالأرض وبان لي الاضطرابُ فيه. فلما رأيتُ ذلك نهضتُ الى أبي دُلَف وأخذت بيده، وقلت له:

(١) هو بابك الخرّمي الطاغية الذي كاد أن يستولي على الممالك زمن المعتصم.

قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعل يا أبا عبد الله . فقلت : قد فعلتُ . وأخرجت القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ . فلما بَصُر بي قال : بك يا أبا عبد الله وَرِيَتْ زِنادي، ثم ردّ عليّ خبري مع الإفشِين حدساً بظنّه ما أخطأ فيه حرفاً؛ ثم سألني عما ذكره لي وهو كما قال، فأخبرتُه أنه لم يخطئ حرفاً .

قال عليّ بن محمد حدثني جدّي قال :

كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكاراً شديداً . فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَف يغني؛ فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك . فستر أحمدَ بن أبي دُواد في موضع وأحضر أبا دُلَف وأمره أن يغني، ففعل ذلك وأطال ؛ ثم أخرج أحمد بن أبي دُواد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه . فلما رآه أحمد قال له : سَوءةً لهذا من فِعل ! بعد هذه السّنّ وهذا المحلّ تضع نفسك كما أرى ! فخجِل أبو دُلَف وتشوّر[1]، وقال : إنهم أكرهوني على ذلك . فقال : هَبهُم أكرهوك على الغناء أفأكرهوك على الإحسان والإصابة !

سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه :

قال عليّ وحدثني جدّي : أنّ سبب مُنادمته للمعتصم أنه كان نديماً للواثق، وكان أبو دُلَف قد وُصف للمعتصم فأحب أن يسمعه، وسأل الواثقَ عنه؛ فقال : يا أمير المؤمنين، أنا على الفَصْد غداً وهم عندي . فقال له المعتصم : أجِبْ ألا تُخفي عليّ شيئاً من خبركم . وفُصِد الواثق ، فأتاه أبو دُلَف وأتته رسل الخليفة بالهدايا، وأعلمهم الواثق حضورَ أبي دُلَفَ عنده؛ فلم يلبث أن أقبل الخدَمُ يقولون : قد جاء الخليفة . فقام الواثق وكلّ مَن عنده حتى تلقَّوه حين برَز من الدِهليز الى

---

(١) تشوّر : خجل .

الصَّحن؛ فجاء حتى جلس، وأمر بندماء الواثق فرُدُّوا الى مجالسهم . قال حمدون : وخَنَستُ عن مجلسي الذي كنتُ فيه لحداثتي؛ فنظر المعتصم الى مكاني خالياً، فسأل عن صاحبه فسُمِّيتُ له، فأمر بإحضاري فرجعت الى مكاني، وأمر بأن يُؤتى برطل من شرابه فأُتي به؛ فأقبل على أبي دُلف فقال له : يا قاسم، غنِّ أمير المؤمنين صوتاً؛ فما حَصِر ولا تثاقلَ وقال : أُغني أمير المؤمنين صوتاً بعينه أو ما اخترته ؟ قال : بل غنِّ صنعتَك في شعر جرير :

بانَ الخليطُ برامَتَينِ فودَّعوا

فغنّاه إياه . فقال المعتصم : أحسن ! أحسن ! ثلاثاً، وشرب الرَّطل، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى والى بين سبعة أرطال، ثم دعا بحمار فركِبه، وأمر أبا دُلف أن ينصرف معه، وأمرني بالانصراف معهما؛ فخرجتُ أسعى مع رِكابه، فثُبِت في نُدمائه من ذلك اليوم، وأمر لأبي دُلف بعشرين ألف دينار .

نسبة الصوت الذي غنّاه أبو دلف

صوت

بان الخليطُ برامتَينِ فودَّعوا أوَ كلَّما اعتزموا لبينٍ تَجزَعُ
كيف العزاء ولم أجِد مذ غِبتُمُ قلباً يَقَرُّ ولا شراباً يَنقَعُ

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير، والغناء لأبي دُلف ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو بن بانة .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرديَّة يستخف مُطيعَ

ابن إياس، وكان منقطعاً اليه وله منه منزلةٌ حسنة . فذكر له مُطيع بن إياس حمّاداً الراوية، وكان مطَّرحاً مَجفُوًّا في أيامهم . فقال له : دَعني، فانّ دولتي كانت في بني أميَّة وما لي عند هؤلاء خير . فأبى مُطيع إلا الذهاب به اليه . فاستعار سواداً وسيفاً، ثم أتاه فدخل على جعفر فسلّم عليه وجلس . فقال له جعفر : أنشِدني . فقال : لمن أيها الأمير ؟ قال : لجرير . قال حماد : فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبي إلّا قولَه :

بانَ الخليطُ برامتين فودّعوا

فاندفعتُ أنشِده إياه حتى بلغتُ الى قوله :

وتقول بَوزَعُ قد دَبَبتَ على العصا ... هَلّا هَزِئتِ بغيرِنا يا بَوزَعُ

قال حمّاد فقال لي جعفر : أعِد هذا البيت فأعدتُه؛ فقال : إيش هو بَوزع ؟ قلتُ : اسم امرأة . قال : امرأةٌ اسمها بَوزع ! هو بريء من الله ورسوله ومن العباس بن عبد المطَّلب إن كانت بَوزع إلا غُولًا من الغِيلان ! تركتَني والله يا هـذا لا أنام الليل من فزع بَوزع ! يا غِلمان، قَفاه . قال : فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا . ثم قال : جُرُّوا برجله، فجُرُّوا برجلي حتى أخرِجتُ من بين يديه وقد تخرَّق السوادُ وأنكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرًّا عظيماً مما جرى من ذلك . وكان أغلظ من ذلك عليَّ غَرامتي السوادَ والسيف . فلما أنصرف اليَّ مُطيع جعل يتوجَّع لي . فقلت له : ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظِّي قد مضى مع من مضى من بني أمية !

رجع الحديث الى أخبار أبي دُلف .

وكان أبو دُلف جواداً ممدَّحاً؛ وفيه يقول عليّ بن جَبلة :

إنما الدُّنيا أبو دُلَفٍ ... بين مَغزاهُ ومُحتضَرهْ

وإذا وَلّى أبو دُلَــفٍ وَلّتِ الدُّنيا على أثَرِهْ

وهي من جيّد شعره وحَسَن مدائحه . وفيها يقول :

ذادَ وِردَ الغَيِّ عن صَدَرِهْ وأرعوى واللَّهوُ من وَطَرِهْ
نَدَمي أنَّ الشبابَ مضى لم أبلِّغــهُ مَدى أَشَرِهِ
حَسَرتْ عنّي بَشاشتُــه وذوى المحمودُ من ثمَرِه
ودَمٍ أهــدرتُ من رشإٍ لم يُرِد عَقلاً على هَدَرِه
فأتت دون الصِّبا هَنَــةٌ قلبتْ فُوقيَّ[1] عــلى وَتَرِه
دَعْ جَدا قحطانَ أو مُضَرٍ في يمانيــهِ وفي مُضرِه
وأمتدِحْ من وائلٍ رجلاً عُصُرُ الآفاقِ من عُصُرِه
ألمنــايا في مَقانِبِــهِ والعطــايا في ذَرا حُجَرِه
مَلِكٌ تندى أنامِلُــه كانبلاج النَّــوْء عن مَطَرِه
مستهِلٌّ عن مَواهِبِــه كابتسام الرَّوض عن زَهَرِه
جَبَــلٌ عزَّتْ مَناكِبُه أمِنتْ عدنانُ في ثَغَــرِه
إنما الدُّنيــا أبو دُلَفٍ بــين مَغزاهُ ومُحتضَرِه
فإذا وَلّى أبو دُلَفٍ وَلّتِ الدنيا عــلى أَثَرِه
كلُّ مَن في الأرض من عَرَبٍ بــين باديه الى حضَرِه
مستعيرٌ منه مَكرُمةً يــكتسيها يومَ مُفتخَرِه

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمونَ عــلى عليِّ بن جَبَلة حتى سَلَّ لسانه من قَفاه، وقولُه في أبي دُلَف أيضاً :

أنت الذي تُنزِل الأيّامَ منزِلَها وتنقُلُ الدهرَ من حالٍ الى حالِ
وما مددتَ مدى طَرْفٍ الى أحدٍ إلا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ

---

(١) الفوق من السهم : موضع الوتر .

وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار عليّ بن جبلة إن شاء الله تعالى؛ إذ كان القصد هاهنا أمرَ أبي دُلَف .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال :

كنّا عند أبي العباس المبرّد يوماً وعنـده فتًى من ولد أبي البَختري وهْب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه، وفتًى من ولد أبي دُلف العِجلي شبيه بـه في الجمال . فقال المبرّد لابن أبي البختريّ : أعرف لجـدّك قصّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسبَق اليها . قال : وما هي ؟ قال : دُعِي رجلٌ من أهـل الأدب الى بعض المواضع، فسقَوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم :

نَبيذانِ في مجلسٍ واحـدٍ ... لإيثار مُثرٍ عـلى مُقترِ
فلو كان فعلُك ذا في الطعامِ ... لَزِمتَ قياسَك في المُسكِرِ
ولو كنتَ تطلب شأوَ الكرام ... صنعتَ صنيعَ أبي البَختري
تتبّعَ إخوانَه في البـلاد ... فأغنى المُقِـلَّ عن المُكثِرِ

فبلغت الأبياتُ أبا البختريّ فبعث اليه بثلثمائة دينار . قال ابن عمّار : فقلت : قد فعل جَدُّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا . قال : وما فعل ؟ قلت : بلغه أنّ رجلًا افتقر بعد ثروة، فقالت له امرأته : افترِض في الجند؛ فقال :

إليكِ عنّي فقـد كلّفتِني شَططاً ... حَمْلَ السلاحِ وقيلَ الدارعين قِفِ
تَمشي المنايا الى غيري فأكرَهُها ... فكيف أمشي اليها عاريَ الكتِفِ
حَسِبتِ أنّ نفـادَ المال غيّرني ... وأنّ روحيَ في جَنبَي أبي دُلَفِ

فأحضره أبو دُلف ثم قال له : كم أمّلتِ امرأتُك أن يكون رزقُك ؟ قال : مائة دينار . قال : وكم أمّلتَ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لـك عليّ على ما أمّلت امرأتُك في مالنا دون مال السلطان ؛ وأمر باعطائه إياه . قـال : فرأيتُ وجهَ ابن أبي دلف يتهلّل، وانكسر ابن أبي البختريّ انكساراً شديداً .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال:

قال عليّ بن جَبَلة: زرتُ أبا دُلف بالجبل[1]، فكان يُظهر من إكرامي وبِرّي والتحفّي بي أمراً مُفرطاً، حتى تأخرتُ عنه حيناً حياء. فبعث إليّ مَعقِلَ بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعتَ عنّي، وأحسبك استقللتَ بِرّي بك، فلا يُغضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلّا إفراطه في البِرّ، وكتبت اليه:

هجرتُكَ لم أهجُركَ من كفر نعمةٍ ... وهل يُرتجى نَيلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنني لمّا أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكر
فمِ الآنَ لا آتيك إلا مُسلِّماً ... أزورُك في الشهرين يوماً أو الشهر
فإن زدتني بِرّاً تزايدتُ جفوةً ... ولم تلقَني طولَ الحياةِ الى الحشر

فلمّا قرأها مَعقِل استحسنها جِداً وقال: أحسنتَ والله! أما إنّ الأمير لتُعجبه هذه المعاني. فلما أوصلها الى أبي دُلف قال: قاتله الله! ما أشعره وأدقّ معانيَه! فأعجبتْه فأجابني لوقته — وكان حسنَ البديهة حاضرَ الجواب —:

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسطتُه ... وآنسته قبل الضِيافة بالبِشرِ
أتاني يُرجّيني فما حال دونه ... ودون القرى والعُرفِ من نائلي سِتري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقصدِه ... إليّ وبِراً زاد فيه على بِرّي
فزوّدته مالاً يَقِلّ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر

قال: وبعث إليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليّ بألف دينار؛ فقلت حينئذٍ:

---

(١) بلاد الجبل: مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم.

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ

الأبيات .

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خَلَف قال :

بينا أبو دُلَف يسير مع مَعقِل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مَرّا بقصر، فأشرفت منه جاريتان؛ فقالت إحداهما للأخرى : هذا أبو دُلف الذي يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ .

فقالت الأخرى : أوَ هذا ! قد والله كنتُ أحبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه . فالتفت أبو دُلف الى مَعقِل فقال : ما أنصفنا عليُّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقّه، وإن ذلك لمن كبير همّي . قال : وكان أعطاه ألفَ دينار .

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

أمّا القَطاةُ فإنّي سوف أنعتُها نعتاً يُوافق منها بعضَ ما فيها
سَكّاءُ[1] مخطوبةٌ[2] في ريشها طَرَقٌ صُهبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافيها

عروضه من البسيط . والشعر مختلف في قائله، ينسب الى أوس بن غَلفاء الهُجَيمي

(١) السكك : صغر الأذن ولصوقها بالرأس .

(٢) المخطوبة : التي على لون الحنظلة اذا أخطبت أي اصفرّت وصارت فيها خطوط خضر . والطرق في الريش : أن يكون بعضه فوق بعض كأن الأعلى يلبس الأسفل . والصهبة : لون يضرب الى الحمرة أو الى الشقرة .

والى مُزاحِم العُقيلي والى العبّاس بن يزيد بن الأسود الكِندي والى العُجير السَّلولي والى عمرو بن عُقيل بن الحجّاج الهُجيمي وهو أصح الأقوال ؛ رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي . وعلى أنّ في هذه الروايات أبياتاً ليست مما يُغنى فيه وأبياتاً ليست في الرواية . وقد رُوِي أيضاً أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هـذه الأبياتَ فقال كل واحد منهم بعضاً . وأخبارُ ذلك وما يُحتاج اليه في شرح غريبه يُذكر بعد هذا . والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيفُ ثقيلٍ اول بالوسطى . وفي هذين البيتين مع أبيات أُخر من القصيدة اشتراكٌ كثيرٌ بين المغنّين يتقدّم بعض الابيات فيه بعضاً ويتأخّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره . والأبياتُ تُكتب هاهنا ثم تُنسَب صنعةُ كلِّ صانع في شيء منها اليه ؛ وهي بعد البيتين الأوّلين، إذ كانا قد مضيا وأُستُغني عن إعادتهما :

لمّا تبدّى لها طارت وقد علمتْ ... أنْ قد أظل وأنّ الحيّ غاشيهاَ
تَشتق[1] في حيث لم تُبعِد مُصعِدةً ... ولم تُصوِّبْ الى أدنى مَهاويها
تَنتاشُ صفراء مطروقاً بقيّتُها ... قد كاد يأزِي عن الدُّعموصِ آزيها
ما هاج عينَك أمْ قد كاد يُبكيها ... من رَسمِ دارٍ كسَحقِ[2] البُردِ باقيها
فـلا غنيمةَ تُوفي بالذي وَعدتْ ... ولا فؤادُك حتى المـوتِ ناسِيها

لنشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في « أمّا القطاة » والذي بعده، و « تنتاش صفراء » خفيف ثقيـل بالبنصر عن عمرو . ولإبراهيم الموصلي في « لما تبدّى لها » و « أمّا القطاة » خفيف رمل عن الهشامي . ولعمر الوادي في « أمّا القطاة » ثقيلٌ بالوسطى . ولابن جامع في « لما تبدّى لها » وبعده « أمّا القطاة » خفيفُ رمل . ولسِياط في الاول والثاني

(١) تشتق : تقطع .

(٢) السحق : الثوب البالي .

وبعدهما «تشتق في حيث لم تبعد» خفيفُ ثقيل بالبنصر، ومن الناس من ينسُب لحنَه الى عمر الواديّ وينسب لحن عمر اليه . ولعلّويه في «أمّا القطاة» والذي بعده رَمَلٌ هو من صدور أغانيه ومُقدّمها . فجميع ما وجدُته في هذه الأبيات من الصنعة أحدَ عشرَ لحناً .

تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة :

فأمّا خبر هذا الشعر، فإن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجير السّلوليّ وأوس بن غَلفاء الهُجيميّ ومُزاحماً العقَيليّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكِنديّ وحُميدَ بن ثور الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه . ومرّ بهم سِرْبُ قطاً ؛ فقال أحدهم : تعالَوا حتى نَصفَ القَطا ثم نتحاكم الى من نتراضى به، فأيُّنا كان أحسن وصفاً لها غلَب أصحابَه ؛ فتراهنوا على ذلك . فقال أوس بن غَلفاء الأبيات المذكورة وهي «أمّا القطاة» . وقال حُميد أبياتاً وصف ناقته فيها، ثم خرج الى صفة القطاة فقال :

كما أنصلتت[١] كدراءُ تسقي فِراخَها ... بِشَمظة[٢] رِفهاً والمياهُ شُعوبُ
غدت لم تُباعِدْ في السماء ودونَها ... اذا ما علتْ أهوِيَةٌ[٣] وصُبوب
قرينةُ سَبعٍ إن تواترن[٤] مَرّةً ... ضَرَبْن فصفّت أرؤسٌ وجُنوب
فجاءت وما جاء القطا ثم قلّصت[٥] ... بمَفحَصِها والوارداتُ تَنوب

(١) انصلتت : أسرعت في السير .

(٢) شمظة : أقصر الورد، وهو أن ترد الابل الماء كل يوم أو متى شاءت. والشعوب : البعيدة.

(٣) الأهوية : الهاوية . والصبوب : منحدر الوادي .

(٤) التواتر : التتابع

(٥) قلصت : انضمت وانزوت . والمفحص : مجثم القطاة .

وجاءت ومَسقاها الذي وردت به ... الى الصدر مشدودُ العِصامِ[1] كَتيبُ
تُبادر أطفالًا مساكينَ دونها ... فَلا لا تَخطّاه العيونُ رَغيب[2]
وصَفنَ لها مُزنًا بأرض تَنوفةٍ[3] ... فما هي إلا نَهلةٌ وتؤوب

وقال العباس بن يزيد بن الأسود – هكذا ذكر ابن الكلبي، وغيره يرويها لبعض بني مُرّة –:

حذّاء[4] مُدبِرةً سكّاء مقبلةً ... للماء في النحر منها نَوطةٌ[5] عَجَبُ
تَسقي أُزَيغِبَ تُرويه مُجاجتها[6] ... وذاك من ظَماءةٍ من ظِمئها[7] شَرَب
مُنهرِت الشِدقِ لم تَنبُتْ قوادِمُه ... في حاجب العين من تسبيده[8] زَبَب
تدعو القَطا بقصير الخطو ليس له ... قُدّام مَنحرِها ريشٌ ولا زَغَب
تدعو القَطا وبه تُدعى اذا انتسبتْ ... يا صِدقَها حين تدعوه وتنتسب

وقال مُزاحِم العُقَيلي:

أذلكَ أم كُدرِيّةٌ هاج وِردَها ... من القيظ يومٌ واقِدٌ وسَمومُ

---

(١) العصام: حبل تشدّ به القربة. وكتيب: مخروز.

(٢) رغيب: واسع.

(٣) التنوفة: الأرض القفر.

(٤) الحذاء: القصيرة الذنب.

(٥) النوطة: الحوصلة.

(٦) المجاجة: الريق.

(٧) الظمء: ما بين الشربين والوردين.

(٨) التسبيد: أوّل ظهور ريش الفرخ. والزبب: كثرة الزغب.

غدت كنواة القَسبِ[1] لا مُضمحِلَّةٌ وناةٌ[2] ولا عَجلى الفُتورِ سئومُ
تُواشِكُ رَجعَ المَنكِبينِ وترتمي الى كَلكَلٍ للهادياتِ[3] قَدومِ
فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها وفي الضُحى قد مال فهو ذميمِ
أباطِح وانتصَّتْ على حيث تستقي بها شرَكٌ للوارداتِ مُقيمِ
سقتها سيولُ المُدجِناتِ فأصبحت عَلاجيمَ تجري مرّةً وتدومُ[4]
فلما استقتْ من بارد الماء وانجلى عن النفس منها لوحةٌ[5] وهمومِ
دعتْ باسمها حينَ استقتْ فاستقلّها قَوادِمُ حُجنٌ[6] رِيشُهنَّ مليمِ
بجوزٍ كحُقِّ الهاجريّةِ[7] زانَه بأطراف عودِ الفارسيِّ وُشومِ

— يعني حُقَّ الطيب . شبّه حوصلتها به . والوشوم يعني الشِيَة التي في صدرها — :

لتسقيَ زُغباً بالتَّنوفةِ لم يكن خِلافَ مُوَلّاها لهنَّ حميمُ
تَرائكَ بالأرضِ الفَلاة ومن يَدعْ بمنزلها الأولادَ فهو مُلِيمِ
اذا استقبلتْها الريحُ طَمَّتْ[8] رفيقةً وهُنَّ بمهوًى كالكُراتِ جُثومِ

---

(١) القسب : تمر يابس يتفتت في الفم صلب ونواة شديد قوي .

(٢) الوناة : البطيئة القيام والقعود .

(٣) الهادية : المتقدّمة .

(٤) المدجنات : السحائب الدائمة المطر . والعلاجيم : جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير . وتدوم : تسكن .

(٥) اللوحة : العطشة .

(٦) حجن : عوج .

(٧) الهاجرية : المرأة الحضرية .

(٨) طمت : أسرعت .

بدعوى القطا لحنٌ لهنّ قديمُ ... يُراطِنّ وَقصاءَ[1] القفا وَحشةَ الشّوى
عليهن شِربٌ فأستقَين مُنيم ... فبِتنَ قريرات العيونِ وقد جرى
مُعاوِدةٌ سَقيَ الفِراخ رَؤوم ... صَبيبُ سِقاءٍ نِيطَ قد بَرِكت به

وقال العُجَير – فيما روى ابن الكلبي، وقد تُروى لغيره – :

قَطاةَ مُزاحِمٍ ومَن انتحاها ... سأغلِبُ والسماءِ ومَن بناها
على حُوزيَّةٍ صُلبٍ شَواها ... قَطاةَ مُزاحِمٍ وأبي المُثنّى
أمام مُجاجِلٍ[3] زَجِلٍ نَفاها ... غدتْ كالقَطرةِ السَّفواءِ[2] تَهوي
أبالموماةِ أضحت أم سِواها ... تَكفّأ كالجُمانةِ لا تُبالي
وتَنبِسُ[5] للتقتُّلِ مَنكِباها ... نبتْ منها العَجيزةُ فأحزألّتْ[4]
كساها الرّازِقيّةَ[6] مَن بَراها ... كأنّ كعوبها أطرافُ نَبلٍ

قال : واحتكموا الى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأوس بن غَلفاء.

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعنَب بن مُحرزِ الباهليّ قال حدثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُمَيد بن ثور

---

(١) الوقصاء : القصيرة .

(٢) السفواء : السريعة .

(٣) المجلجل من السحاب : الذي فيه صوت الرعد . وغيث زجل : لرعده صوت .

(٤) احزألت : ارتفعت .

(٥) تبس : تحرّك . والتقتل : التثني والتبختر .

(٦) الرازقية : ثياب كتان بيض .

والعُجَيْر السَّلوليّ ومُزاحِم العُقيليّ وأوس بن غَلفاء الهُجيميّ أنهم تحاكموا الى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيّهم أحسنُ وصفاً لها؛ فقالت:

ألا كلُّ ما قال الرُّواة وأنشدوا بها غيرَ ما قال السَّلوليّ بَهْرَجُ

وحكمتْ له. فقال حُميد بن ثَور يهجوها:

كأنّكِ وَرهاءُ[1] العِنانَين بغلةٌ رأت حُصُناً فعارضتْهن تَشحَجُ

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عُبيدة مذكورةً عن دَماذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَيْر فأنشده:

تجوبُ الدُّجى سَكّاً من دون فَرخها بمَطلى أَريكٍ نَفنَفٌ[2] وسُهوبُ
فجاءت وقَرنُ الشمسِ بادٍ كأنّه هِجانٌ بصحراء الخُبَيبِ[3] شَبُوبُ
لِتَسقيَ أفراخاً لها قد تبلّلتْ حلاقيمُ أسماطٌ[4] لها وقلوبُ
قِصارُ الخُطا زُغبُ الرؤوسِ كأنها كُراتٌ تَلَظّى مرّةً وتَلوبُ[5]

فأمّا ما ذكرتُ من رواية ثَعلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أن أبا الحُضَير أنشده لعمرو بن عُقيل بن الحَجّاج الهُجيميّ:

---

(١) الورهاء: الخرقاء.

(٢) المطلى: مسيل ضيق من الأرض. وأريك: واد بديار بني مرة. والنفنف: المفازة. والسهوب: الفلوات.

(٣) هجان: أبيض. الخبيب: جبل من رمل لاطىء بالأرض. وشبوب: تجاوز رجلاه يديه في العدو.

(٤) حلاقيم أسماط أي لا سمة فيها.

(٥) تلوب: تعطش.

أما القطاةُ فإني سوف أنعتُهـا نعتاً يُوافِق نعتي بعضَ ما فيها
صفراء مطروقةٌ في ريشِها خَطَبٌ صُفرٌ قوادُمها سُودٌ خوافيها
مِنقارُها كنَواة القَسبِ قلَّمَهـا بمِبرَدٍ حاذقُ الكفَّين يَبريها
تمشي كمَشْيِ فتاةِ الحيّ مسرعةً حذارَ قـومٍ الى سِترٍ يُواريها

— قال الأصمعيّ : مطروقة يعني أنّ ريشها بعضه فـوق بعض . والخَطَب : لون الرماد، يقال للمشبَّه به أخطب — :

تَنتاشُ صفراء مطروقاً بقيَّتُهـا قد كاد يَأزي عن الدُّعموص آزيها

— تنتاش : تتناول بقية من الماء . والمطروق : الماء الذي قد خالطـه البول . وقوله : يأزي أي يَقِلّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته . والدعموص : الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص — :

تَسقي رَذِيَّيـنِ بالمَوماةِ قُوتُها في ثُغرةِ النَّحرِ من أعلى تَراقيها

— الرذيّ : الساقط من الضعف . يعني فرخيها — :

كأنّ هَيدَبةً(١) من فوق جُؤجُئها أو جِروُ حَنظلةٍ لم يعدُ راميها

— جرو الحنظل : صغاره . وقوله : لم يعدُ من العَداء، أي لم يعد عليها فيكسرها — :

تَشتقّ من حيث لم تُبعِد مُصعِدة ولم تُصوِّبْ الى أدنى مَهـاويها
حتى إذا استأنسا للوقت واحتَضَرت(٢) تَوجَّسا الوَحيَ منها عند غاشِيها

---

(١) الهيدبة : خمـل الثوب .

(٢) احتضرت : حضرت .

– ويروى : حتى اذا استأنسا للصوت . وتوجسا : تسمّما . وَحيها أي سُرعة طيرانها . وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي اليها – :

تَرَفَّعا عن شؤون غير ذاكيةٍ على لديدَيْ أعالي المهدِ أُدحيها[١]

– الذاكية : الشديدة الحركة . والمهد : أخوصها . ولديداه : جانباه – :

مَدّا إليها بأفواهٍ مُزَيَّنةٍ صُعْداً ليستنزلا الأرزاقَ مِن فِيها
كأنها حين مَدّاها لجنأتها طَلى بَواطنَها بالوَرسِ طاليها

– جنأتها أي جنأت عليها بصدرها لتَزُقَّها – :

حِثْلَينِ رَضّا رُفاضَ البَيضِ عن زَغَبٍ وُرْقٌ[٢] أسافلُها بيضٌ أعاليها

– حِثلَين : دقيقين ضاويين . رَضّا : كسرا . والرُّفاض : ما أُرفضَ وتفرّق – :

تَرَأَّدا حين قاما ثُمّتَ احتطبا على مخائفَ مُنآدٍ مَحانيها

– ترأدا : تثنيا . واحتطبا : دنَوا . والمنآد : المنعطف . ومَحانيها : حيث انحنت – :

تكاد من لينها تنآد أسوُقها تأوُّدَ الزُّبْلِ[٣] لم تعرِمْ نواميها

– تعرم : تشتد . ونواميها : أعاليها – :

---

(١) الأدحي : موضع البيض الذي يفرخ فيه .

(٢) الورقة : سواد في غبرة .

(٣) الزبل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تقطرت بورق أخضر من غير مطر .

لا أشتكي نَوشةَ[1] الأيام من وَرَقي ... إلا الى مَن أرى أن سوف يُشكيها[2]
لِدِلِهم مأثُراتٌ قد عُدِدن له ... إن المآثِرَ معدودٌ مَساعِيها
تَنمي به في بني لأيٍ دَعائمُها ... ومن جُمانة لم تخضَع سَواريها
بنى له في بيوت المجد والدُه ... وليس مَن ليس يَبنيها كبانيها

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضُّبَعيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعي شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محلِّم مثل رواية ثعلب وزاد فيها: قال أبو محلِّم: جُمانة ابن جرير بن عبد ثَعلبة بن سَعد بن الهُجَيم، وهم أخوال دِلِهم هذا الممدوح. ودلهم من بني لأي ثم من بني يزيد بن هِلال بن بَذل بن عَمرو بن الهيثم، وكان أحدَ الشُّجعان، وهو قتل الضحّاك بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمد ليلة كَفَرتُوثا[3].

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

أيها القلبُ لا أراك تُفيق ... طالما قد تعلقتك العُلوق[4]
من يكن من هوى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيق
قُدِّرَ الحبُّ بيننا فالتقينا ... وكِلانا الى اللقاء مَشوق

(١) النوش: التناول.

(٢) يشكيها: يريد ينصف منها ويزيل أسباب شكواها.

(٣) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة.

(٤) العلوق: جمع علق، كأسود وأسد، وشجون وشجن. والعلق: الهوى والحب.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره . والغنـاء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجـرى البنصر عن إسحاق . وفيه لاَبن سُريج ثقيل اول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه أيضاً لمخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه لعَلّويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ . وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر، ولا أعلم له خبراً فأذكُرَه .

صوت

من المائة المختارة

من لِقلبٍ أضحى بكم مُستهاماً ... خائفاً للوُشاةِ يُخفِي الكلاما
إنّ طَرْفِي رسولُ نفسي ونفسي ... عن فؤادي تقرا عليك السلاما

لم يقع الينا قائل الشعر فنذكرَ خبره . والغناء لرياض جارية أبي حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى . وكان أبو حمّاد هذا أحد القوّاد الخُراسانية ومن أولاد الدُّعاة، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرّه ويُهاديه، فأخذت رياض عنـه غناء كثيراً ؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية؛ وأحبّ إسحاق أن ينوّه باسمها ويرفـعَ من شأنها، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاء لحقّ مولاها . وليس فيما قلتُـه في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصّب له مثـل مُتَيَّم وأبي دُلَف وغيرهم . ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحّة ما قلناه . وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهرت ولا رُوِي لها خبر .

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

راح صحبي وعاود القلبَ داء من حبيبٍ طلابُه لي عَناء
حَسَنُ الرأي والمواعيدِ لا يُلـــفى لشيء مما يقول وفاء
مَن تعزَّى عمن يحبّ فإني ليس لي ما حَييتُ عنه عزاء
أمْ عثمان قد قتلتِ قتيـــلا عَمْدَ عَينٍ قتلتِهِ لا خطاء

لم يقع الينا قائل هذا الشعر فنذكره . والغناء لنافع بن طُنبورة، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل اول بالسبّابة في مجرى الوسطى . وفي هـذا الشعر لحنٌ لعبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ من جيّد صَنعته، وكان نسبه الى لَمِيسَ جاريته، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا . وكان نافـع بن طُنبورة يُكنى أبا عبد الله، مُغنٍّ محسنٌ من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقّب نَقشَ الغَضار لحسن وجهه . وجعلته جميلة في المرتبة، لمّا اجتمع المغنّون اليها، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أبي السَّمح . وغنّاها يومئذٍ :

يا طُولَ ليلي وبتُّ لم أنَمِ وِسادِيَ الهمُّ مُبطِنٌ سَقَمِي
أنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ وأبـــصرتُ رَقاشاً فليتَ لم أقُمِ

فقالت جميلة : أحسنت والله يا نَقشَ الغَضار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيـــان ! ولم يفارق ابن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء، ولا انتجعهم بصنعة تحتمل ذكره .

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

عَتَقَ الفؤادُ من الصِّبا ومن السَّفاهة والعَلاقِ

وحططتُ رحلي عن قَلُو صِ الغيِّ في قُلُص عِتاقِ
ورفعت فضلَ إزاري ألـــمَجرور عن قدمي وساقي
وكفَفتُ غَربَ النفسِ حتى ما تتوقُ الى مَتاقِ

الشعر لسَعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت . والغناء لأبن عَبّاد الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الاول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل : إنه لغيره .

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

وقد مضى نسبُهُ في نسب جدّه حسّان بن ثابت متقدّماً. وهو شاعر من شعراء الدولة الأُمويّة، متوسطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد الى الخلفاء من بني أميَّة فمدحهم ووَصَلوه. ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثني أبو عمرو الخصّاف عن العُتبيّ قال:

خرج سَعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش الى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم مُعاونتَه، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن يزيد قد طلّق امرأته العثمانية ليتزوّج أختَها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوّجه. فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعِي اليه؛ فلما جاءه قال: أنت ابن عبدِ الرحمن بن حسّان؟ قال: نعم أيها الأمير. فقال له: ما أقدمَكَ؟ قال: وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحِبتُهم من أهله، فلم أنل منه حُظوةً ولا قبولاً. قال: لكنك تجد عندي ما تُحِبّ، فأقِمْ حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل الى هشامٍ وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل اليه، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشِدني قصيدةً بلغتني لك فشوّقتني اليك، وغُنّيتُ في بعضها فلم أزل أتمنى لقاءك. فقال: أيّ قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك:

أبائنةٌ سُعدَى ولم تُوفِ بالعهدِ ... ولم تَشفِ قلباً تيّمته على عَمْدِ
نعَم أفَمُودٍ أنت إن شَطّتِ النوى ... بسُعدى وما من فُرقةِ الدهر من رَدّ

كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه فَم ِالآنَ أعلِنْ ما تُسِرّ من الوجدِ
لعلك منها بعد أن تشحَطَ النوى مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عَجلانَ من هند
فوَيلُ ابنِ سَلمى خُلّةً غـيرَ أنها تُبلِّغ مني وهي مازحةٌ جِدّي
وتدنو لنا في القول وهي بعيدةٌ فما إن بسَلمى من دُنُوٍّ ولا بُعد
ومهما أكُن جَلـداً عليه فإنّني على هَجرِها غيرُ الصَّبورِ ولا الجَلْد
إذا سُمتُ نفسي هجرَها قُطِعت به فجانبتُه فيما أُسِرّ ومـا أُبدي
كأنّي أرى في هجرها أيَّ ساعةٍ هَممتُ به، موتي وفي وصلها خُلدي
ومن أجلِها صافَيتُ مَن لا تُرِدُّني عليه له قُربى ولا نعمةٌ عندي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القذى يقولون أقوالًا أمَضُّوا بها جِلدي
وأقصيتُ مَن قد كنتُ أُدني مكانَه وأدنيتُ من قد كنتُ أُقصيتُه جَهدي
فإن يَكُ أمسى وصلُ سلمى خِلابةً فما أنا بالمفتونِ في مثلِهـا وحدي
فأصبحَ مـا مَنّتكَ دَيناً مُسوَّفاً لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحد
تجود بتقريبِ الـذي هو آجلٌ من الوعد ممطولٌ وتبخَل بالنَّقد
وقد قلت إذ أهدَت الينا تحيّةً عليها سلامُ اللهُ من نازحٍ مُهدي
سقى الغيثُ ذاكَ الغورَ ما سكنت به ونجداً إذا صارت نَواها الى نجد

قال: فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها. ثم قال له: لن تحتاج الى رِفد أحد ولا معونتِه ما بَقيتَ، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: إبعَث بها الى أهلك وأقم عندي، فلن تعدَم ما تُحبّه ما بَقيت. فلم يزل معه زماناً، ثم استأذنه وانصرف. وفي بعض هذه الأبيات غناء نسبتُه:

صوت

أبائنةٌ سُعدى ولم توفِ بالعهدِ ولم تَشفِ قلباً أقصدَته على عَمْدِ
ومهما أكن جلداً عليه فإنني على هجرها غيرُ الصَّبور ولا الجلدِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل اول بالوسطى عن الهشامي. ومن هذه القصيدة:

صوت

يقولون أقوالاً أمضّوا بها جِلدي وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القذى
فجانبتُه فيما أُسِرُّ وما أبدي إذا سُمتُ نفسي هجرَها قُطِعت به

الغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

قصته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحّاك بن عثمان قالا:

وفد سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه؛ فاختلف الى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأراده على نفسه، وكان لُوطيّاً زِنديقاً؛ فدخل سعيد على هشام مُغضَباً وهو يقول:

إنـه والله لولا أنت لم ينجُ مني سالماً عبدُ الصَّمدْ

فقال له هشام: ولماذا؟ قال:

إنه قد رام مني خُطّـةً لم يَرُمها قبله مني أحـدْ

فقال: وما هي؟ قال:

رامَ جهلاً بي وجهلاً بأبي يُدخِلُ الأفعى الى خِيسِ الأسَدْ

قال : فضحِك هشامٌ وقال له : لو فعلتَ به شيئاً لم أنكر عليك .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدثني عمر بن شَبَّة قال أخبرنا ابن عائشة لا أعلمه إلا عن أبيه قال :

سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان صديقاً له حاجةً – وقال هاشم بن محمد في خبره : سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم حاجةً – يكلِّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقضِها له ، ففزِع فيها الى غيره فقضاها ؛ فقال :

سُئلتَ فلم تفعل وأدركتُ حاجتي تولّى سواكم حمدَها واصطناعَها
أبى لك كَسْبَ الحمد رأيٌ مُقصِّرٌ ونفسٌ أضاق الله بالخير باعَها
إذا ما أرادته على الخير مرّةً عصاها وإن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعها

قال ابن عمّار : وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ سليمان بن أبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبراً .

مدح عديّ بن الرِّقاع شعره :

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ عن ابن عائشة قال :

قال رجلٌ من الأنصار لعَدِيّ بن الرِّقاع : أكْتِبني شيئاً من شعرك . قال : ومن أيِّ العرب أنت ؟ قال : أنا رجل من الأنصار . قال : ومَن منكم القائل :

إنّ الحمامَ الى الحجاز يَهيجُ لي طَرَباً تَرَنُّمُهُ إذا يترنّمُ
والبرقُ حين أَشِيمُه مُتيامِناً وجنائبُ الأرواحِ حين تنسَّمُ

فقال له : سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال : عليكم بصاحبكم فاكتُب شعره ، فلستَ تحتاج معه الى غيره .

وفي اول هذه القصيدة غناء نِسبتُه :

صوت

بَرِحَ الخفاء فأيّ ما بك تَكتُمُ والشوقُ يُظهِرُ ما تُسِرّ فيُعلَمُ
وحملتَ سُقماً من علائق حبّها والحبُّ يَعلَقُه الصحيحُ فيَسقَمُ

الغناء لَحكَم خفيفُ رمَلٍ بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكره إبراهيم له ولم يجنّسه .
وفي هذه القصيدة يقول :

علويّةٌ أمستْ ودون وِصالِها مضمارُ مصرَ وعابدٌ(١) والقُلزُمُ
خَودٌ تُطيفُ بها نواعمُ كالدُّمى مما اصطفى ذو النِّيقةِ(٢) المتوسِّم
حُلِّينَ مرجانَ البحورِ وجوهراً كالجمر فيه على النحور يُنظَّم
قالت وماء العين يغسِل كحلَها عند الفِراق بمستهلٍّ يَسجُم
يا ليتَ أنك يا سعيدُ بأرضنا تُلقي المَراسِيَ ثاوياً وتُخيِّم
فتُصيبَ لذّةَ عيشِنا ورخاءه فنكون أجواراً فماذا تَنقِم
لا تَرجِعنّ الى الحجازِ فإنّه بلدٌ به عيشُ الكريم مُذمَّم
وَهلُمّ جاوِرنا فقلت لها اقصِري عيشٌ بطَيبةَ ويحَ غيرِك أنعم
أيُفارَقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ ناءٍ ويُشرى بالحديث الأقدم
إنّ الحمامَ الى الحجاز يَهيجُ لي طَرَباً تَرنُّمه إذا يترنّم

---

(١) عابد : جبل بمصر ، والقلزم : بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور .

(٢) النيقة : اسم للتنوّق أي التخير .

والبرقُ حين أُشيمُه متيامناً وجنائبُ الأرواحِ حين تنسَّمُ
لو لَجَّ ذو قَسَمٍ على أن لم يكن في الناسِ مُشبهُها لَبَرَّ المُقسِمِ
من أجلها تَركي القرارَ وَخفضَه وتَجشُّمي ما لم أكن أتجشَّم
ولقد كتمتُ غداةَ بانتْ حاجةً في الصدر لم يعلم بها متكلِّم
تَشفي برؤيتها السقيمَ وترتمي حَبَّ القلوبِ، رَمِيُّها لا يَسلَم
رَقراقةٌ في عُنفوان شبابها فيها عن الخُلق الدَّنيِّ تَكرُّم
ضَنَّتْ على مُغرًى بطول سؤالها صَبٍّ، كما يَسَلُ الغنيُّ المُعدِمِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مُسلِم عن الحِرمازيّ قال :

خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان الى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عَنبسةَ بن سَعيد بن العاصي، وكان أبوه صديقاً لأبيه، فسأله أن يرفع أمرَه الى الخليفة؛ فوعده أن يفعل؛ فلم يمكث إلا يسيراً حتى طرَقه لِصٌّ فسرَق متاعَه وكلَّ شيء كان معه؛ فأتى عنبسةَ فتنجَّزه ما وعده؛ فاعتلَّ عليه ودافَعه؛ فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال :

أعنبسُ قد كنت لا تعتزي[1] الى عِدَةٍ منك كانت ضَلالا
وعدتَ عِداتٍ لَوَ أنجزتَها إذاً لحُمِدتَ ولم تُرزَ مالا
وما كان ضَرَّكَ لو قد شفعتَ فأعطى الخليفةُ عفواً نَوالا
وقد يُنجِزُ الحرُّ موعودَه ويفعل ما كان بالأمسِ قالا
فيا ليتني والمُنى كاسمِها وقد يصرِف الدهرُ حالاً فحالا
قعدتُ ولم ألتمس ما وعدتَ ويا ليت وعدَك كان اعتلالا
وكانت نَعَمْ منك مخزونةً وقلت مِنَ أوّل يومٍ ألا لا

(١) تعتزي : تنتسب

أرى كَذِبَ القولِ من شرِّ مـا يُعَدّ اذا الناسُ عَدُّوا الخِصالا
فأبقيتَ لي عنـكَ مندوحةً ونفساً عَزُوفاً تُقِلّ السؤالا
فإن عـدتُ أرجوكُمُ بعدَها فبُدِّلْتُ بعد العـلاء السَّفالا
أأرجوكَ من بعد ما قد عَرَفْتَ لَعَمري لقد جئتُ شيئاً عُضالا

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ يأثُرُه عن أبيه قال :

لقي الوليد لما حج :

كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان اذا وَفد الى الشام نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نُزُلَه وأعطاه وكساه وشفَع له . فلما حجّ الوليد لَقِيه سعيد بن عبد الرحمن في اول مَن لقِيه، فسلّم عليه، فردّ الوليد عليه السلام وحيّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه وبسَطه، ولم يأنَس بأحد أُنسَه به . وأنشده سعيدٌ قولَه فيه :

يا لَقَومي للهَجرِ بعد التَّصافي وتَنائى الجميع بعد ائتلافِ
ما شجا القلبَ بعد طول اندمالٍ غيرُ هابٍ[1] كالفَرْخ بين أثافي
ونعيبِ الغراب في عَرصةِ الدا ر ونُؤيٍ تَسفي عليه السوافي

وقد رُوي عن سعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان قال : رأى عَليّ ابنُ عمر أوضاحاً[2] فقال : ألقِها عنك فقد كَبِرتَ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحظة

ما جرتْ خَطرةٌ على القلب منّي فيكِ إلّا استترتُ عن أصحابِي

(١) الهابي : الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجوّ كالهباء .

(٢) الأوضاح : حلى من الفضة .

من دموعٍ تجري فإن كنتُ وحدي   خالياً أسعدتْ دموعي انتحابي
إنّ حُبّي إياكِ قد سَلّ جسمي   ورماني بالشيبِ قبل الشباب
إرْحمي عاشقاً لكِ اليوم صباً   هائمَ العقل قد ثوى في التراب

الشعر للسيّد الحميري، والغناء لمحمد نعجة خفيفُ رمل أيضاً. ولم أجد لهذا المغنّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره. وقد مضت أخبار السيّد متقدماً.

صوت

من المائة المختارة

أكَرِعُ الكرعةَ الرويّةَ منها   ثم أصحو وما شَفَيتُ غليلي
كم أتى دون عهدِ أمِّ جميلِ   من إنًى حاجةٍ ولُبثٍ طويل
وصياح الغراب أن يسرْ فأسرعْ   سوف تحظى بنائلٍ وقَبول

الشعر للأحوص. والغناء للبُردان خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر.

أخبار البردان

البُردانُ لقب غلَب عليه . ومن الناس من يقول : بُردان من أهل المدينة ، وأخذ الغناء عن معبد وقبلَه عن جميلة وعَزّةَ المَيلاء . وكان مُعدَّلا مقبولَ الشَّهادة، وكان متولّيَ السُّوق بالمدينة .

قال هارون بن الزيّات حدثني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سلّام قال : هو بُردانُ بضم الباء وتسكين الراء .

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر وحُسَين بن يحيى قالا حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبه قال قال إسحاق :

كان بُردانُ متولّيَ السوق بالمدينة . فقدّم اليه رجل خَصْماً يدّعي عليه حقّاً؛ فوجب الحكم عليه فأمر به الى الحبس . فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلمُ منك بهذا . فقال : رُدُّوه فرُدّ ؛ فقال : لعلك تعني الغناء ! إني والله به لعارف؛ ولو سمعت شيئاً جاء البارحةَ لازددت علماً بأني عارف ، ومهما جهلتُ فإني بوجوب الحق عليك عالم؛ إذهبوا به الى الحبس حتى يخرج الى غريمه من حقّه .

رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه اصواتاً :

قال وحدثني أبو أيّوب عن حمّاد عن أبيه عن ابن جامع عن سِياط قال :

رأيت البُردانَ بالمدينة يتولى سوقَها وقد أسنّ؛ فقلت له : يا عمّ، إني رويت

لك صوتاً صنعتَه، وأحببتُ أن تصحِّحه لي . فضحك ثم قال : نعم يا بُنيّ وحباً وكرامة . لعله :

كم أتى دون عهد أمّ جميل

فقلت نعم . قال : مِل بنا الى هاهنا؛ فمال بي الى دار في السُّوق ، ثم قال : غنِّه؛ فقلت : بل تُتمّ إحسانَك يا عمّ وتغنّيني به فإنه أطيب لنفسي؛ فإن سمعتُه كما أقول غنّيته وأنا غير متهيِّب، وإن كان فيه مُستَصلَحٌ استعدته . فضحك ثم قال : أنتَ لستَ تريد أن تصحِّح غِناءك، إنما تُريد أن تقول سمعتني وأنا شيخ وقد انقطعتُ وأنت شابّ . فقلت للجماعة : إن رأيتم أن تسألوه أن يُشفِّعني فيما طلبتُ منه! فسألوه، فاندفع فغنّاه فأعاده ثلاث مرّات؛ فما رأيتُ أحسنَ من غنائه على كِبَر سِنّه ونُقصان صوته . ثم قال : غنِّه فغنّيته ؛ فطرِب الشيخ حتى بكى، وقال : اذهب يا بُنيّ، فأنت أحسن الناس غناء، ولئن عِشتَ ليكوننّ لك شأن . قال : وكان بُردانُ خفيفَ الرُّوح طيِّبَ الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقِي الناسَ، فكان بعد ذلك اذا رآني يدعوني فيأخذني معه الى منزله ويسألني أن أغنّيه فأفعل؛ فاذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح عليّ شيئاً من أغاني القدماء فيفعل الى أن أخذتُ عنه عِدّة أصوات .

من المائة المختارة

صوت

لِمَن الدِّيارُ بحائلٍ[1] فوُعالِ ... دَرَستْ وغيَّرها سِنُونَ خَوالي

دَرَجَ البوارِحُ[2] فوقها فتنكَّرتْ ... بعد الأنيس معارِفُ الأطلال

---

(١) حائل : موضع باليمامة . ووعال : جبل بين الكوفة والشام .

(٢) البوارح : الرياح الحارة الشديدة .

دِمَنٌ تُذَعذِعها الرياحُ وتارةً تعفو بمُرتَجِزِ السَّحابِ ثِقالِ
فكأنما هي من تَقادُمِ عهدِها وَرَقٌ نُشِرن من الكتاب بَوالي

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيل الاول بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أنّ في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلًا اول. وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلًا اول بالوسطى وأنه أحد السبعة، وأن لإسحاق فيه ثانيَ ثقيل، وذكر الهشاميّ أنّ لحن إسحاق خفيف ثقيل.

ذكر الاخطل واخباره ونسبه

هو غِياثُ بن غَوث بن الصَّلت بن الطَّارِقة، ويقال ابن سَيحان بن عَمرو بن الفدَوكَس بن عمرو بن مالك بن جُشَمَ بن بكرِ بن حبيب بن عمرو بن غُنم بن تَغلِب . ويكنى أبا مالـك . وقال المدائنيّ : هو غِياث بن غَوث بن سَلَمة بن طارِقة، قال : ويقال لسَلَمة سَلَمةُ اللحَّام . قال : وبعث النُّعمان بن المُنذِر بأربعةِ أرماح لفُرسان العرب، فأخذ أبو بَراء عامر بن مالك رُمحاً، وسَلَمةُ بن طارِقـة اللحَّام رمحاً وهو جدّ الأخطل ، وأنسُ بن مُدرِك رمحاً ، وعمرو بن معـدِ يكرِبَ رمحاً .

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه . ذكر هارون بن الزيّات عن ابن النطَّاح عن أبي عُبيدة أنّ السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه، فقال له : يا غلام، إنك لأخطل، فغلبتْ عليه . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّ عُتبة بن الوَّعل بن عبد الله بن عمر ابن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تَيم بن سَعد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غُنم بن تَغلِب حمَل حَمالةً، فأتى قومَه يسأل فيها، فجعل الأخطلُ يتكلّم وهو يومئذٍ غلام . فقال عُتبة : مَن هذا الغلام الأخطل ؟! فلقِّب به .

قال يعقوب وقال غير أبي عُبيدة : إنّ كَعب بن جُعَيـل كان شاعرَ تَغلِبَ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قُبَّة، حتى إنه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُملأُ له غنماً . فأتى في مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنَم وطرَدها، فسبَّه عُتبة وردّ الغنم الى مواضعها ، فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر اليه ، فقـال : إنّ غلامكم هذا لأخطلُ — والأخطل : السفيه — فغلَب عليه . ولَجّ الهجاء بينهما، فقال الأخطل فيه :

سُمِّيتَ كعباً بشرِّ العظـام وكان أبوك يُسمَّى الجُعَلْ
وإنَّ محلَّـك من وائلٍ محلُّ القُراد من آست الجمل

فقال كعب : قد كنتُ أقول لا يقهرني إلّا رجل له ذكرٌ ونَبأ، ولقـد أعددتُ هذين البيتين لان أهجى بهما منذ كذا وكذا، فغلَبَ عليهما هذا الغلام .

وقال هارون بن الزيّات حدثني قَبيصةُ بن معاوية المهلّبيّ قال حدثني عيسى بن إسماعيل قال حدثني القَحذميّ قال :

وقع بين آبنَيْ جُعَيل وأمِّهما ذَرْء[1] من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم ؛ فقال الأخطل :

لَعَمرُكَ إنني وآبنَيْ جُعَيلٍ وأُمَّهما لإِستـارٌ[2] لئيمُ

فقال آبن جُعَيل : يا غلام، إنّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك ؛ ولولا أنّ أُمّي سَمِيَّةُ أُمِّك لتركتُ أُمّك يحدو بها الرُّكبان؛ فسُمِّي الأخطلَ بذلك . وكان آسم أُمِّهما وأُمّ الأخطل ليلى .

وقال هارون حدثني إسماعيل بن مُجَمِّع عن آبن الكلبيّ عن قومٍ من تَغلِبَ في قصّة كعب بن جُعيل والأخطل بمثـل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عُبيدة ممن لم يسمِّه، وقال فيها : وكان الأخطل يومئذٍ يُقرزِم – والقرزمة : الابتداء بقول الشعر – فقال له أبوه : أبِقَرزَمتك تُريد أن تُقاوم آبن جُعَيل ! وضربه . قـال : وجاء آبن جُعَيل على تَفِئةِ ذلك فقال : مَن صاحبُ الكلام ؟ فقال أبوه : لا تَحفِل به فإنه غلام أخطل . فقال له كعب :

(١) الذرء : الشيء اليسير من القول .

(٢) إستار : أربعة .

شاهِدُ هذا الوجه ِغبَّ الُحمّهْ

فقال الأخطل :

فناكَ كعبُ بن جُعَيلٍ أمّهْ

فقال كعب : ما اسم أمِكَ ؟ قال : ليلى . قال : أردتَ أن تُعيذها باسم أُمِّي . قال : لا أعاذها الله إذاً . وكان اسم أمِّ الأخطل ليلى، وهي امرأة من إياد؛ فسُمِّي الأخطلَ يومئذٍ، وقال :

هجا الناسُ ليلى أمَّ كعبٍ فمُزِّقتْ فلم يبقَ إلا نَفْنَفٌ(١) أنا رافعُهْ

وقال فيه أيضاً :

هجاني المُنتِنانِ أبنا جُعَيلٍ وأيُّ الناسِ يقتلـه الهجاء؛
وُلِدتم بعد إخوتكم من أستٍ فهلّا جئتُمُ من حيث جاءوا

فانصرف كعب، ولجّ الهجاء بينهما .

طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق :

وكان نَصرانياً من أهل الجزيرة . ومَحلُّه في الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف . وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، فجعلها ابن سَلّام اول طبقات الإسلام . ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحدٍ منهم طبقةٌ تفضِّله عن الجماعة .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن ابراهيم عن أبي عُبَيدة قال :

---

(١) النفنف : الهواء .

جاء رجلٌ الى يونس فقال له : مَنْ أشعرُ الثلاثة ؟ قال : الأخطل . قلنا : من الثلاثة ؟ قال : أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم . قلنا : عمّن تروي هذا ؟ قال : عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحَضْرَميّ وأبي عمرو بن العلاء وعَنْبَسَةَ الفيل وميمون الأقرن الذين ماشوا[1] الكلامَ وطرقوه . أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عُبيدة عن يونس ، فذكر مثله وزاد فيه : لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون . فقلتُ للرجل : سَلْه وبأيّ شيء فضّلوه ؟ قال : بأنه كان أكثرهم عددَ طِوالٍ جِيادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحش وأشدهم تهذيباً للشعر . فقال أبو وَهْب الدقّاق : أما إنّ حمّاداً وجنّاداً كانا لا يفضّلانه . فقال : وما حمّاد وجنّاد ! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبصران الكسور ولا يُفصحان، وأنا أحدّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدّوا الى أمثالهم ماشوا الكلام وطرّقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَة كلمة ، وألحقوا السليمَ بالسليم والمضاعفَ بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوف بالأجوف وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو ، فلم تَخْفَ عليهم كلمة عربية ، وما عِلْمُ حمّاد وجنّاد !

قال هارون حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعيّ :

أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فَيُطَيِّرها[2] .

أخبرنا أبو خَليفة الفضل بن الحُباب قال أخبرنا محمد بن سلّام قال سمعت سَلَمة بن عيّاش وذكر أهلَ المجلس جريراً والفرزدقَ والأخطلَ ففضّله سلمةُ عليهما . قال : وكان إذا ذُكر الأخطل يقول : ومَنْ مثل الأخطل وله في كل بيت شعرٍ بيتان ! ثم يُنشِد قوله :

---

(١) ماش الكلام : خلطه .

(٢) أي يذيعها .

ولقد علمت إذا العِشارُ تَروّحتْ   هَدجَ الرِّئال تكبُّهن شَمالَا[1]
أنّا نُعجِّلُ بالعَبيطِ[2] لضيفنا   قبل العِيال ونضرب الأبطالا

ثم يقول ولو قال:

ولقد علمت إذا العِشا   رُ تروّحت هَدجَ الرئال

كان شعراً، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالا، كان أيضاً شعراً من رَوِيٍّ آخر.

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلّام قال حدثني أبو يحيي الضبّيّ قال:

كَعبُ بن جُعَيل لَقَّبه الأخطل، سمعه يُنشد هجاء فقال: يا غلام إنك لأخطلُ اللسان؛ فلزمته.

سال نوح بن جرير عنه أباه فمدحه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سَعد قال:

كنتُ مع نوح بن جرير في ظِلّ شجرة، فقلت له: قَبحك الله وقبح أباك! أمّا أبوك فأفنى عمرَه في مديح عبد ثَقيف (يعني الحجّاج). وأمّا أنت فامتدحتَ قُثَمَ بن العبّاس فلم تهتد لمناقِبه ومَناقِب آبائه حتى امتدحتَه بقصرِ بناه. فقال: والله لئن سُؤتني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي: بينا أنا آكل معه يوماً وفي

(١) تروّحت: ذهبت في الرواح. والرئال: أولاد النعام. والهدج: عدو متقارب.

(٢) العبيط من اللحم: الطري (الطازج) غير النضيج.

فيه لقمةٌ وفي يده أخرى ، فقلت : يا أبتِ، أنت أشعر أم الأخطل ؟ فجرِضَ[1] باللقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال : يا بُنيّ، لقد سرَرتني وسُؤتني . فأمّا سرورك إياي فلتعهُّدِكَ لي مثلَ هذا وسؤالك عنه . وأما ما سُؤتني به فلذِكرِكَ رجلًا قد مات . يا بُنيّ أدركتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد، ولو أدركتُه وله ناب آخر لأكلني به، ولكني أعانتني عليه خصلتان : كِبَرُ سِنّ، وخُبثُ دِين .

آراء الأئمة والشعراء فيه :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال :

سُئلَ حمّاد الراوية عن الأخطل، فقال : ما تسألوني عن رجل قد حبّبَ شعرُه إليّ النصرانيةَ !

قال إسحاق وحدثني أبو عُبيدة قال قال أبو عمرو : لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهلية ما قدّمتُ عليه أحداً .

قال إسحاق وحدثني الأصمعيّ أن أبا عمرو أنشد بيتَ شعر، فاستجاده وقال : لو كان للأخطل ما زاد .

وذكر يعقوب بن السِّكّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو :

أنّ جريراً سُئل أيّ الثلاثة أشعر ؟ فقال : أمّا الفرزدق فتكلّف منّي ما لا يُطيق . وأما الأخطل فأشدّنا اجتراء وأرمانا للفَرائص . وأما أنا فمدينة الشعر .

وقال ابن النطّاح حدثني الأصمعيّ قال :

(١) جرض : غص .

إنما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطَّم . وكان الأخطل أسنَّ من جرير، وكان جرير يقول : أدركته وله نابٌ واحد، ولو أدركتُ له نابين لأكلني . قال : وكان أبو عمرو يقول : لو أدركَ الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهلية ما فضّلتُ عليه أحداً .

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال :

قال العَلاء بن جَرير : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيتٌ، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً وسُكَّيتاً .

وقال يعقوب بن السكِّيت قال الأصمعيّ :

قيل لجرير : ما تقول في الأخطل ؟ قال : كان أشدَّنا اجتراء بالقليل وأنعتَنا للحُمُر والخمر .

وروى إسماعيل بن عُبيد الله عن مؤرِّج عن شُعبة عن سِماك بن حَرب :

أنّ الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضَوء بن اللجلاج؛ فقال له : مَن أمدحُ أهل الإسلام؟ فقال له : وما تُريد الى ذلك ؟ قال : تَمارَينا فيه . قال : الأخطل أمدَحُ العرب .

وقال هارون بن الزيّات حدثني هارون بن مسلم عن حَفص بن عمر قال :

سَمعتُ شيخاً كان يجلس الى يونس كان يكنى أبا حَفص، فحدّثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال : أمدَحُ الناسِ لكريم وأوصَفُه للخمر . قال : وكان أبو عُبيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق . قال أبو عبيدة : وكان أبو عمرو يشبِّه الأخطلَ بالنابغة لصحّة شعره .

وقال ابن النطّاح حدثني عبد الله بن رُؤبة بن العجاج قال :

كان أبو عمرو يفضِّل الأخطل .

وقال ابن النطّاح حدثني عبد الرحمن بن بَرزَخ قال : كان حمّاد يفضِّل الأخطل على جرير والفرزدق . فقال له الفرزدق : إنما تفضِّله لأنه فاسق مثلك . فقال : لو فضّلتُه بالفسق لفضّلتُك .

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مَرّار الشّيبانيّ : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة . فقلت : يقال إنه أمدحُهم ! فقال : لا والله ! ولكن أهجاهم . مَن منهم يُحسِن أن يقول :

وَنحن رفعنا عن سَلولَ رماحَنا   وعَمْداً رَغِبنا عن دماء بني نَصرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

قال الأخطل : أشعرُ الناسِ قبيلةً بنو قَيس بن ثَعلبة، وأشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أبي سُلمى وأشعر الناس رجل في قيمي .

أخبرني الحسن قال حدثني محمد قال حدثني الخَزّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد – هكذا قال، وأظنّه عليّ بن مجاهد – قال :

قال الأخطل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين، زعم ابنُ المَراغة أنه يبلُغ مِدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمتُ في مِدحتِك :

خَفَّ القَطينُ فراحوا منك أو بَكَرُوا

سنةً فما بلغتُ كلَّ ما أردتُ. فقال عبد الملك : فأسمِعناها يا أخطلُ ؛ فأنشده إياها؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها؛ ثم قال : وَيحك يا أخطل! أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفي بقول أمير المؤمنين . وأمر له بجَفنةٍ كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وألقى عليه خِلَعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب .

وقال ابن الزيّات حدثني جعفر بن محمد بن عُيَينة بن المِنهال عن هشام عن عَوانةَ قال :

أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثيِّر فيه :

فما تركوها عَنوةً عن مودّةٍ ولكن بحدّ المَشرَفيّ استقالَها

فأعجِب به . فقال له الأخطل : ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه . قال : وما قلتَ ؟ قال قلت :

أهلّوا من الشهر الحرامِ فأصبحوا مَوالِيَ مُلكٍ لا طَريفٍ ولا غَصْبِ

جعلتُه لك حقًّا وجعلك أخذتَه غَصباً؛ قال : صدقتَ .

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا أبو دُقاقة الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال :

رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ؛ فلما انحدر دنوتُ منه فقلت : يا أبا مالك، مَن أشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكلبان المتعاقِران من بني تميم . فقلت : فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللّاتِ أشعرُ منهما . قال : فحلف باللّاتِ هُزؤاً واستخفافاً بدينه

وروى هذا الخبرَ أبو أيوب المَديني عن المدائني عن عامر بن شِبل الجرمي أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوَه، وقال: واللاتِ والعزّى.

نصح له شيباني بألا يهجو جريراً:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الحِرمازي:

أن رجلاً من بني شَيبان جاء الى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنّا، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعة، وإن لك عندي نُصحاً. فقال: هاتِه، فما كذَبتَ. فقال: إنك قد هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولاسيما أنه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبّاً لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلكُ فيهم والنبوّة قبله؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارّته. فقال: صدقتَ في نُصحك وعرفتُ مُرادَك، وصَلَتْك رَحِمٌ! فوالصَّليبِ والقُربان لأتخلّصنّ الى كُلَيب خاصّةً دون مُضَر بما يَلبَسهم خِزيُه ويَشمَلهم عارُه. ثم اعلم أنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالي وحقِّ الصليبِ إذا مرّ به البيتُ المُعايَر[1] السائر الجيِّد، أمُسلِمٌ قاله أم نَصراني.

أخبرني وَكيع قال حدثني أبو أيوب المَديني عن أبي الحسن المدائني قال:

أصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردةٍ، فتمثّل قولَ الأخطل:

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول أن يَطولا

---

(١) المعاير: المتداول بين الناس.

مَشى قرشيَّةً لا شكَّ فيها   وأرخى من مآزِرِه الفُضولا

ثم قال: كأني أنظر اليه الساعةَ مُجلِّلَ الإزار مستقبِلًا الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشق؛ ثم بعث رجلًا يطلبه فوجده كما ذكره.

وقال هارون بن الزيَّات حدثني طائع عن الأصمعيّ قال: أنشد أبو حَيَّة النُّميريّ يوماً أبا عمرو:

يا لَمَعَدٍّ ويا لَلنَّاسِ كلِّهِمُ   ويا لَغائبهم يوماً ومَن شَهِدَا

كأنه مُعجَبٌ بهذا البيت؛ فجعل أبو عمرو يقول له: إنك لَتُعجَبُ بنفسك كأنك الأخطل.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الغَلابيّ عن عبد الرحمن التَّيميّ عن هشام ابن سليمان المخزوميّ:

أن الأخطل قدِم على عبد الملك، فنزل على ابن سرحون كاتبه. فقال عبد الملك: على مَن نزلتَ؟ قال: على فلان. قال: قاتلك الله! ما أعلمَك بصالح المنازل! فما تريد أن يُنزِلك؟ قال: دَرْمَكٌ[1] من دَرْمَككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[2]. فضحك عبد الملك ثم قال له: وَيلك! وعلى أيِّ شيء أقتلنا إلا على هذا! ثم قال: ألا تُسلِمُ فنفرضَ لك الفَيْء، ونُعطيك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإنَّ أوّلها لَمُرّ وإنَّ آخِرَها لَسُكر! فقال: أمَا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لَمنزلةً ما مُلكُكَ فيها إلّا كعُلقة ماء من الفراتِ بالإصبع. فضحك ثم قال: ألا تزور الحجّاج؟ فإنه كتب يستزيرك.

(١) الدرمك: دقيق الحواري.

(٢) بيت رأس: اسم لقريتين في كل واحدة منها كروم كثيرة، تنسب اليها الخمر.

فقال : أطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُربَه على قربك؛ إنني إذاً لَكما قال الشاعر :

كَمُبتاعٍ ليركبَه حماراً تَخَيَّرَه من الفرس الكبيرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجّاج؛ فمدحه بقوله :

صَرَمَتْ حِبالَكَ زينبٌ ورَعُومُ(١) وبَدَا المُجَمجَمُ(٢) منهما المكتومُ

ووجّه بالقصيدة مع ابنه اليه وليست من جيّد شعره .

وقال هارون بن الزيّات حدثني محمد بن إسماعيل عن أبي غَسّانَ قال :

ذكروا الفرزدق وجريراً في حَلقة المدائنيّ؛ فقلت لصَباح بن خاقان : أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلها؟ قال : هاتِ؛ فأنشدتُه :

أَلَمْ يأتِها أنّ الأراقِمَ(٣) فَلَّقَتْ جماجمَ قَيسٍ بين راذانَ والحَضْرِ(٤)
جَماجِم قومٍ لم يَعافوا ظُلامةً ولم يعرفوا أينَ الوفاءُ من الغَدرِ

قال : فسكت .

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة أن يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل:

---

(١) رعوم : اسم امرأة .

(٢) جمجم في صدره شيئاً : أخفاه ولم يبده .

(٣) الأراقم : حي من تغلب وهم جشم وبنو بكر ومالك والحارث ومعاوية .

(٤) الحضر : اسم مدينة بازاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات . وراذان : قرية بنواحي نسا (بلد من خراسان) .

أيهم أشعر ؟ قال : أجمعت العلماء على الأخطل . فقلت لرجل الى جنبه : سَلْه ومَن هم ؟ فقال : مَن شئتَ، إبن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العَلاء وعيسى بن عمر وعَنبَسة الفِيل وميمون الأقرَن، هؤلاء طرَقوا الكلام وماشوه لا كمن تحكُمون عنه لا بدوِيين ولا نحوِيين . فقلت للرجل : سَلْه : وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء ؟ قال : بأنه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها فُحش ولا سَقط . قال أبو عُبيدة : فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشراً بهذه الصفة وإلى جانبها عَشراً إن لم تكن مثلَها فليست بدونها؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً . قال إسحاق : فسألت أبا عُبيدة عن العشر فقال :

عَفا واسِطٌ من آل رَضوى[1] فَنَبتَلُ[2]
و تأبَّد الرَّبعُ من سَلمى بأحفارِ[3]
و خفَّ القَطينُ فراحوا منك وابتكروا
و كَذَبتْك عينُك أم رأيتَ بواسطٍ
و دَعِ المُعمَّر لا تسأل بمَصرَعِه
و لمن الديارُ بحائلٍ فوُعالِ

قال إسحاق : ولم أحفظ بقيَّة العَشر . قال : وقصائد جرير :

حيِّ الهِدَملةَ من ذات المَواعِيسِ
و ألا طرقتْكَ وأهلي هُجودُ
و أهوى أراكَ برامَتين وُقودا

(١) رضوى : اسم امرأة .

(٢) نبتل : موضع بنجد .

(٣) أحفار : موضع في بلاد بني تغلب .

قال وقال أبو عُبيدة : الأخطل أشبه بالجاهليَّة وأشدُّهم أَسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطاً .

وأخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي عُبيدة مثلَه .

وفي بعض هذه القصائد التي ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها .

منها :

صوت

تأبّد الرَّبعُ من سَلمى بأحفارِ   وأقفرتْ من سُلَيمى دِمنةُ الدارِ
وقد تَحُلُّ بها سَلمى تُجاذِبُني   تَساقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وأسراري

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالسبَّابة في مجرى الوسطى . وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حَسّان لمّا هجاه الأخطل وهجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك .

ومنها :

صوت

خفّ القَطِينُ فراحوا منك وأبتكروا   وأزعجتْهم نَوًى في صَرفِها غِيَرُ
كأنّني شاربٌ يوم أستُبِدّ بهم   من قهوةٍ ضُمِّنَتها حِمصُ أو جَدَرُ [1]
جادتْ بها من ذواتِ القارِ مُترَعةٌ   كَلفاءُ [2] يَنحَتُ عن خُرطومها المَدَرُ

(١) جدر : قرية بين حمص وسلمية، تنسب اليها الخمر .

(٢) الكلف : حمرة كدرة .

غنّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر . ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه رمل آخر يقال : إنه لعلّويه، ويقال : إنه لإبراهيم . وفيه لعَلّويه خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه .

سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه :

وقال هارون بن الزيّات حدثني ابن النطّاح عن أبي عمرو الشّيبانيّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أبيه :

أنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس؛ قال : الذي كان اذا مدَح رفَع، واذا هجا وَضع . قال : ومَن هو ؟ قال : الأعشى . قال : ثم مَن ؟ قال : ابن العشرين (يعني طَرَفة) . قال : ثم من ؟ قال : أنا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو بكر العُليميّ قال حدثنا أبو قُحافة المُرّيّ عن أبيه قال :

دخل الأخطل على بِشر بن مَروان وعنده الراعي ؛ فقال له بِشرٌ : أنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم . فقال للراعي : ما تقول ؟ قال : أمّا أشعر منّي فعسى، وأمّا أكرم فإن كان في أمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأمير فنعم . فلمّا خرج الأخطل قال له رجلٌ : أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ قال: وَيلك! إنّ أبا نسطوس وضع في رأسي أكؤساً ثلاثاً، فوالله ما أعقِل معها .

استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمراً ثم أنشده :

قال : ودخل الأخطلُ على عبد الملك بن مَروان، فاستنشده؛ فقال : قد يَبِس حَلقي، فمُر مَن يسقيني . فقال : اسقُوه ماء . فقال : شراب الحمار، وهو عندنا

كثير . قال : فاسقوه لبناً . قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : فاسقوه عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : خمراً يا أمير المؤمنين . قال : أوَعهدتني أسقي الخمرَ لا أمَّ لك ! لولا حُرمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت ! فخرج فلقي فرّاشاً لعبد الملك فقال : وَيلك ! إنّ أمير المؤمنين استنشدني وقد صَحِل[1] صوتي، فاسقني شربةَ خمر فسقاه؛ فقال : اعدِله بآخر فسقاه آخر . فقال : تركتَهما يعتركان في بطني، إسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً . فقال : تركتني أمشي على واحدة، إعدِلْ مَيلي برابع فسقاه رابعاً؛ فدخل على عبد الملك فأنشده :

خفَّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نَوًى في صرفها غِيَرُ

فقال عبد الملك : خُذْ بيده يا غلام فأخرِجه، ثم ألقِ عليه من الخِلَع ما يغمُره، وأحسن جائزَته، وقال : إنّ لكل قوم شاعراً وإنّ شاعر بني أميّة الأخطل .

حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق :

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال قال أبانُ بن عثمان حدثني سِماك بن حَرْب عن ضَوْء بن اللّجلاج قال :

دخلتُ حمّاماً بالكوفة وفيه الأخطل؛ قال فقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني ذُهل . قال : أتروي للفرزدق شيئاً ؟ قلت نعم . قال : ما أشعرَ خليلي ! على أنه ما أسرعَ ما رجع في هِبَته . قلت : وما ذاك ؟ قال قوله :

أبني غُدانةَ[2] إنّني حَرّرتكم فوَهبتُكم لعطيّة بن جِعالِ

(١) صحل صوته : بحّ .

(٢) بنو غدانة : بطن من يربوع . وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم .

لولا عَطيَّةُ لاَجتدعتُ أنوفَكم من بين ألأم آنُفٍ وسِبالِ[1]

وهبهم في الاول ورجع في الآخر . فقلت : لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت . قال : كيف ؟ قلتُ : هجوتَ زُفَرَ[2] بن الحارث ثم خوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ :

بني أُميّةَ إنّي ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتنّ فيكم آمِناً زُفَرُ
مفترشاً كافتراش اللّيث كَلكَلَه لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ[3]

ومدحتَ عِكرِمَةَ بن رِبعيّ فقلتَ :

قد كنتُ أحسبه قَيناً وأُخبَرُه فأليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

قال : لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا . فقال له الأخطل : والله لولا أنك من قوم سبَق لي منهم ما سبَق لهجوتُك هجاء يدخل معك قبرَك . ثم قال :

ما كنتَ هاجيَ قومٍ بعد مَدحِهمُ ولا تُكدِّرُ نُعمَى بعد ما تَجِبُ

أخرُجْ عنّي .

وقال هارون بن الزيّات حدثني أحمد بن إسماعيل الفِهريّ عن أحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أبيه قال :

---

(١) سبلة الرجل : الدائرة التي في وسط الشفة العليا ، وقيل : السبلة : ما على الشارب من الشعر .

(٢) هو زفر بن الحارث العامري الكلابي ، خرج على مروان بن الحكم بمرج راهط مع الضحاك بن قيس .

(٣) جزر : قتلى .

لمَّا استنزَل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكِلابيّ من قِرقيسيا[١]، أقعده معه على سريره؛ فدخل عليه ابن ذي الكَلاع. فلما نظر اليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخِلافِه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إني لم أجلسه معي أن يكون أكرم عليَّ منك؛ ولكنّ لسانه لساني وحديثه يُعجِبُني. فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال: أمَا والله لأقومَنّ في ذلك مقاماً لم يَقُمه ابن ذي الكَلاع! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينَه منه قال:

وكأسٍ مثلِ عينِ الدّيك صِرْفٍ تُنسِي الشاربين لها العقولا
إذا شَرِب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يَطولا
مَشى قُرَشيّةً لا شكّ فيها وأرخى من مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطّةٌ في رأسك. قال: أجلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجلِس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وقد يَنبُت المَرعى على دِمَنِ الثّرى وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قال: فقبض عبد الملك رجلَه ثم ضرب بها صدرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال: أذهبَ الله حزازاتِ تلك الصدور. فقال: أنشدُك الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذي أعطيتَني! فكان زُفَرُ يقول: ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال.

---

(١) قرقيسيا: بلد على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق.

وقال هارون بن الزيّات حدثني هارون بن مُسلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حنظلة الشيباني قال :

قال الأخطل : فَضلتُ الشعراء في المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلحَق بي فيه . فأمّا النَّسيب فقولي :

أَلا يا اَسلَمي يا هندُ هندَ بني بَدْرِ وإن كان حيّانا عِدًى آخِرَ الدّهرِ
من الخفِراتِ البِيضِ أمّا وِشاحُها فيجري وأمّا القُلبُ[1] منها فلا يجري
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي بمُطَّرِدِ المتنَين مُنبَترِ الخصر

وقولي في المديح :

نفسي فداء أميرِ المؤمنين إذا أبدى النَّواجذَ يوماً عارمٌ ذَكَرُ[2]
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرُه خليفةُ الله يُستَسقى به المطرُ

وقولي في الهجاء :

وكنتُ اذا لقيتَ عبيدَ تيمٍ وتيماً قلتَ أيُّهمُ العبيدُ
لئيمُ العالَمين يَسودُ تيماً وسيِّدُهم وإن كرِهوا مَسودُ

قال عبد الخالق : وصدَق لعَمري، لقد فَضَلَهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شَبّة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال :

---

(١) القُلب : السوار .

(٢) العارم : الشديد، الشرس .

طلّق أعرابيٌّ امرأته فتزوّجها الأخطل؛ وكان الأخطل قد طلّق امرأته قبل ذلك . فبينا هي معه إذ ذكرتْ زوجها الاول فتنفّست؛ فقال الأخطل :

كِلانا على همٍّ يبيتُ كأنما بجنبيهِ من مسِّ الفِراش قُروحُ
على زوجِها الماضي تنوحُ وإنني على زوجتي الأُخرى كذاك أنوحُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِداش :

أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المُهلّب : ما نازعتني نفسي قطُّ الى مدح أحدٍ ما نازعتني الى مَدحِكم؛ فأعطِني عطيّةً تبسُط بها لساني ؛ فوالله لأُرْدِيَنّكم أرديةً لا يذهب صِقالها الى يوم القيامة . فقال : أعلَمُ والله يا أبا مالك أنك بذلك مليء، ولكني أخاف أن يبلغ أميرَ المؤمنين أنّي أُسألُ في غُرْم وأُعطي الشعراء فأُهلِك ويظنّ ذلك منّي حيلةً . فلما قدِم على إخوته لاموه كل اللوم فيما فعله . فقال : قد أخبرْتُه بعُذري .

حديث جرير عنه :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال قال أبو الخطّاب حدّثني نوح بن جرير قال :

قلت لأبي : أنت أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فنهرني وقال : بئس ما قلتَ ! وما أنت وذاك لا أمّ لك ! فقلت : وما أنا وغيرَه ! قال : لقد أُعِنتُ عليه بكُفرٍ وكِبَرِ سِنٍّ، وما رأيتُه إلّا خشيتُ أن يبتلعني .

حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل :

أخبرني عمي عن الكُرانيّ عن دَماذ عن أبي عُبيدة قال :

قال رجل لأبي عمرو : يا عجباً للأخطل ! نصرانيّ كافر يهجو المسلمين ! فقال أبو عمرو : يا لُكَع ! لقد كان الأخطل يجيء، وعليه جُبَّة خَزٍّ وحِرْزُ خَزٍّ، في عنقه سلسلةُ ذهبٍ فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك ابن مَروان بغير إذن .

وقال هارون حدثني أحمد بن إسماعيل الفِهريّ عن أحمد بن عبد الله بن عليّ الدَّوسيّ عن مَعقِل بن فلان عن أبيه عن أبي العَسكر قال :

كنّا بباب مَسلمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة ؛ فقال أصحابي : حَكَّمناك وتراضَينا بك . فقلت : نعم، هم عندي كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهن في رِهانٍ، فأحدُها سابقُ الدهرَ كلَّه، وأحدُها مُصَلٍّ، وأحدُها يجيء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيتاً وأحياناً متخلِّفاً . فأمّا السابق في كل حالاته فالأخطل . وأمّا المصلّي في كل حالاته فالفرزدق . وأمّا الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير؛ ثم أنشد له :

سَرى لهم ليلٌ كأنّ نجومَه قناديلُ فيهنّ الذُّبالُ المُفَتَّلُ

وقال : أحسن في هذا وسَبَق . ثم أنشد :

التَّغلَبيّةُ مَهرُها فَلسانِ والتغلَبيّ جنازةُ الشَّيطانِ

وقال : تخلّف في هذه . فخرجنا من عنده على هذا .

هو والفرزدق مع الفتى من أهل اليمامة :

وقال هارون بن الزيّات حدثني محمد بن عمر الجُرجانيّ عن أبيه :

أنّ الفرزدق والأخطل، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بِشر

ابن مروان إذ دخل عليهما فتًى من أهل اليمامة؛ فقالا له: هل تَروِي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما:

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسَمي   وعلى البَعيثِ لقد نكحتُ الأخطلا

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أتُراه إنْ وَسَمَني يتورّكك على كِبَرِ سِنّك! ففزِع الفتى فقام وقال: أنا عائذٌ بالله من شرّكما. فقالا: اجلس لا بأسَ عليك! ونادماه بقيةَ يومهما.

الفرزدق في ضيافته:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو يَعلى قال حدثني عبد السلام بن حَرب قال:

نزل الفرزدق على الأخطل ليلًا وهو لا يعرفه، فجاءه بعشاء ثم قال له: إنّي نَصرانيّ وأنت حَنيفٌ، فأيُّ الشرابِ أحبُّ اليك؟ قال: شرابُك. ثم جعل الأخطل لا يُنشِد بيتاً إلا أتمّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل بي الليلةَ شرٌّ، مَن أنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجَد لي وسجدتُ له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كرِهتُ أن يفضُلني. فنادى الأخطلُ: يا بني تَغلِبَ هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلًا كثيرة. فلما أصبح فرّقها ثم شخَص.

كان خبيث الهجاء في عفة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال:

كان مما يُقدَّم به الأخطل أنه كان أخبثهم هجاء في عَفافٍ عن الفحش. وقال الأخطل: ما هجوتُ أحداً قطُّ بما تَستحي العذراء أن تُنشِده أباها.

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني محمد ابن عَبّاد المَوصِليّ قال:

خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حجّ بالأخطل. فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال:

بكى كلُّ ذي شَجْوٍ من الشام شاقَهُ　　تَهامٍ فأنّى يلتقي الشَّجِيّانِ

أَجِزْ يا أخطل؛ فقال:

يغورُ الذي بالشام أو يُنجِدُ الذي　　بغَورِ تِهاماتٍ فيلتقيانِ

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شَبَّة قال:

قيل لأبي العبّاس أمير المؤمنين: إنّ رجلاً شاعراً قد مدَحك، فتسمع شعرَه! قال: وما عسى أن يقول فيَّ بعد قول ابن النّصرانيّة في بني أميّة:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم　　وأعظمُ الناسِ احلاماً اذا قَدَرُوا

أخبرني به وَكيع عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عَديّ بمثله.

حادثة له مع أمّه:

قال هارون وحدثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التّميميّ عن أبي بُردة الفَزاريّ عن رجل من تَغلِب قال:

لحظ الأخطل شَكوةً[١] لأمِّه فيها لبن وجِراباً فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً

(١) الشكوة: وعاء من جلد للماء واللبن.

وكان يُضيِّق عليه؛ فقال لها : يا أمَّه ، آلُ فلان يزورونكِ ويقضُون حقَّكِ وأنتِ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ ، فلو أتيتِهم لكان أجملَ وأولى بِك . قالت : جُزيتَ خيراً يا بُنيّ ! لقد نَبهتَ على مَكرُمةٍ . وقامت فلبِست ثيابها ومضت اليهم . فضى الأخطل الى الشَّكوة ففرَّغ ما فيها والى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه . وجاءت فلحَظت موضعَها فرأته فارغاً ، فعلمتْ أنه قد دهاها ، وعمَدت الى خَشَبة لتضربَه بها ؛ فهرَب وقال :

أَلمَّ عـلى عِنَبات العجوزِ   وشَكوَتها من غِياثٍ[1] لَمَمْ
فظلَّتْ تُنادي ألا وَيلَهـا   وتَلعَن واللعنُ منها أَمَمْ[2]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصة ، فحكى أنها كانت مع امرأةٍ لأبيه لها منه بنون ، فكانت تُؤثِرهم باللَّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعى أعنُزاً لها . وسائرُ القصة والشعر متَّفق . وقال في خبره : وهذا اول شعر قاله الأخطل .

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عـليّ بن فيروز عن الأصمعيّ عن أمامةَ ورَعُومَ اللتين قال فيهما الأخطل :

صَرَمتْ أمامةُ حبلَها ورَعومُ

ورَعومُ وأمامةُ بنتا سعيد بن إياس بن هانئ بن قَبيصة ، وكان الأخطل نزل عليـه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جُوَيريتان تخدمتاه . ثم نزل عليه ثانيةً وقد كبِرتا فحُجبتا عنه ؛ فسأل عنهما وقال : فأينَ ابنتاي ؟ فأُخبِر بكِبرهما ، فنسَب بهما . قال : والرَّعوم هي التي كانت عند قُتيبة بن مُسلِم وكان يقال لها أمّ الأخماس ، تزوّجت

---

(١) غياث : اسم الأخطل

(٢) أمم : قريب يسير .

في أخماس[١] البَصرة محمدَ بن المهلَّب وعامرَ بن مِسمَع وعَبَّادَ بن الُحصَين وقتيبةَ بن مُسلِم؛ وكان يقال لها الجارُود .

كان حكم بكر بن وائل :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخَرّاز عن المدائنيّ قال قال أبو عبد الملك :

كانت بكر بن وائل اذا تشاجرتْ في شيء رَضِيتْ بالأخطل، وكان يدخل المسجدَ فيَقدَمون اليه . قال : فرأيته بالجزيرة وقد شُكِي الى القَسّ وقد أخذ بلِحيته وضربه بعصاه وهو يصيء[٢] كما يصيء الفَرْخ . فقلت له : أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يابن أخي، اذا جاء الدِّين ذَلَلنا .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غَيلان عن يحيي بن بِلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُساوِر قال :

دخلتُ الى الأخطل فسلّمت عليه، فنَسَبني[٣] فانتسبت، واستنشدته فقال : أنشِدك حبّةَ قلبي، ثم أنشدني :

لَعَمري لقد أسريتُ لا ليلَ عاجزٍ بسَلهَبةِ[٤] الخدَّين ضاويةِ القُرْبِ[٥]

(١) أخماس البصرة : خمسة . فالخمس الأول العالية ، والخمس الثاني بكر بن وائل، والخمس الثالث تميم، والخمس الرابع عبد القيس، والخمس الخامس الأزد .

(٢) يصيء: يصيح .

(٣) نسبني : سألني أن أنتسب .

(٤) سلهبة الخدين : طويلتهما .

(٥) القرب: الخاصرة .

إليكَ أميرَ المؤمنين رَحلتُها على الطائرِ الميمون والمنزل الرَّحبِ

فقلت : مَن أشعرُ الناس ؟ قال : الأعشى . قلت : ثمّ مَن ؟ قال : ثم أنا .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهرويه عن أبي أيّوب المدينيّ عن المدائنيّ قال :

إمتدح الأخطلُ هشاماً فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفَّاحاً وفرّقه على الصبيان . فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبّحه الله ! ما ضرّ إلّا نفسه .

تمثل هشام بشطر بيت في ناقة، فأتمه جرير والفرزدق وهو فأخذها :

وقال يعقوب بن السكِّيت حدثني سَلَمة النُّميريّ – وتُوُفّي وله مائةٌ وأربعون سنة – أنه حضر هشاماً وله يومئذٍ تسعَ عَشرةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده؛ فأحضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثِّلاً :

أُنيخها ما بَدا لِي ثم أرحلُها

ثم قال : أيّكم أتمّ البيتَ كما أُريد فهي له . فقال جرير :

كأنّها نِقنِقٌ(١) يَعدُو بصَحراء

فقال : لم تصنع شيئاً . فقال الفرزدق :

كأنّها كاسِرٌ(٢) بالدَّوِّ فَتخاء

(١) النقنق : الظليم وهو ذكر النعام .

(٢) الدوّ : الفلاة الواسعة . والكاسر : العقاب . والفتخاء : اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتها .

فقال : لم تُغنِ شيئاً . فقال الأخطل :

تُرخي المَشافِرَ واللَّحيينِ إرخاءَ

فقال : أركبها لا حملك الله !

هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها :

وقال هارون بن الزيّات حدثني الخرّاز عن المدائنيّ قال :

هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه؛ فقال لأبيها : يا أبا الدّلماء، إنّ ابنتك تعرّضتْ لي فاكففها . فقال له : هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها . فقال الأخطل :

ألا أبلِغْ أبا الدّلماء عنّي بأنّ سِنانَ شاعرِكم قصيرُ
فإنْ يَطعُنْ فليس بذي غَناء وإن يُطعَنْ فمَطعَنُه يسيرُ
متى ما ألقَه ومعي سِلاحي يخِرّ على قفاه فلا يُجيرُ

فمشى أبوها في رجال من قومه الى الأخطل فكلّموه؛ فقال : أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد .

وصيته عند موته :

أخبرنا أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال :

لمّا حضرت الأخطلَ الوفاةُ قيل له : يا أبا مالك، ألا تُوصي ؟ فقال :

أوَصّي الفرزدق عند المماتِ بأُمِّ جريرٍ وأعيارِها
وزار القبورَ أبو مالك برغم العُداة وأوتارِها

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العَلاء : أيُّ البيتين عندك أجودُ ، قول جرير :

ألستم خيرَ مَن رَكِبَ المطايا   وأندى العالمين بُطونَ راحِ

أم قول الأخطل :

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً اذا قَدَرُوا

فقلت : بيتُ جرير أحلى وأسيَر ، وبيتُ الأخطل أجزَل وأرزَن . فقال : صدقتَ ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصّة والعامّة .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الحلَبيّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلًا سأل حمّاداً الراوية عن الأخطل فقال : وَيحكم ! ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حبّبَ اليّ شعرُه النّصرانية !

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثنا أبو عثمان الأشناندانيّ عن ابي عُبيدة قال : كان يونس بن حَبيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة .

فضله عمر بن عبد العزيز على جرير :

وقال هارون بن الزيّات حدثني أبو عثمان المازِنيّ عن العُتبيّ عن أبيه :

أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فقال له : أعفِني . قال : لا والله لا أعفيك . قال : إنّ الأخطل ضيّق عليه كفرُه القولَ ، وإنّ جريراً وسّع عليه إسلامُه قولَه ؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ . فقال له سليمان : فضّلتَ والله الأخطلَ .

أثنى عليه الفرزدق :

قال هارون وحدثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كُلثوم قال :

قال عبد الملك للفرزدق : مَن أشعرُ الناسِ في الإسلام ؟ قال : كفاك بابن النَّصرانية اذا مدَح .

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شَبَّة قال :

حُدِّثتُ أنَّ الحجَّاج بن يوسف أوفد وفداً الى عبد الملك وفيهم جريرٌ . فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعي له ؛ فلما دخل عليه قال له : يا أخطل ، هذا سَبُّك – يعني جريراً ، وجريرٌ جالسٌ – فأقبل عليه جريرٌ فقال : أين تركتَ خنازير أمِّك ؟ ! قال : راعيةً مع أعيار أمِّك ؛ وإن أتيتنا قَرَيناك منها . فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه . قال : صدَق يا أميرَ المؤمنين ، وما اعتذاري من ذلك !

تَعيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسرى   ويشرَب قومُك العجَبَ العجيبا
مَنِيُّ العبد عبدِ أبي سُواجٍ   أحقُّ من المُدامةِ أن تَعيبا

فقال عبد الملك : دعوا هذا ، وأنشِدني يا جرير ، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها في الحجَّاج يمدَحه بها ، فأحفَظ عبدُ الملك ، وقال له : يا جرير ، إنَّ الله لم ينصر الحجَّاج وإنما نَصر خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال :

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقاد لهم   وأعظمُ الناسِ أحلاماً اذا قدَروا

فقال عبد الملك : هذه المُزَمِّرة ؛ والله لو وُضعتْ على زُبَر(١) الحديدِ لأذابتها . ثم

---

(١) الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد .

أمر له بخِلَع، فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إنّ لكل قوم شاعراً، وإنّ الأخطل شاعرُ بني أميّة.

فأمّا قول الأخطل:

مَـنيُّ العبدِ عبدِ أبي سُواج

فأخبرني بخبر أبي سُواج علي بن سليمان الأخفش ومحمـد بن العبّاس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السُّكّري قال حدثنا محمـد بن حبيب وأبو غسّان دَماذ عن أبي عُبيدة مَعمَر بن المُثنّى أنّ أبا سُواج وهو عَبّاد بن خَلَف الضَّبّي جـاور بني يَربوع، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذوة، وكان لِصُرَدَ بن جَمرة اليَربوعي فرس يقال لها القَضيب، فتراهنا عشرين بعشرين، فسبقت بَذوةُ فظلمه ابن جَمرة حقّـه ومنعه سَبقَه، وجعل يفجُر بامرأته. ثم إنّ أبا سُواج ذهب الى البَحرَين يمتار؛ فلما أقبل راجعاً، وكان رجلاً شديداً مُعجَباً بنفسه، جعل يقول وهو يَحدو:

يا ليتَ شِعري هل بَغَت من بَعدي

فسمع قائلاً يقول من خَلفه:

نَعَمْ بِكَوِيٍّ قَفـاهُ جَعدِي

فعاد الى قوله فأجابه بمثل ذلك. وقَدِم الى منزله فأقام به مدّة، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأة أبي سُواج وقال: لا أرضى أو تَقُـدّي من آست أبي سُواج سيراً. فأخبرتْ زوجها بذلك فقام الى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن أَلْيَتيها سيراً فدفعه اليها؛ فجعله صُرَدُ بن جَمرة في نعله، فقـال لقومه: إذا أقبلتُ وفيكم أبو سُواج فسَلُوني من أين أقبلت ففعلوا، فقـال: من ذي بِليّانَ[1] وأريد ذا بِليّان، وفي نعلي

---

(١) ذو بليان: موضع وراء اليمن.

بِشراكان ، من أستِ إنسان . فقام أبو سُواج : فطرح ثوبه وقال : أنشدكم الله ! هل ترون بأساً ؟ ثم أمر أبو سُواج غلامين له راعيَين أن يأخذا أمَةً له فيتراوحاها ؛ ودفع اليهما عُساً وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ في غير العُسِّ لأقتلنّكما . فباتا يتراوحانها ويصُبّان ما جاء منهما في العُسّ ، وأمرهما أن يحلبا عليه فحلبا حتى ملآه ؛ ثم قال لامرأته : والله لَتَسقِنّه صُرَدَ أو لأقتلنك : واختبأ وقال : ابعثي اليه حتى يأتيك ففعلتْ . وأتاها لعادتها كما كان يأتيها ، فرحّبتْ به واستبطأته ثم قامت الى العُسّ فناولته إياه . فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يَتمطّق[1] من اللبن الذي يشرب وقال : إني أرى لبنكم خاثراً ، أحسب إبلكم رعتِ السّعدان . فقالت : إنّ هذا من طول مُكثه في الإناء ، أقسمتُ عليك إلّا شربتَه . فلما وقع في بطنه وجد الموتَ ، فخرج الى أهله ولا يعلم أصحابُه بشيء من أمره . فلما جنّ على أبي سُواج الليل أتى أهلَه وغلمانَه فانصرفوا الى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه في الدار ؛ فجعل الكلب ينبح والفرس يصهل ؛ وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يرتحل . فساروا ليلتهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبِه وفرسِه وعُسّه . فلما أصبح ركِب فرسَه وأخذ العُسّ فأتى مجلسَ بني يَربُوع فقال : جزاكم الله من جيرانٍ خيراً ! فقد أحسنتم الجوار ، وفعلتم ما كنتم له أهلاً . فقالوا له : يا أبا سُواج ، ما بَدا لك في الانصراف عنّا ؟ قال : إنّ صُرَدَ بن جَمرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً ، وقد قلتُ في ذلك :

إنّ المَنيَّ إذا سَرى … في العبد أصبح مُسمَغِدًا[2]
أتُنالُ سلمى باطلًا … وخُلِقتُ يوم خُلِقتُ جَلْدَا
صُرَدَ بنَ جمرةَ هل لَقِيتَ … رثيئةً لبناً وعَضْدَا[3]

---

(١) يتمطق : يتذوّق .

(٢) المسمغد : المرتوي من اللبن .

(٣) الرثيئة : اللبن الحامض . والعضد : تحريك العصيدة بالمسواط فتنقلب فلا يبقى في الإناء منها شيء الا انقلب .

وأعلموا أنّ هذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلًا وهو صُرَد بن جَمرة. ثم رَمى بالعُسِّ على صخرةٍ فانكسر وركَض فرسَه. وتنادَوا: عليكم الرجلَ، فأعجزهم ولَحِق بقومه. وقال في ذلك عمر بن لَجأ التَّيميّ:

تُمَسِّحُ يربوعٌ سِبالًا لئيمةً بها من مَنِيِّ العبدِ رَطبٌ ويابسُ

وإيّاه عَنى الأخطلُ بقوله:

ويشرَب قومُك العجبَ العجيبا

حبسه القس ثم أطلقه بشفاعة هاشمي:

أخبر أبو خَليفةَ قال حدثنا محمد بن سَلّام قال زعم محمد بن حَفص بن عائشة التَّيميّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نَوفَل بن الحارث بن عبد المطَّلب قال:

قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌ مع أبي، فكنت أطوفُ في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمَشق، وإذا الأخطلُ فيها محبوس، فجعلتُ أنظر اليه. فسأل عني فأُخبِر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لَرجلٌ شريف، وإني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتُك مقضيَّةٌ. قال: إنّ القسّ حبَسني هاهنا فتكلِّمه ليُخلِّيَ عني. فأتيتُ القسّ فانتسبت له، فرحَّب وعظَّم، قلت: إنّ لي اليك حاجةً. قال: ما حاجتك؟ قلت: الأخطلُ تُخَلّي عنه. قال: أُعيذُكَ بالله من هذا! مثلُك لا يتكلَّم فيه، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلُب اليه حتى مضى معي متَّكئًا على عصاه، فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عَدُوَّ الله! أتعود تشتُم الناس وتهجوهم وتقذِف المُحصَنات! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا أفعل، ويَستَخذي له. قال: فقلت له: يا أبا مالكٍ، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدرُك في الناس

قَدرُكَ، وأنت تخضَع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذي له! قال: فجعل يقول لي: إنه الدِّين! إنه الدِّين!

مر به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به:

أخبرنا اليزيديّ عن عمه عُبيد الله عن ابن حَبيبَ بن الهيثَم بن عَدِيّ قال:

كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان متمسِّكاً بدينه. فمرّ به الأسقُف يوماً. فقال لها: إلحَقيه فتمسَّحي به؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلّا ذَنَبَ حماره فتمسّحتْ به ورجعتْ. فقال لها: هو وذنب حماره سواء.

هنأه هشام بالإسلام فأجابه:

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سَلّام قال حدثني يونس قال قال أبو الغرّاف:

سمِع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول:

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِد ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ

فقال: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام! فقال له: يا أمير المؤمنين، ما زلتُ مُسلِماً في دِيني.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا ابن سَلّام قال حدثني يونُس وعبد الملك وأبو الغَرّاف، فألّفتُ ما قالوا، قالوا:

أتى الأخطلُ الكوفةَ، فأتى الغَضبانَ بن القَبَعْثَرَى[١] الشَّيبانيّ فسأله في حَمالةٍ؛

(١) الغضبان بن القبعثرى من أشراف العراق.

فقال : إن شئتَ أعطيتُك ألفين، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين . قال : وما بالُ الألفين وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتُك ألفين لم يُعطِكها إلّا قليلٌ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ في الكوفة بَكريٌّ إلا أعطاك درهمين ؛ وكتبنا الى إخواننا بالبَصرة فلم يبقَ بكريٌّ بها إلّا أعطاك درهمين ، فخفّتْ عليهم المؤونةُ وكثُر لك النَّيل . فقال : فهذه إذاً . فقال : نَقسِمها لك على أن تَرِد علينا . فكتب بالبصرة الى سُوَيد بن مَنجُوف[1] السَّدُوسيّ فقدِم البَصرةَ — فقال يونس في حديثه — : فنزل على آل الصَّلت بن حُرَيث الحنفيّ ؛ فأخبر مَن سمعه يقول : والله لا أزال أفعل ذلك . ثم رجع الحديث الاول : فأتى سويداً فأخبره بحاجته . فقال نعم ! وأقبل على قومه فقال : هذا أبو مالكٍ قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، وهو الذي يقول :

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بَكراً ... أبى البَغضاء والنَّسب البعيدُ
وأيّامٌ لنا ولهمْ طِوالٌ ... يَعَضّ الهامَ فيهنّ الحديد
ومُهراقُ الدماء بوارداتٍ ... تَبيدُ المُخزياتُ ولا تَبيد
هُما أخوانِ يَصطليانِ ناراً ... رِداءُ الحربِ بينهما جديد

فقالوا : فلا والله لا نُعطيه شيئاً . فقال الأخطلُ :

فإن تَبخَلْ سَدُوسُ بدرهَمَيها ... فإنّ الرّيحَ طَيِّبةٌ قَبُولُ[2]
تَواكَلَني[3] بنو العَلّات منهم ... وغالتْ مالكاً ويزيدَ غُول
صَريعاً وائلٍ هَلَكا جميعاً ... كأنّ الأرضَ بعدهما مُحُول

(١) سويد بن منجوف : من أشراف البصرة .

(٢) القبول : هي ريح الصبا .

(٣) تواكل القوم : اذا اتكل بعضهم على بعض في الامر .

وقال في سُوَيد بن مَنجُوف – وكان رجلًا ليس بذي منظر – :

وما جِذْعُ سَوءٍ خرّبَ السُّوسُ أصلَه ... لِمَا حَمَّلته وائـلٌ بِمُطِيقِ

كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً :

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سَلّام :

كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أحياناً : كان مدح سِماكاً الأَسَديّ، وهو سِماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ، ومسجد سِماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها ؛ فخرج أيام عـليّ هارباً فلَحِق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال :

نِعم المُجيرُ سِماكٌ من بني أسَدٍ ... بالقاع إذ قتلت جيرانَها مُضَرُ
قد كنتُ أحسَبه قَيناً وأخبُرُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ
إنّ سماكاً بنى مجداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدر

فقال سِماك : يا أخطلُ، أردتَ مَدحي فهجوتَني، كان الناس يقولون قولًا فحقّقته . فلما هجا سُوَيداً قال له سُوَيد : والله يا أبا مالك، ما تُحسِن تهجو ولا تمدح؛ لقد أردتَ مَدحَ الأسَديّ فهجوتَه – يعني قوله :

قد كنتُ أحسَبه قيناً وأنبُؤُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابـه الشَّرَرُ
إنّ سماكاً بنى مجـداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

– وأردتَ هجائي فمدحتَني، جعلتَ وائلًا حَمَّلتني أمورَها، وما طَمِعتُ في بني تَغلِب فضلًا عن بكر .

أبى الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم :

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال حدثني أبانُ البَجَليّ قال :

مرّ الأخطل بالكوفة في بني رُؤاس[1] ومؤذِّنهم يُنادي بالصلاة . فقال له بعض فتيانهم : ألَا تدخل يا أبا مالك فتصلّي ؟ فقال :

أُصلّي حيث تُدركني صَلاتي ... وليس البِرُّ عند بني رُؤاسِ

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال حدثني أبو الحُصَين الأُمويّ قال :

بينا الأخطلُ قد خلا بخُمَيْرة له في نُزهةٍ مع صاحب له، وطرأ عليهما طارىٌ لا يعرفانه ولا يَستخِفّانِه، فشرِب شرابَهما وثقُل عليهما . فقال الأخطل في ذلك :

صوت

وليس القَذى بالعُودِ يسقُط في الإنا ... ولا بذُبابٍ خَطبُه أيسرُ الأمرِ
ولكنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُرْبِه ... رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندري

ويُروى :

ولكن قَذاها زائرٌ لا نُحِبّه

وهو الجيّد . الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمَريّ قال حدثنا الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال :

---

(١) بنو رؤاس : حي من بني عامر بن صعصعة .

بينا الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدث رجالُهم الى النساء لا يرون بذلك بأساً، وبين يديه باطِيةُ شرابٍ والمرأةُ تُحدثه وهو يشرب، إذ دخل رجلٌ فجلس، فثقل على الأخطل وكره أن يقول له قُمْ استحياء منه. وأطال الرجل الجلوسَ الى أن أقبل ذُبابٌ فوقع في الباطية في شرابه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الذُّبابُ في شرابك. فقال:

وليس القَذى بالعود يسقُط في الخمر ولا بذُبابٍ نَزْعُه أيسرُ الأمرِ
ولكن قَذاها زائرٌ لا نُحبه رمتْنا به الغيطانُ من حيث لا ندري

قال: فقام الرجل فانصرف.

وأخبرني عمي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرانيّ عن الرِّياديّ عن عليّ بن الحفّار أخي أبي الحجّاج:

أنّ الأخطل جاء الى مَعبد في قَدْمةٍ قدِمها الى الشام. فقال له مَعبد: إني أحِبّ محادثتك. فقال له: وأنا أحِبّ ذلك. وقاما يَتصبّحانِ[1] الغُدرانَ حتى وقفا على غديرٍ فنزلا وأكلا؛ فتبعهما أعرابيّ فجلس معهما. وذكر الخبر مثل الذي قبله.

لبى دعوة شاب من أهل الكوفة وشعره في ذلك:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال قال أبان بن عثمان حدثني أبي قال:

دعا الأخطلَ شابٌّ من شباب أهل الكوفة الى منزله. فقال له: يابن أخي، أنت لا تَحتمِل المؤونةَ وليس عندك مُعتَمَدٌ؛ فلم يزل به حتى أنتجعه، فأتى الباب فقال: يا شَقراء، فخرجتْ اليه امرأةٌ، فقال لأمّه: هذا أبو مالك قد أتاني؛ فباعت

---

(١) يتصبحان الغدران: يأتيانها صباحاً.

غَزْلًا لها وأشترت له لحماً ونبيذاً وريحاناً . فدخل خُصاً لها فأكل معه وشرب، وقال في ذلك :

وبيتٍ كظهر الفِيل جُلُّ مَتاعِه أباريقُه والشاربُ المُنقَطِرُ[1]
ترى فيه أثلامَ الأُصيصِ[2] كأنَّها اذا بال فيها الشيخُ جَفرٌ[3] مُعوَّرُ
لَعَمرُكَ ما لاقيتُ يومَ معيشةٍ من الدهرِ إلّا يومُ شقراء أقصرُ
حَوارِيَّةٌ لا يدخلُ الذَّمُّ بيتَها مُطَهَّرةٌ يأوي اليها مُطَهَّر

وذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أبيه أنه كان نازلًا على عِكرِمة الفيّاض وأنه خرج من عنده يوماً، فمرّ بفتيان يشربون ومعهم قَينةٌ يقال لها شقراء. وذكر الخبرَ مثل ما قبله، وزاد فيه : فأقام عندهم أربعة أيّام . وظنّ عِكرمةُ أنه غضِب فانصرف عنه . فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث الى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها اليهم وقال : إستعينوا بهذه على أمركم . ولم يزل ينادمهم حتى رحَل .

حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال حدثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال :

إجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشر بن مَروان، وكان بِشرٌ يُغري بين الشعراء . فقال للأخطل : أَحكُمْ بين الفرزدق وجرير . فقال : أعفِني أيها الأمير . قال : أحكم بينهما، فأستعفاه بجَهده فأبى إلا أن يقول ؛ فقال : هذا حكمٌ

(١) المنقطر : المصروع .

(٢) الأصيص : أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه .

(٣) الجفر : البئر الواسعة . والمعور : المكبوس بالتراب .

مشؤومٌ؛ ثم قال: الفرزدق يَنحتُ من صَخْر، وجريرٌ يغرف من بحر. فلم يرضَ بذلك جرير، وكان سببَ الهجاء بينهما. فقال جرير في حُكومته:

يا ذا الغباوةِ إنّ بِشراً قد قضى ألا تجوزَ حكومةُ النّشوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أهلِها إنّ الحكومةَ في بني شَيبـان
قتَلوا كُليبَـكُمُ بِلقحةِ[1] جارهمْ يا خُزْرَ تَغلِبَ لستمُ بِهجان

فقال الأخطل يردّ على جرير:

ولقـد تَناسبتمْ الى أحسابكم وجعلتُم حَكَماً من السُّلطـانِ
فإذا كُليبٌ لا تُساوي دارماً حتى يُساوى حَزرَمٌ[2] بأبان
وإذا جعلتَ أباكَ في مِيزانهم رَجَحوا وشال أبوك في المِيزان
وإذا وردتَ المـاءَ كان لدارمٍ عِفْواتُـه[3] وسهولةُ الأعطان

ثم أستطارا في الهجاء.

مناقضة بينه وبين جرير:

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلّام قال حدثنا أبو الغرّاف قال:

لما قال جرير:

(١) اللقحة: الناقة الحلوب.

(٢) حرزم: جبيل فوق الهضبة في ديار بني أسد. وأبان: جبل شرقي الحاجر فيه نخل وماء، ويعرف بالأبيض.

(٣) عفوة كل شيء: صفوته وكثرته. والعطن: مناخ الإبل حول الورد.

إذا أَخذتْ قَيسٌ عليكَ وخِندِفٌ بأقطارِها لم تَدرِ من أين تَسرَحُ

قال الأخطل : لا أين ! سَدَّ والله عليَّ الدنيا . فلما أنشد قولَه :

فما لكَ في نَجْدٍ حَصاةٌ تَعُدُّها وما لكَ من غَورَيْ تِهامةَ أبطحُ

قال الأخطل : لا أبالي والله أَلّا يكونَ فُتِحَ لي والصَّليبِ القولُ؛ ثم قال :

ولكنْ لنا بَرُّ العِراقِ وبَحرُه وحيثُ ترى القُرقُورَ(١) في الماء يَسبَحُ

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال حدثني محمد بن الحجّاج الأسيديّ قال :

خرجتُ الى الصائفةِ(٢) فنزلتُ منزلًا ببني تَغلِبَ فلم أَجِد به طعاماً ولا شراباً ولا عَلَفاً لدوابّي بِشرًى ولا قِرًى ولم أجد ظِلًّا؛ فقلت لرجل منهم : ما في داركم هذه مسجد يُستظَلُّ فيه ؟ فقال : ممن أنت ؟ قلت : من بني تميم . قال : ما كنتُ أرى عمك جريراً إلّا قد أخبرك حين قال :

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى في آل تَغلِبَ مسجداً معمورَا

أخبرني أبو خليفة قال أنبأنا محمد بن سَلّام قال حدثني شيخ من ضُبَيعة قال :

خرج جريرٌ الى الشام فنزل منزلًا ببني تَغلِبَ فخرج متلثّماً عليه ثيابُ سفره، فلقيه رجلٌ لا يعرفه . فقال : ممن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : أمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم ؟! فأنشده مما قال لجرير . فقال : أمَا سمعتَ ما قال لـك

---

(١) القرقور : السفينة العظيمة .

(٢) الصائفة : الغزو في الصيف .

غاوي بني تميم ؟ ! فأنشده . ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نَقضه حتى كثُر ذلك بينهما . فقال التغلبيّ : من أنت ؟ لا حيَّاك الله ! والله لكأنك جرير . قال : فأنا جرير . قال : وأنا الأخطل .

دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده :

أخبرني عمي قال أنبأنا الكُرانيّ قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنيّ قال :

دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلّمه فخلّط في كلامه . فقال له: ما هذا ؟ فقال :

إذا شرِب الفتى منها ثلاثاً بغيرِ الماء حاول أن يَطولَا
مشى قُرَشيَّةً لا عيبَ فيها وأرخى من مآزره الفُضولا

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيديّ قال أخبرني أبو محمد اليزيديّ قال :

خرج الفرزدق يَوْمَ بعض الملوك من بني أُميَّة، فرُفِع له في طريقه بيتٌ أحمر من أدَم، فدنا منه وسأل فقيل له : بيت الأخطل . فأتاه فقال : أنزل . فلمَّا نزل قام اليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلا أنه ضيفٌ ؛ فقعدا يتحدثان . فقال له الأخطل : ممن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : فإنك إذاً من رَهط أخي الفرزدق . فقال : تحفَظ من شعره شيئاً ؟ قال : نعم كثيراً . فما زالا يتناشدان ويتعجَّب الأخطل من حفظه شعرَ الفرزدق الى أن عمِل فيه الشراب، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك : أنتم معشرَ الحنيفيَّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خَفِّض قليلًا وهاتِ من شرابك فاسقِنا . فلمَّا عمِلت الرَّاحُ في أبي فِراس قال : أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده . فقام اليه الأخطل فقبَّل

رأسه وقال: لا جزاك الله عني خيراً! لِمَ كتمتني نفسك منذ اليوم! وأخذا في شرابهما وتناشدهما، الى أن قال له الأخطل: والله إنك وإيّاي لأشعرُ منه ولكنه أوتي من سَيْرِ الشعر ما لم نُؤتَه؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أنّ أحداً قال أهجى منه، قلت:

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ قالوا لأُمِّهِمُ بُولي على النارِ

فلم يَروِه إلّا حُكماء أهل الشعر. وقال هو:

والتغلبيّ إذا تنحنح للقِرى حكّ استه وتمثّلَ الأمثالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلا رووه. فقضيا له أنه أسيرُ شعراً منهما.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِيعيّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال قال المدائنيّ:

كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة، فمرّ به عِكرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلما أمسى بعث اليه فتعشّى معه، ثم قال له: أتصيب من الشراب شيئاً؟ قال نعم. قال: أيّه؟ قال: كلّه إلّا شرابك. فدعا له بشراب يُوافقه، وإذا عنده قَينتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِترٌ، وإذا الأخطل أشهب اللِحية له ضفيرتان؛ فغمز السترَ بقضيبٍ في يده وقال: غنّياني بأردية الشعر، فغنّتاه بقول عمرو بن شَأس:

وبِيضٍ تَطلّى بالعَبيرِ كأنّما يَطأنَ وإن أعنقنَ(١) في جُددٍ وَحلا
لَهَونا بها يوماً ويوماً بشاربٍ إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقلا

(١) الإعناق: سير فسيح سريع. والجدد: الطرق.

فأمّا السبب في مدح الأخطل عِكرِمةَ بن رِبعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال :

قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوشَبَ بن رُوَيم الشَّيبانيّ، فقال : إني تحمّلتُ حَمالتين لأحقِن بهما دماء قومي فنَهَره، فأتى سَيّارَ بن البُرَيعة، فسأله فاعتذر اليه، فأتى عِكرِمةَ الفيّاض، وكان كاتباً لِبشر بن مَروان، فسأله وأخبره بما رَدّ عليه الرجلان؛ فقال : أمّا إني لا أنهَرُك ولا أعتذر اليك، ولكني أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عَرَضاً . قال : وحدَثَ أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له : إن أردتَ أن تكافئْ عِكرِمة يوماً فاليوم . فلبِس جُبّةَ خزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه . فلما رآه حَوشَب وسيّار نَفِسا عليه ذلك، وقال له عِكرِمة : يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته :

لِمَنِ الدّيارُ بحائلٍ فوُعالِ

حتى انتهى الى قوله :

إنّ ابنَ رِبعيٍّ كفاني سَيبُه ... ضِغنَ العدوّ وغَدرةَ المُحتالِ
أغليتَ حينَ تواكَلَتني وائلٌ ... إنّ المكارمَ عند ذاك غَوال
ولقد مَنَنتَ على ربيعةَ كلّها ... وكَفَيتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذّال
كابنِ البُرَيعة أو كآخرِ مثلِه ... أولى لك ابنَ مُسِيمةِ الأجمال
إنّ اللئيم إذا سألتَ بَهَرْتَه ... وترى الكريمَ يَراحُ(١) كالمختال
وإذا عدلتَ به رجالاً لم تجِدْ ... فيضَ الفُراتِ كراشحِ الأوشال

قال : فجعل عِكرِمة يبتهج ويقول : هذا والله أحبُّ إليّ من حُمر النَّعَم .

ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة :

(١) راح الانسان الى الشيء : إذا نشط له وسرّ به .

صوت

من المائة المختارة

أراعكَ بالخابورِ[1] نوقٌ وأجمال ودارٌ عَفَتها الرّيحُ بعدي بأذيالِ
ومَبنى قِبابِ المالكيّةِ حولَنا وجُردٌ تَعادى بين سهلٍ وأجبالِ

عروضه من الطويل . الشعر للأخطل . والغناء لابن محرز، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكيّ الى ابن محرز، وذكر الهشاميّ أنه منحول . وفيه لحُنَين الحيريّ ثقيلٌ اول عن الهشاميّ .

(١) الخابور : نهر بين رأس عين والفرات .

ذكر سائب خاثر ونسبه

كان سائب خاثر مولى بني لَيث . وأصله من فَيْء كِسرى، وٱشترى عبدُ الله ٱبن جعفر ولاءه من مواليه، وقيل : بل ٱشتراه فأعتقه، وقيل : بل كان على وَلائه لبني لَيث، وإنما ٱنقطع الى عبد الله بن جعفر فلزمه وعُرِف به . وكان يبيع الطعام بالمدينة . وٱسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث « يشا » .

قال ابن الكَلبيّ وأبو غَسَّان وغيرُهما : هو اول من عمِل العُود بالمدينة وغنى به . وقال ٱبن خُرداذْبه : كان عبد الله بن عامر ٱشترى إماء صَنَّاجاتٍ[1] وأتى بهنّ المدينة، فكان لهنّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه، وسمِع الناسُ منهنّ، فأخذ عنهنّ. ثم قدِم رجل فارسيّ يسمّى بنَشيطٍ، فغنى فأُعجِب عبدُ الله بن جعفر به . فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مِثلَ غِناء هذا الفارسيّ بالعربية، ثم غدا على عبد الله ٱبن جعفر وقد صنع :

لِمَنِ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ

قال ابن الكلبيّ : وهو اول صوت غُنّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المُتقَن الصنعة . قال : ثم ٱشترى عبد الله بن جعفر نَشيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ وأخذ عنه ٱبن سُرَيج وجميلةُ ومَعبَد وعَزّة المَيلاء وغيرُهم .

---

(١) الصناجات : اللاعبات بالصنج .

قتل يوم الحرة :

قال أبن الكلبيّ وحدثني أبو مِسكين قال :

كان سائب خاثر يُكنى أبا جعفر، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقرَع بقَضيب ويغنّي مرتجِلاً، ولم يزل يغنّي . وقُتل يومَ الحرّة . ومرّ به بعض القُرَشيّين وهو قتيل، فضربه برجله وقال : إنّ هاهنا لحنجرةً حسنةً . وكان سائب من ساكني المدينة .

قال أبن الكلبيّ : وكان سائب تاجراً مُوسراً يبيع الطعامَ، وكان تحته أربعُ نسوة، وكان أنقطاعه الى عبد الله بن جعفر، وكان مع ذلك يُخالط سَرَوات الناس وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ألا يغنّيَ أحداً سوى عبد الله بن جعفر، إلا أن يكون خليفةً أو وليَّ عهد أو أبنَ خليفة؛ فكان على ذلك الى أن قُتِل . قال : وأخذ معبد عنه غناء كثيراً فنحَل الناسُ بعضَه اليه، وأهلُ العلم بالغناء يعرفون ذلك . وزعم أبن خُرداذبه أنّ أمّ محمد بن عمرو الواقدي القاضي المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر .

هو اول من غنى بالعربية الغناء الثقيل :

وقال أبن الكلبيّ : سائب خاثر اول من غنّى بالعربية الغنــاء الثقيل؛ واول لحنٍ صنعه منه :

لِمَنِ الدّيارُ رسومُها قَفرُ

قال : فأَلِفتُ هذا الصوتَ القَرُوح .

قال وحدثني محمد بن يزيد أنّ اولَ صوت صنعه في شعر أمرئ القيس :

أفاطِمَ مَهْلًا بعضَ هذا التدلُّلِ

وأنّ معبداً أخذ لحنه فيه فغنّى عليه :

أمِنْ آل ليلى باللِّوى مُتَرَبَّعُ

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقيط قال :

وفَد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقّع له في حوائجه، ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر؛ فقال معاوية : مَن سائب خاثر ؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة ليثيٌّ يَروي الشعر . قال : أوَ كُلُّ من روى الشعر أراد أن نَصِلَه ! قال : إنه يحسِّنه . قال : وإن حسّنه ! قال : أفأُدخِله اليك يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم . قال : فألبسْه مُمَصَّرتين[1] إزاراً ورِداء . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى :

لِمَنِ الديارُ رُسُومُها قَفْرُ

فالتفت معاويةُ الى عبد الله بن جعفر فقال : أشهَد لقد حسّنه ! فقضى حوائجه وأحسن اليه .

نسبة هذا الصوت

لِمَنِ الديارُ رُسُومُها قَفْرُ   لَعِبتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ
وخَلَا لها من بعد ساكِنِها   حِجَجٌ مَضَينَ ثمانٍ أوْ عَشْرُ
والزّعفرانُ عـلى تَرائِبِها   شَرِقٌ[2] به اللَّبّاتُ والنَّحرُ

(١) الممصر من الثياب : الذي فيه صفرة خفيفة .

(٢) شرق الجسد بالطيب : امتلأ .

الشعر يُنسب الى أبي بكر بن المِسوَر بن مَخرَمة الزُّهري، وإلى الحارث بن خالد المخزومي، وإلى بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب . والغناء لسائب خاثر ثقيلٌ اول بالسبّابة عن الكلبيّ وحَبَش ، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ اول بالوسطى، ووافق إسحاق في ذلك، وذكر أنّ الثقيل الاول لنشيط . وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه، وذكر الهشاميّ أن لحن معبد خفيفُ ثقيل، وأنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل .

أخبرنا أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل ابن يونس قالوا حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثني قَبيصة بن عمرو قال حدثنا محمد ابن المِنهال عن رجل حدثه، وذكر ذلك أيضاً ابن الكلبيّ عن لَقيط قال :

أشرف معاويةُ بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيدَ ابنه، فسمع صوتاً أعجبه، واستخفّه السماعُ فاستمع قائماً حتى مَلّ، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه، واشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيّةَ ليلته حتى مَلّ . فلما أصبح غدا عليه يزيدُ . فقال له : يا بُنيّ ! مَن كان جليسَك البارحة ؟ قال : أيّ جليس يا أمير المؤمنين ؟ واستعجم عليه . قال : عَرّفني فإنه لم يخفَ عليّ شيء من أمرك . قال : سائب خاثر . قال : فأخثِر[1] له يا بُنيّ من بِرّك وصِلَتك، فما رأيتُ بمجالسته بأساً .

قال ابن الكلبيّ : قدم معاويةُ المدينة في بعض ما كان يقدَم؛ فأمر حاجبه بالإذن للناس؛ فخرج الآذنُ ثم رجع فقال : ما بالباب أحدٌ . فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند ابن جعفر . فدعا ببغلته فركبها ثم توجّه اليهم . فلما جلس قال بعض القرشيّين لسائب خاثر : مُطرِفي هذا لك – وكان من خزّ – إن أنت اندفعتَ تُغنّي ومشيتَ بين السِّماطين وأنت تغنّي . فقام ومشى بين السماطين وغنى:

---

(١) أخثر : أكثر .

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ من نجدةٍ دَما

فسمِع منه معاويةُ وطَرِب وأصغى اليه حتى سكَت وهو مُستحسِنٌ لذلك، ثم قام وانصرف الى منزله. وأخذ سائب خاثر المُطرَفَ.

قتله يوم الحرة وكلام يزيد فيه:

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الزُّبيريّ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيبة البزّاز قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

قُتل سائب خاثر يومَ الحرّة، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشام فخرج اليهم وجعل يحدّثهم ويقول: أنا مُغنٍّ، ومن حالي وقصّتي كيتَ وكيتَ؛ وقد خدَمتُ أميرَ المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه. قالوا: فغنِّ لنا، فجعل يغني؛ فقام اليه أحدُهم فقال له: أحسنتَ والله! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به اسمُه في أسماء من قُتِل يومئذٍ فلم يعرفه وقال: مَن سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المغنّي. فعرَفه فقال: وَيله! ما له ولنا! ألم نُحسِن اليه ونَصِله ونَخلِطه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جَرَمَ أن بَغيَه صرَعه. وقال المدائنيّ في خبره: فقال إنّا لله! أو بلَغ القتلُ الى سائب خاثر وطبقتِه! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحدٌ. ثم قال: قبَحكم الله يا أهل الشام! تجِدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شَبَّة قال حدثني قَبيصةُ بن عمرو قال حدثني حاتم بن قَبيصة قال حدثني ابن جُعدُبة قال حدثني مُوَيلِك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يومَ الحرّة: هل سمعتَ شيئاً صنعتُه؟ فغنّاني صوتاً:

صوت

لِمَن طَلَلٌ بين الكُراعِ[1] الى القَصرِ يُغيِّبُ عنا آيَه سَبَلُ القَطرِ

الى خالداتٍ ما تَريمُ وهامِدٍ وأشعثَ[2] تُرسِيه[3] الوَليدةُ بالفِهرِ[4]

(١) كراع الأرض: ناحيتها وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرة. وكراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال.

(٢) الأشعث: الوتد.

(٣) أرسى الشيء: ثبته.

(٤) الفهر: حجر يملأ الكف.

قال : فسمعتُ عجباً مُعجِباً، ثم ذكر أهله وولده فبكى . فقلت له : وما يمنعك منهم ؟ فقال : أمّا بعدَ شيء سمعتُه ورأيتُه من يزيدَ بنِ معاوية فلا ! ثم تقدّم حتى قُتِل .

صوت

من المائة المختارة

أقفرَ من أهلِه مَصِيفُ   فبَطنُ[١] نَخْلَةَ فالعَرِيفُ[٢]
هل تُبلِغَنِّي دِيارَ قومي   مَهرِيّةٌ[٣] سَيرُها زَفِيف
يا أمَّ نُعمانَ نَوِّلينا   قد ينفَعُ النائلُ الطَّفيف
أعمامُها الصِّيدُ من لُؤَيٍّ   حقّاً وأخوالُها ثَقيف

الشعر لأبي فَرعَةَ الكِناني، والغناء لجرادَتَي عبد الله بن جُدعان، ولحنُه من خفيف الثقيل . وفيه في الثالث والرابع ثقيلٌ اولُ مطلق .

(١) بطن نخلة : موضع بين مكة والطائف .

(٢) ظاهر أن مصيف والعريف : اسمان لموضعين .

(٣) إبل مهرية : منسوبة الى مهرة ابن حيدان أبي قبيلة . وزفيف : سريع .

ذكر جرادتي عبد الله بن جدعان وخبرهما

وشيء من أخبار ابن جُدعان

هو عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرّة بن كَعب بن لؤيّ بن غالِب .

قال ابن الكلبيّ : كانت لابن جُدعانَ أَمَتانِ تُسمَّيانِ الجرادتين تتغنّيان في الجاهليّة، سمّاهما بجرادَتَيْ عادٍ . ووهبهما عبدُ الله بن جُدعانَ لأُميّةَ بن أبي الصَّلت الثقفيّ، وقد كان امتدحه . وكان ابن جُدعانَ سيّداً جواداً، فرأى أُميّةَ ينظر إليهما وهو عنده فأعطاه إيّاهما .

وأخبرني أبو اللَّيث نصرُ بن القاسم الفَرائضيّ قال حدثنا أبو بكر بن أبي شَيبة قال حدثنا حَفص بن غِياث عن داود عن الشَّعبيّ عن مسروق عن عائشة قالت :

قلتُ : يا رسول الله إن ابن جُدعانَ كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحِم ويُطعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه ؟ قال « لا لم يقل يوماً اغفِر لي خطيئتي يومَ الدِين » .

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثني جعفر ابن الحسين قال حدثني إبراهيم بن أحمد قال :

قدِم أميّة بن أبي الصَّلت على عبد الله بن جُدعانَ ؛ فلما دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ ما أتى بك ! فقال أميّة : كلابُ غُرماء نَبَحَتني ونَهَشَتني . فقال له

عبدُ الله : قدمتَ عليّ وأنا عليلٌ من حقوق لزِمتْني ونهشتْني ، فأنظِرني قليلاً، ما في يدي، وقد ضَمِنتُك قضاء دينك ولا أسأل عن مبلغه . قال : فأقام أميّة أياماً، فأتاه فقال :

أأذكُر حاجتي أم قد كَفاني ... حياؤك إن شيمتَك الحياء
وعِلمُك بالأمور وأنت قَرمٌ ... لك الحسبُ المهذَّبُ والسَّناء
كريمٌ لا يُغيِّره صباحٌ ... عن الخُلق السَّنيّ ولا مَساء
تُباري الريحَ مَكرُمةً وجوداً ... اذا ما الكلبُ أجحره الشتاء
اذا أثنى عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تعرُّضه الثناء
إذا خلفتَ عبدَ الله فأعلم ... بأن القوم ليس لهم جَزاء
فأرضُك كلُّ مَكرُمةٍ بناها ... بنو تَيمٍ وأنت لهم سَماء
فأبرزَ فضلَه حقا عليهم ... كما برَزتْ لناظرها السماء
فهل تَخفى السماء على بَصيرٍ ... وهل بالشمس طالعةً خَفاء

فلما أنشده أميّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قينتانِ فقال : خذ أيّتَهما شئتَ ؛ فأخذ إحداهما وأنصرف . فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له : لقد لَقِيتَه عَليلاً، فلو رددتَها عليه، فإن الشيخ يحتاج الى خدمتها، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثر من كل حقّ ضَمِنه لك، فوقع الكلامُ من أميّة موقعاً وندِم، ورجع اليه ليردَّها عليه . فلما أتاه بها قال له ابن جُدعانَ : لعلك إنما رَدَدتَها لأنّ قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا، فوصف لأميّةَ ما قال له القوم . فقال أُميّة : واللهِ ما أخطأتَ يا أبا زُهير . فقال عبد الله بن جُدعانَ : فما الذي قلتَ في ذلك ؟ فقال أُميّةُ :

صوت

عطاؤكَ زينٌ لامرئٍ إن حَبوتَه ... ببذلٍ وما كلُّ العطاء يَزينُ

وليس بشَينٍ لأمرئ بذلُ وجهه   اليكَ كما بعضُ السؤال يَشينُ

– غنّت فيه جرادتا عبد الله بن جُدعان – فقال عبد الله لأميّة : خُذِ الأخرى؛ فأخذهما جميعاً وخرج . فلما صار الى القوم بهما أنشأ يقول – وقد أنشدنا هذه الأبيات أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة وفيها زيادة – :

وما لِي لا أحيّيه وعندي   مواهِبُ يَطّلِعنَ من النِجادِ
لأبيضَ من بني تَيم بن كَعْبٍ   وهم كالمَشرَفيّات الحِداد
لكل قبيلةٍ هادٍ[١] ورأسٌ   وأنت الرأسُ تقدُمُ كلَّ هادي
له بالَخيفِ قد علمتْ مَعَدٌّ   وإن البيت يُرفَع بالعِماد
له داعٍ بمكة مُشمعِلٌّ   وآخَرُ فوق دارته يُنادي
الى رُدُحٍ[٢] من الشِّيزى مِلاء   لُبابَ البُرّ يُلبَكُ بالشِّهاد

وقال فيه أيضاً :

ذُكِر ابنُ جُدعانٍ بخيرٍ كلّما ذُكِر الكرامُ
من لا يَخون ولا يَعُقّ ولا تُغيّره اللئام
نَجِبٌ[٣] النَّجيبة والنجيب له الرِّحالةُ والزِّمام

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا محمد بن إسحاق البَغويّ قال حدثنا الأثرَم عن أبي عُبيدة قال :

كان ابنُ جُدعانَ سيّداً من قريش؛ فوفَد على كسرى فأكل عنده الفالُوذَ،

---

(١) الهادي : العنق .

(٢) ردح : جمع رداح وهي الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع .

(٣) النجب : السخيّ الكريم كالنجيب .

فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذُ . قال : وما الفالوذُ ؟ قالوا : لُبابُ البرّ يُلبَكُ مع عسل النحل . قال : ابغُوني غلاماً يصنعه؛ فأتوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدِم به مكةَ معه، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكة ، فوضع الموائــدَ بالأبطح الى باب المسجد، ثم نادى مُناديه : ألا مَن أراد الفالوذَ فليَحضُرْ لحضر الناسُ؛ فكان فيمن حضَر أميّةُ بن أبي الصَّلت؛ فقال فيه :

وما لي لا أحيّيه وعندي مواهبُ يَطّلِعنَ من النِجادِ
إليّ وإنّه للناس نِهْيٌ[1] ولا يَعتلُّ بالـكَلِم الصَّوادي[2]

وذكر باقيَ الأبيات التي مضت متقدّماً .

حدثنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قــال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمــد بن عمر الُجرجانيّ — وليس بصاحب إسحاق الموصليّ ؛ قال : وهو شيخ لَقِيتُه بجُرجان — قال حدثنا الحسين بن الحسن المَروَزِيّ قال :

سألتُ سفيان بن عُيَينة فقلت : يا أبا محمد، ما تفسيرُ قول النبيّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله : « كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحــدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » وإنما هو ذِكْرٌ وليس فيــه من الدعاء شيء ! فقال لي : أعَرفتَ حديثَ مالك بن الحارث : يقول الله جَــلّ ثناؤه : « اذا شَغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أعطي السائلين » ؟ قلت : نعم ! أنتَ حدّثتَنيه عن منصور عن مالك بن الحارث . قال : فهذا تفسيرُ ذلك، ثم قال : أمَا علمتَ ما قال أميّةُ بن أبي الصَّلت حين خرج الى ابن جُدعانَ يطلب نائلَه وفَضلَه . قلت : لا أدري ؟ قال قال :

---

(١) النهي : الغدير .

(٢) الصوادي : العطاش .

أأذكُر حاجتي أم قد كفاني حياؤكَ إنّ شيمتَك الحياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفاه من تعرُّضه الثناء

ثم قال سفيان : فهذا مخلوقٌ يُنسَب الى الجود فقيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثنيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا، فكيف بالخالق !

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا حُميد بن حُميد قال حدثني جبّار ابن جابر قال :

دخل أميّةُ بن أبي الصَّلت على عبد الله بن جُدعانَ وهو يجود بنفسه؛ فقال له أميّةُ : كيف تَجِدُك أبا زُهير ؟ قال : إني لَمدابِر (أي ذاهب) . فقال أميّةُ :

علِمَ ابنُ جُدعانَ بنِ عمـرٍو أنّه يوماً مُدابِرْ
ومسافرٌ سفراً بعيداً لا يؤوب به المُسافِر
فقُدورُه بفِنائه للضيف مُترَعَةٌ زَواخِر
تبدو الكسورُ[1] من أنضرا جِ الغَلي فيها والكَراكِر[2]
فكأنهنّ بما حَمِينَ وما شُحِنّ بها ضَرائر
بَذّ المَعاشِرَ كلَّها بالفضل قد علِم المَعاشِر
وعلا عُلوَّ الشمس حتى ما يُفاخِرُه مُفاخِر
دانت له أبناءُ فِهرٍ من بني كعبٍ وعامر
أنتَ الجوادُ ابنُ الجوا د بكم يُنافِرُ من يُنافِر

(١) الكسور : جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم .

(٢) الانفراج : الانفراج . الكركرة : كالقهقهة ويعني بها صوت الماء في غليانه .

ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سَعيد السكّريّ قال أخبرني أبو عبد الرحمن الغَلابيّ عن الواقِدي عن ابن أبي الزّناد قال :

ما مات أحد من كبراء قُرَيش في الجاهليّة إلّا ترك الخمرَ استحياء مما فيها من الدَّنس؛ ولقد عابَها ابن جُدعانَ قبل موته فقال :

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومي ألستَ عن السَّفاه بمُستفيقِ
وحتى ما أُوسَّدُ في مَبيتٍ أنام به سوى التُّربِ السَّحيق
وحتى أغلقَ[1] الحانوتُ رَهني وآنستُ الهوانَ من الصديق

قال : وكان سببُ تركه الخمرَ أن أميّةَ بن أبي الصَّلت شرِب معه فأصبحت عين أميّة مُخضرّةً يخاف عليها الذَّهاب . فقال له : ما بال عينِك ؟ فسكت . فلما ألحّ عليه قال له : أنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ . فقال : أو بَلَغ منّي الشّراب الذي أبلُغ معه من جليسي هذا ! لا جَرَمَ لأدِيَنّها لك دِيتَين ؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهم، وقال : الخمرُ عليّ حرام أن أذوقها أبداً، وتركها من يومئذ .

صوت

من المائة المختارة

قد لَعَمري بِتُّ ليلي كأخي الداء الوَجيعِ
ونَجِيُّ الهمّ منّي بات أدنى من ضجيعي

---

(١) أغلق الرهن : استحقه . والحانوت : الخمار. والحانوت أيضاً : دكان الخمار .

كلما أبصرتُ رَبعاً خالياً فاضت دموعي
لا تَلُمنا إن خَشَعنا أو هَممنا بالخشوع
إذ فقدْنا سيّداً كا ن لنا غيرَ مُضِيع

الشعر للأحوص . والغناء لسَلّامةِ القسّ . ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الاول بالوسطى في مَجراها . وقد قيل : إن الشعر والغناء جميعاً لها ، وقد قيل : إن الغناء لمعبد وإنها أخذته عنه .

ذكر سلامة القس وخبرها

كانت سَلامةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت . وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبي السَّمح وذَويهم فمهرت . وإنما سمِّيت سَلامةَ القسِّ لأن رجلًا يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجُشَمِيّ من قُرّاء أهل مكة، وكان يُلقَّب بالقسّ لعبادته، شُغِف بها وشُهِر، فغلَب عليها لقبُه . واشتراها يزيد ابن عبد الملك في خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من أتَّهم به الوليدُ من جواري أبيه حين قال له قتلته : نَنقِمُ عليك أنك تطأ جواريَ أبيك . وقد ذكر ذلك في خبر مقتله .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال :

كانت حَبابةُ وسَلامةُ القسِّ من قِيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين؛ وكانت سَلامةُ أحسنَهما غناء، وحَبابةُ أحسنَهما وجهاً ، وكانت سَلامةُ تقول الشعر، وكانت حَبابة تتعاطاه فلا تُحسِن . وأخبرني بذلـك المدائنيّ عن جرير .

وحدثني الزبيريّ قال حدثني مَن رأى سَلامةَ قال :

ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غنـاء من سَلامةَ . وعن جميلةَ أخذتِ الغناء .

حدثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار وإسماعيل بن يونُس قالا حدثنا أبو زيـد عمر بن شَبَّة قال حدثني المدائنيّ قال :

كانت حَبابةُ وسَلّامةُ قَينتين بالمدينة؛ أمّا سَلّامـةُ فكانت لسُهَيل بن عبد الرحمن، ولها يقول ابنُ قيس الرُّقيَّات:

لقد فتَنَتْ ريَّا وسَلّامـةُ القَسَّا   فلم تتركا للقَسِّ عقـلًا ولا نَفسا
فتاتانِ أمّا منهما فشبيهـةُ الـــهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

وغنَّاه مالكُ بن أبي السَّمح. وفيها يقول ابن قيس الرُّقيَّات:

أُختانِ إحداهما كالشمس طالعةً   في يوم دَجنٍ وأُخرى تُشبه القمرا

قال: وفُتِنَ القسُّ بسلّامةَ، وفيها يقول:

أهابُكِ أن أقول بذلتُ نفسي   ولو أنّي أطيـع القلبَ قالَا
حياءً منـكِ حتى سُلَّ جسمي   وشَقَّ علـيّ كتماني وطالا

قال: والقسّ هو عبد الرحمن بن أبي عمّار من بني جُشَم بنِ معاوية، وكان منزله بمكة. وكان سببُ افتتانه بها فيما حدّثني خلّاد الأرقط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون: كان القسُّ من أعبَدِ أهل مكة، وكان يُشبَّه بعَطاء بن أبي رَباح، وأنّه سمع غناءَ سَلّامةِ القسِّ على غير تعمُّد منه لذلك. فبلغ غِناؤها منه كلَّ مبلغ؛ فرآه مولاها فقال له: هل لك أن أخرجها اليك أو تدخلَ فتسمع! فأبى. فقال مولاها: أنا أُقعِدها في موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأبى؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غِناءَها فأعجبه. فقال له: هـل لك في أن أُخرجها اليك؟ فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه، فتغنَّت فشُغِف بها وشُغِفت به، وعرَف ذلك أهلُ مكة. فقالت له يوماً: أنا والله أُحبُّـك. قال: وأنا والله أحِبك. قالت: وأحبّ أن أضعَ فمي على فمك. قال: وأنا والله أُحبّ ذاك. قالت: فما يمنعك! فوالله إنّ الموضع لخالٍ. قال: إني سمعت الله عزّ وجلّ يقول: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) وأنا أكره أن تكون خُلّةُ ما

بيني وبينك تؤول إلى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد الى ما كان عليه من النُّسك ،
وقال من قَوْله فيها :

إنَّ التي طَرَقَتْكَ بينَ ركائبٍ   تَمْشي بِزَهْرِها وأنتَ حَرامُ
لِتَصِيدَ قلبَكَ أو جزاءَ مودَّةٍ   إنَّ الرفيقَ له عليكَ ذِمامُ
باتت تعلِّلنا وتحسبُ أنَّنا   في ذاكَ أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطعَ الضياءُ لناظرٍ   فإذا وذلكَ بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذِلُ في السَّفاهة أهلَها   فاْعجَبْ لِما تأتي به الأيَّامُ
فاليومَ أعذِرُهم وأعلمُ أنما   سُبُلُ الضَّلالة والهُدى أقسامُ

ومن قوله فيها :

ألم تَرَها لا يُبعِدِ اللهُ دارَها   إذا رَجَّعتْ في صوتها كيف تصنعُ
تَمُدُّ نظامَ القولِ ثم تَرُدُّه   الى صَلصَلٍ[1] في صوتها يترجَّعُ

وفيها يقول :

ألَا قلْ لهذا القلبِ هل أنتَ مُبصِرُ   وهل أنت عن سَلْامةَ اليومَ مُقصِرُ
ألَا ليتَ أنّي حينَ صارتْ بها النَّوى   جليسٌ لسلمى كلما عَجَّ[2] مِزْهَرُ

وقال في قصيدةٍ له :

سَلَامُ وَيحَكِ هل تُحيِينَ مَن ماتا   أو تُرجِعينَ على المحزونِ ما فاتا

وقال أيضاً :

---

(١) الصلصلة : ترجيع الصوت .

(٢) عجّ : رفع صوته وصاح .

سَلَامُ هــل لي منكمُ ناصرُ ... أم هــل لقلبي عنكمُ زاجرُ
قد سمــع الناسُ بوجدي بكم ... فمنهمُ اللّائمُ والعــاذرُ

في أشعار كثيرة يطول ذكرها .

وأخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني الُجمَحيّ قال :

كانت سلّامة وريّا أُختين ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناء . فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما ؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات : إنّي أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقَ فيها ولا أكذبَ ؛ فان أنتما غنّيتماني بذلــك وإلّا هجوتكما ولا أقربكما . قالتا : فما قلتَ ؟ قال قلتُ :

لقد فتنتْ ريّا وسلّامةُ القسّا ... فلم تتركا للقسِّ عقــلًا ولا نفسا
فتاتانِ أمّا منهما فشبيهــةُ الـــهلالِ وأخرى منهما تُشبه الشمسا
تَكُنّانِ أبشاراً رِقــاقاً وأوجُهاً ... عِتــاقاً[1] وأطرافاً مُخضَّبةً مُلْسا

فغنّته سلّامة واستحسنتاه . وقالتا للأحوص : ما قلتَ يا أخا الأنصار ؟ قال قلت :

صوت

أسَلَام هــل لمتيَّم تنويلُ ... أم هل صَرَمْتِ وغالَ ودّكِ غولُ
لا تَصرفي عنّي دلالكِ إنّــه ... حَسَنٌ لديّ وان بَخِلْتِ جميــلُ
أزعمتِ أنّ صبابتي أُكذوبةٌ ... يوماً وأنّ زيارتي تعليــلُ

— الغناء لسلّامةِ القسّ خفيفُ ثقيــلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحمّاد . وفيه

(١) العتق : الجمال والكرم .

لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو، والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشاميّ - فغنّت الأبيـاتَ. فقال ابن قيس الرُّقيات: يا سلّامة! أحسنتِ والله! وأظنُّكِ عاشقة لهذا الحَلَقيّ! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجكَ الى هذا؟ قال: حُسنُ غنائها بشعرك، فلولا أنّ لك في قلبها محبّةً مُفرطةً ما جاءها هكذا حَسناً على هـذه البديهة. فقال له الأحوص: على قَدْر حُسن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناء به، وما هذا منك إلّا حسد، ونُبيّن لك الآن ما حسدتَ عليه. فقالت سلّامة: لولا أنّ الدخول بينكما يوجب بِغضةً لحكمتُ بينكما حكومة لا يردّها أحدٌ. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة. قال ابن قيس الرقيّات: كلّا! قد أمِنتَ أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها. قال الأحوص: فرأيك يدلُّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم عليه أنت؛ وتفرّقا. فلما صار الأحوص الى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه، فأذِن له وسلّم عليه واعتذر.

وممّا قاله الأحوص في سلّامةِ القسّ وغُنّي به:

صوت

أسلامُ إنكِ قد ملكتِ فأسجِحي ... قد يملـك الحرُّ الكريم فيُسْجِحُ

مُنّي على عانٍ أطلتِ عَناءه ... في الغُلّ عندكِ والعُنـاةُ تُسرَّحُ

إنّي لأنصَحُكم وأعلَمُ أنّـه ... سِيّانِ عندكِ من يَغُشّ ويَنصَحُ

وإذا شكوتُ الى سَلامةَ حُبّها ... قالت أجِدٌّ منـك ذا أم تمزَحُ

الشعر للأحوص. والغناء لابن مِسجَح في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. ولدحمانَ في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه استهلال. وفيه خفيف ثقيلٍ يقال: إنه لمالك، ويقال: إنه لسلّامةِ القسّ.

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عَباية:

كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَم بن معاوية، وكان فقيهاً عابداً من عُبّاد مكة، يسمّى القسّ لعبادته؛ وكانت سلّامة بمكة لسُهَيل، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنّي مَنْ أحبّ الغناء؛ ففُتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار القسّ؛ فشاع ذاك وظهر، فسُمّيت سلّامةَ القسِّ بذلك.

سألها القس أن تغنيه بشعر له:

قال إسحاق وحدّثني أيوب بن عَباية قال: سألها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار القسّ أن تغنيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ، وهو:

ما بالُ قلبِكَ لا يزالُ يَهيمُه ذِكَرٌ عواقِبُ غَيّهنّ سَقامُ
إنّ التي طرقتْكَ بين ركائبٍ تمشي بمِزْهرِها وأنت حَرامُ
لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ
باتت تعلّلنا وتحسَب أننا في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطَع الصباحُ لناظرٍ فاذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذِلُ في السَّفاهة أهلها فاْعجَبْ لِما تأتي به الأيامُ
فاليومَ أعذِرهم وأعلَمُ أنّما سُبُلُ الغَوايةِ والهُدى أقسامُ

قال إسحاق وحدثني المدائنيّ قال حدّثني جَرير قال:

لمّا قدِم يزيد بن عبد الملك مكةَ وأراد شراء سَلّامةِ القسّ وعُرِضتْ عليه، أمرها أن تغنّيه؛ فكان أوّل صوت غنّته:

إنّ التي طرقتك بين ركائبٍ تمشي بمِزْهرِها وأنت حرامُ
والبِيضُ تَمشي كالبُدورِ وكالدُّمى ونَواعمٌ يَمشين في الأرقام
لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ إنّ الرفيق له عليك ذمام

فاستحسنه يزيد فاشتراها . فكان أوّل صوت غنّته لمّا اشتراها :

أَلا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مبصرُ   وهل أنت عن سلّامةَ اليومَ مُقْصِرُ
أَلا ليتَ أَنّي حين صار بها النّوى   جليسٌ لسَلمى حيث ما عجّ مِزْهرُ
وإني اذا ما الموتُ زالَ[1] بنَفْسها   يُزالُ بنفسي قبلَهـا حين تُقبَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها   يطيرُ اليهـا قلبُه حين ينظرُ
كأنّ حمـاماً راعِبيّاً[2] مُؤَدِّيا   إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ[3]

فقال لها يزيد : يا حبيبتي ، مَن قائلُ هذا الشعر ؟ فقصّت عليه القصة ، فرَقّ له وقال : أحسنَ وأحسنتِ !

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال :

لمّا اشترى يزيدُ بن عبد الملك سلّامة ، وكان الأحوصُ مُعجَباً بها وبحسن غنائها وبكثرة مجالستها ؛ فلما أراد يزيد الرّحلة ، قال أبياتاً وبعث بها الى سلّامة . فلما جاءها الشعر غنّتْ به يزيدَ وأخبرَته الخبر ، وهو :

صوت

عاودَ القلبَ من سَلامةَ نَصبُ[4]   فلعينيَّ من جَوى الحبِّ غَرْبُ
ولقد قلتُ أيها القلبُ ذو الشو   قِ ، الذي لا يُحِبّ حُبَّكَ حِبُّ

---

(١) زال : ذهب .

(٢) الراعبي : جنس من الحمام ، وحمامة راعبية : ترعب في صوتها .

(٣) يتغشمر : يصوّت .

(٤) النصب : الداء والبلاء . والغرب : الدمع .

إنه قد دنا فِراقُ سُلَيْمَى وغدا مَطلَبٌ عن الوصل صَعبُ

غنّاه ابن مُحرز ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن مِسجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن عَبّاد وعَلّويه رَمَلان. وفيه لدحمان خفيفُ رَمَلٍ. هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ. وذكر حبشٌ أنّ لسلّامة القسّ فيه ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى.

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عَباية قال: كانت سلّامة وريّاً لرجل واحد، وكانت حَبابة لرجل، وكانت المقدّمة منهنّ سَلّامة، حتى صارتا الى يزيد بن عبد الملك، فكانت حَبابةُ تنظر الى سَلّامة بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها. فلمّا رأت أُثرتها عند يزيد ومحبّةَ يزيد لها استخفّت بها. فقالت لها سَلّامةُ: أيْ أُخيَّة! نَسِيتِ لي فضلي عليكِ! ويلك! أين تأديبُ الغناء وأين حقٌّ التعليم! أنسيتِ قولَ جميلة يوماً وهي تُطارحنا وهي تقول لك: خُذي إحكام ما أُطارحكِ من أُختِك سَلّامةَ، ولن تَزالي بخيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفاً! قالت: صَدقتِ خليلتي! والله لا عدتُ الى شيء تكرهينه؛ فما عادت لها الى مكروه. وماتت حَبابةُ وعاشت سَلّامة بعدها دهراً.

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي مُصعَب عن عبد الرحمن بن المُغيرة الحِزاميّ الأكبر قال:

لمّا قدِم عثمانُ بن حَيّان المُرّيّ المدينةَ والياً عليها، قال له قومٌ من وجوه الناس: إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد؛ فإن كنتَ تُريد أن تُصلح فطهّرها من الغِناء والزّنا. فصاح في ذلك وأجّلَ أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن أبي عَتيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعَفاف والصلاح. فلما كان آخرُ ليلة من الأجل قَدِم فقال: لا أدخُل منزلي حتى أدخلَ على سلّامة القسّ. فدخل عليها فقال: ما دخلتُ منزلي حتى جئتُكم أسلّم عليكم. قالوا: ما أغفلكَ

عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال: اصبروا عليّ الليلةَ. فقالوا: نخاف ألّا يمكنك شيءٌ ونُنكَظَ. قال: إن خفتم شيئاً فأخرجوا في السَّحَر. ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيَّان فأذِن له، فسلّم عليه وذكر له غَيبَته وأنه جاءه ليقضي حقَّه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزّنا، وقال أرجو ألّا تكون عملتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك. قال عثمان: قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ أصحابُك. فقال: قد أصبتَ، ولكن ما تقول — أمتع الله بك — في امرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكرَه على ذلك ثم تركته وأقبلتْ على الصَّلاة والصيام والخير، وأتى رسولُها اليك تقول: أتوجّه اليك وأعوذ بك أن تُخرِجَني من جِوار رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومسجِده؟ قال: فإني أدَعُها لك ولكلامِك. قال ابن أبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر اليها، فإن رأيتَ أنّ مثلَها ينبغي أن يُترَكَ تركتها؛ قال نعم. فجاءه بها وقال لها: اجعلي معك سُبحةً وتخشّعي ففعلتْ. فلمّا دخلتْ على عثمان حدّثته، واذا هي من أعلم الناس بالناس وأعجبَ بها، وحدثته عن آبائه وأمورهم ففَكِه لذلك. فقال لها ابن أبي عتيق: اقرَئي للأمير فقرأتْ له؛ فقال لها احدِي له ففعلتْ، فكثُر تعجُّبه. فقال: كيف لو سَمِعتَها في صِناعتها! فلم يزل يُنزِله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغِناء. فقال لها ابن أبي عَتيق: غنّي، فغنّت:

سَدَدنَ خَصاصَ[1] الخيمِ لمّا دَخلنَهُ بكلِّ لَبانٍ[2] واضحٍ وجبينِ

فغنّته؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال: لا والله ما مِثلُ هذه تخرج! قال ابن أبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، يقولون: أقرّ سلّامة وأخرج غيرها. قال: فدَعُوهم جميعاً؛ فتركوهم جميعاً.

---

(١) الخصاص: الخروق.

(٢) اللبان: الصدر.

أخبرني الحَرَميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عبد الله بن أبي فَروة قال :

قَدِمتْ رسل يزيدَ بنِ عبد الملك المدينةَ فاشتَرَوْا سلّامة المغنّية من آل رُمّانةَ بعشرين ألفَ دينار . فلما خرجتْ من مِلك أهلِها طلبوا إلى الرُّسلِ أن يتركوها عندهم أياماً ليجهّزوها بما يُشبهها من حُليٍّ وثيابٍ وطيب وصِبغ . فقالت لهم الرسل : هذا كلّه معنا لا حاجةَ بنا الى شيء منه ، وأمروها بالرّحيل . فخرجتْ حتى نزلت سِقايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك وشيّعها الخَلق من أهل المدينة . فلما بلغوا السِّقاية قالت للرسل : قومٌ كانوا يَغشَوْنني ويسلّمون عليّ ، ولا بدّ لي من وَداعهم والسلام عليهم ، فأْذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملأوا رحبةَ القصر ووراء ذلك ؛ فوقفتْ بينهم ومعها العود ، فغنّتْهم :

فارَقوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً من إيابِ
إنّ أهلَ الحِصابِ قد تركوني ... مُولَعاً مُوزَعاً بأهل الحِصابِ
أهلُ بيتٍ تتايَعوا[1] للمنايا ... ما على الدهر بعدهم من عتابِ
سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أبي مو ... سى إلى النخل من صُفيِّ السِّبابِ[2]
كم بذاك الحَجُونِ[3] من حيِّ صِدقٍ ... وكُهولٍ أعِفّةٍ وشَبابِ

قال عيسى : وكنتُ في الناس ، فلم تزلْ تُردِّد هذا الصوت حتى راحت ؛ وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها ، فما شئتُ أن أرى باكياً إلّا رأيتُه .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

وجّه يزيد بن عبد الملك الى الأحوص في القدوم عليه ، وكان الغريض معه ،

(١) تتايعوا : تهافتوا .

(٢) صفيّ السباب : موضع بمكة .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

فقال له : اخرُجْ معي حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنيه ؛ فإني لا أحمل اليه شيئاً هو أحبُّ اليه منك ، فخرجا . فلما قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به . فأنشده مدائحَ فاستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتْ اليه سلّامة جاريةُ يَزيدَ بلَطفٍ . فأرسل اليها : إن الغريض عندي قدمتُ به هديّةً اليك . فلمّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ الى الغريض وإلى الاستماع منه . فلمّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضت وبعثتْ إلى الأحوص : إذا دعاك أميرُ المؤمنين فاحتَلْ له في أن تذكر له الغريض . فلما دعا يزيد الأحوصَ قال له يزيد : وَيحك يا أحوص ! هل سمعتَ شيئاً في طريقك تُطرفنا به ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره ؛ فوقفتُ حتى استقصيْتُ خبرَه ، فإذا هو الغريض ، وإذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأشجاه :

ألا هاجَ التذكُّرُ لي سَقاماً ... ونُكْسَ الداء والوجعَ الغَراما [1]
سَلامةُ إنها هَمّي ودائي ... وشَرُّ الداء ما بَطَن العِظاما
فقلتُ له ودمعُ العينِ يجري ... على الخدَّين أربعةً سِجاما
عليكَ لها السلامُ فمن لِصَبٍّ ... يبيت الليلَ يَهذي مُستهاما

قال يزيد : وَيلك يا أحوص ! أنا ذاك في هوىً خليلتي ؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتّفق ، وإنّ ذاك لما يزيد لها في قلبي . فما صنعتَ يا أحوصُ حين سمعت ذاك ؟ قال : سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أمره ، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألني عما رأيتُ في طريقي . فقال له يزيد : ائتني بالغريض ليلاً وأخفِ أمره . فرجع الأحوص إلى منزله وبعث الى سلّامة بالخبر . فقالت للرسول : قل له جُزيتَ خيراً ، قد انتهى اليّ كلُّ ما قلتَ ، وقد تَلطَّفتَ وأحسنتَ . فلمّا وارى الليلُ أهله بعث الى الأحوص أن عجِّل المجيء إليَّ مع ضيفك . فجاء الأحوصُ مع الغريض

---

(١) الغرام : الملازم الشديد .

فدخلا عليه . فقال غنّني الصوت الذي أخبرني الأحوصُ أنه يمنعه منك – كان الأحوص قد أخبر الغريضَ الخبرَ ؛ وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرّكه به على سلّامةَ ويحتال للغريض في الدخول عليه – فقال : غنّني الصوتَ الذي أخبرني الأحوصُ . فلما غنّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال : وَيحك ! هل يمكن أن تصير الى مجلسي ؟ قيل له : هي صالحة . فأرسل اليها فأقبلتْ . فقيل ليزيد : قد جاءت ؛ فضُرب لها حجابٌ فجلستْ ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ ؛ فقالت : أحسنَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، فاسمعْه مني ؛ فأخذتِ العودَ فضربته وغنّت الصوتَ ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً ، وقال : يا أحوصُ ، إنك لمبارَك ! يا غريض غنّني في ليلتي هذا الصوتَ ؛ فلم يزلْ يغنّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال ، وقال : لا يُصبح الغريضُ في شيء من دمشق . فارتحل الغريض من ليلته ، وأقام الأحوص بعده أياماً ثم لحق به ؛ وبعثت سلّامةُ اليهما بكسوة ولَطَف كثير .

رثت يزيد وناحت عليه حين مات :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدثني رجل من أهلي من بني نَوفَل قال :

قَدِمتُ في جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبد الملك ، فألفيناه في عِلّته التي مات فيها بعد وفاة حَبابة ، فنزلنا منزلًا لاصقاً بقصر يزيد ، فكنّا إذا أصبحنا بعثنا بمولًى لنا يأتينا بخبره ، وربما أتينا البابَ فسألنا ؛ فكان يَثقُل في كلّ يوم . فإنّا لفي منزلنا ليلةً اذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك ، ثم سمعنا صوت سَلّامة القسّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول :

لا تَلُمنا إن خَشَعنا أو هَمَمنا بخُشوعِ
قد لَعَمري بِتُّ ليلي كأخي الداء الوجيع

كلّما أبصرتُ ربعاً خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيّدٍ كا ن لنا غيرَ مُضِيع

ثم صاحت وا أميرَ المؤمنين! فعلِمنا وفاتَه، فأصبحنا فغدَونا في جنازته.

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن أبي أوَيس عن أبيه قال:

قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقِرُّ عيني ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أشترِي سَلّامة جاريةَ مُصعَب بن سُهَيل الزُّهريّ وحَبابةَ جاريةَ آل لاحِق المكيّة؛ فأرسل فاشتُريتا له. فلمّا اجتمعتا عنده قال: أنا الآن كما قال الشاعر:

فألقتْ عَصاها واستقرّ بها النّوى كما قَرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

فلمّا تُوُفّي يزيد رثته سَلّامةُ فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر:

لا تَلُمنا إن خَشَعنا أو هَمَمنا بخُشوعِ
إذ فقدنا سيّداً كا ن لنا غيرَ مُضيع
وهو كاللّيثِ إذا ما عُدّ أصحابُ الدروع
يَقنِص الأبطالَ ضرباً في مُضِيٍّ ورجوع

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدثنا الزبير والمدائنيّ أن سَلّامةَ كانت لسُهَيل ابن عبد الرحمن بن عَوف، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك، وكانت مغنّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر، فما رأيتُ خِصالاً أربعاً أجتمعنَ في امرأةٍ مثلِها: حُسن وجهها وحسن غنائها وحسن شِعرها. قال: والشعر الذي كانت تغنّي به:

لا تَلُمنا إن خَشَعنا أو هَمَمنا بخُشوعِ
لِلّذي حلّ بنا اليو مَ من الأمرِ الفظيع

وذكر باقيَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه .

قال إسحاق وحدثني الجُمَحيّ قال حدثنا مَن رأى سَلّامةَ تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرثِيَةٍ رثته بها، فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك ولا أشجى؛ ولقد أبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفتنت الأسماعَ، وهي :

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ بالشام في طَرَفِ الكثيبِ
بالشام بين صفائحٍ صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجَبُوب[1]
لمّا سمعتُ أنينَه وبكاءه عند المَغيب
أقبلتُ أطلبُ طِبَّه والداء يُعضِلُ بالطبيب

الشعر لرجل من العرب كان خرج بأبن له من الحجاز الى الشام بسبب امرأةٍ هَوِيها وخاف أن يفسُد بحبّها؛ فلما فقدها مرِض بالشام وضَني فمات ودُفن بها . كذا ذكر ابن الكلبيّ، وخبره يُكتَب عَقِبَ أخبار سَلّامة القسّ . والغناء لسلّامة ثقيلٌ اولُ بالوسطى عن حَبَش . وفيه لحَكَم رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحن لابن غَزوان الدِمشقيّ من كتاب ابن خُرداذبه غيرِ مجنَّس .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الجُمَحيّ قال :

حدثني مَن حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلّامةَ أن تغنّيَه شعرَها في يزيد وهي تتنغّص من ذلك وتدمَع عيناها؛ فأقسم عليها فغنّته ؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك . فقال لها الوليد : رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلّامة ! بِمَ كان أبي يقدِّم عليكِ حَبابة ؟ قالت : لا أدري والله ! قال لها : لكنّني والله أدري ! ذلك بما قسم الله لها . قالت : يا سيّدي أجل .

(١) الجبوب : المدر المفتت .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثني عبد الله بن عبد الملك الهَداديّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر:

قَد لعَمري بتُّ ليلي كأخي الداء الوَجيعِ
ونجيُّ الهمِّ مـنّي بات أدنى من ضلوعي
كلّما أبصرتُ رَبعاً دارساً فاضتْ دموعي
مُقفِراً من سيّدٍ كا ن لنا غيرَ مُضيع

والشعر للأحوص. والنَّوح لمعبد؛ وكان صنعه لسَلَّامةَ وناحت به سَلّامةُ على يزيد. فلما سمعتُه منها استحسنتُه واشتهيتُه ولَهِجتُ به، فكنتُ أترنّم به كثيراً. فسمع ذلك منّي أبي فقال: ما تصنع بهذا؟ قلت: شعرٌ قاله الأحوصُ وصنَعه معبدٌ لسلّامةَ وناحت به سَلّامةُ على يزيد. ثم ضرَب الدهرُ؛ فلما مات الرشيد إذا رسولُ أمّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسِرتُ اليها؛ فبعثتْ إليّ: إني قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبناتِ هاشم لننوح على الرشيد في ليلتنا هذه؛ فقُلِ الساعةَ أبياتاً رقيقةً وأصنعهن صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهن. فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضَرني وجعلتْ تُرسِل إليّ تَحُثُّني، فذكرتُ هذا النَّوحَ فأريتُ أنّي أصنع شيئاً، ثم قلت: قد حضرني القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ؛ فبعثتْ إليّ بكُنَيزة وقالت: طارِحها حتى تُطارحَنيه. فأخذتْ كُنيزةُ العود وردّدته عليها حتى أخذَته، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر؛ فبعثت إليّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

لقد فتنَتْ رَيّاً وسَلّامةُ القَسّا فلم تترُكا للقسّ عقلاً ولا نفسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةٌ الـــهلالِ وأخرى منهما تُشبه الشمسا

الشعر لعبد الله بن قَيس الرُّقيات . والغناء لمالــك خفيفُ ثقيلٍ اول بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُريج ثقيــلٌ اول عن الهشاميّ . وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لُحنَين الحيرِي . وقيل : إنّ الثقيلَ الاول لدَحمان.

ومنها الشعرُ الذي أوله :

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

صوت

أألثلةُ جرّ جيرتُكِ الزِّيالا[1] وعــاد ضميرُ ودِّكمُ خبالا

فإنّي مستقيلكِ أثــلُ لُبّي ولُبُّ المرء أفضلُ ما استقالا

اهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ولو أنّي أطيع القلبَ قالا

حياء منكِ حتى سُلّ جسمي وشقّ عليّ كِتماني وطالا

الشعر للقسّ . والغناء لَمعبد خفيفُ ثقيلٍ اول مطلق في مجرى البنصر . وفيــه لَمعبد ثقيلٌ اول بالوسطى، أوله :

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثنا بكّار بن رَباح قال :

---

(١) الزيال : الفراق .

كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية، وقد كانت أصابتْ جدَه مِنّةٌ من صَفوان بنِ أميَّة، وكان ينزل مكةَ، وكان من عُبّاد أهلها، فسُمّي القسَّ من عِبادته. فمرّ ذاتَ يومٍ بسلّامةَ وهي تغني فوقف فتسمّع غناءها. فرآه مولاها فدعاه الى أن يُدخله اليها فيسمعَ منها، فأبى عليه. فقال له: فإني أُقعدك في مكانٍ تَسمع منها ولا تراها. فقال: أمّا هذا فنعم. فأدخله دارَه وأجلسه حيث يسمع غناءها؛ ثم أمرها فخرجت اليه. فلمّا رآها عَلِقت بقلبه فهامَ بها، واشتهر وشاع خبرُه بالمدينة. قال: وجعل يتردّد الى منزل مولاها مدّةً طويلة. ثم إنّ مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخلّفه مقيماً عندها؛ فقالت له: أنا والله أُحبُّك! فقال لها: وأنا والله الذي لا إله إلّا هو. قالت: وأنا والله أشتهي أن أعانِقَك وأُقبِّلَك! قال: وأنا والله. قالت: وأشتهي والله أن أضاجِعَك وأجعلَ بطني على بطنك وصَدري على صدرك! قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك من ذلك؟ فوالله إنّ المكان لخالٍ! قال: يمنعني منه قولُ الله عزّ وجلّ (ألأخلّاء يومئذٍ بعضُهمْ لبعضٍ عدوٌّ إلّا المُتَّقين) فأكره أن تَحولَ مودّتي لك عداوةً يوم القيامة. ثم خرج من عندها وهو يبكي؛ فما عاد اليها بعد ذلك.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبَّة عن المدائنيّ قال:

لما مَلَك يزيدُ بن عبد الملك حَبابةَ وسلّامةَ القسِّ تمثّل:

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النّوى ... كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

ثم قال: ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتْني.

صوت

من المائة المختارة

وإني لَيُرضيني قليلُ نَوالِكم ... وإن كنتُ لا أرضى لكم بقليلِ
بحُرمةِ ما قد كان بيني وبينكم ... من الوصل إلّا عُدتُمُ بجميلِ

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفَزاريّ. ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيفُ رمَلٍ أوله الثاني ثم الاول، ينسب الى حَكَم الواديّ والى سليمانَ أيضاً. وفيه لحنٌ من الثقيل الاول يقال: إنه لمُخارِق، وذكر حَبَش أنّ لحن مُخارِق ثاني ثقيلٍ.

أخبار العباس بن الاحنف ونسبه

نسب العباس بن الأحنف :

هو – فيما ذكر ابن النطّاح – العبّاس بن الأحنف بن الأسوَد بن طَلحةَ بن جدّانَ بن كَلَدَةَ من بني عَدِيّ بن حَنيفة .

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم ابن العبّاس يقول :

العبّاس بن الأحنف بن الأسوَد بن قُدامةَ بن هِميانَ من بني هَفّان بن الحارث ابن الذُّهل بن الدُّول بن حَنيفة . قال : وكان حاجبُ بن قُدامة عمُّ العبّاس من رجال الدولة .

قال محمد بن يحيى وحدثني أبو عبد الله الكِنديّ قال حدثني محمد بن بكر الحَنَفيّ الشاعر قال حدثني أبي قال :

سمعت العباس بن الأحنف يذكر أنّ هَوذةَ بن عليّ الحنفيّ قد ولَده من قِبَل بعض أمّهاته .

وكان العبّاس شاعراً غَزِلاً ظريفاً مطبوعاً، من شعراء الدولة العبّاسية ، وله مذهبٌ حسنٌ، ولديباجةِ شعره رَونَقٌ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطف . ولم يكن يتجاوز الغزل الى مديح ولا هجاء، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني . وقدّمه أبو العباس المبرّد في كتاب الرّوضة على نُظرائه، وأطنبَ في وصفه، وقال : رأيتُ

جماعةً من الرُّواة للشعر يقدّمونه . قال : وكان العبّاس من الظُّرفاء، ولم يكن من الخلعاء؛ وكان غَزِلًا ولم يكن فاسقاً؛ وكان ظاهرَ النعمة مُلوكيَّ المذهب شديدَ التَّترُّف، وذلك بَيِّنٌ في شعره . وكان قصدُه الغزَلَ وشغلُه النسيب، وكان حلواً مقبولًا غَزِلًا غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف في الغزَل وحدَه، ولم يكن هجّاءً ولا مدّاحاً .

أخبرني محمد بن يحيي قال حدثنا أبو ذكوان قال :

سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يصف العبّاس بن الأحنف، فقال : كان والله ممن إذا تكلم لم يُحِبَّ سامعه ان يسكت، وكان فصيحاً جميلًا ظريفَ اللِّسان، لو شئتَ أن تقول كلامُه كله شعرٌ لقلتَ .

حدّثني محمد بن يحيي قال حدثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

رأيت نُسَخاً من شعر العباس بن الأحنف بخراسان، وكان عليها مكتوب : « شعرُ الأمير أبي الفضل العباس » .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني صالح بن عبد الوهّاب :

أن العبّاس بن الأحنف كان من عرب خُراسان، ومنشأه ببغداد؛ ولم تزل العلماء تقدّمه على كثير من المحدَثين، ولا تزال قد ترى له الشيء البارعَ جِداً حتى تُلحِقه بالمحسنين .

أخبرني محمد بن يحيي قال حدثنا يَموت بن المُزرَّع قال :

سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول : لولا ان العباس بن الأحنف أحذقُ

الناس وأشعرُهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدَر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه؛ لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسَّب ولا يتصرَّف؛ وما نعلم شاعراً لَزِم فنّاً واحداً لزومَه فأحسن فيه وأكثر.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن القاسم بن خلّاد قال: أنشد الحِرمازيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف:

صوت

لا جَزَى اللهُ دمعَ عينيّ خيراً وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني
نَمَّ دمعي فليس يكتم شيئاً ورأيتُ اللِّسان ذا كِتمانِ
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَيٌّ فاستدلُّوا عليه بالعُنوانِ

— الغناء لعَريبَ رملٌ — ثم قال الحِرمازيّ: هذا والله طِرازٌ يطلب الشعراء مثله فلا يقدِرون عليه.

أخبرني محمد قال حدثني حسين بن فَهم قال سمعت العَطَويّ يقول:

كان العبّاس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غزِلاً، وكان أبو الهُذَيل العلّاف يُبغضُه ويلعنه لقوله:

إذا أردتُ سُلُوّاً كان ناصركم قلبي، وما أنا من قلبي بمنتصرِ
فأكثِروا او أقِلّوا من إساءتكم فكلٌّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ

قال: فكان أبو الهُذَيل يلعنه لهذا ويقول: يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعره.

قال محمد بن يحيى: وأنشدني محمد بن العباس اليَزيديّ شعراً للعباس أظنه يهجو به أبا الهُذَيل — وما سمعت للعباس هجاءً غيرَه —:

يا مَن يُكذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تَذَرُ
كذَّبتَ بالقَدَرِ الجاري عليك فقد أتاك منّي بما لا تشتهي القَدَرُ

حدثني محمد بن يحيي قال حدثني محمد بن سعد عن الرِّياشيّ قال :

قيل للأصمعيّ — أو قلتُ له — ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحْدَثين ؟ قال : قول العباس بن الأحنف :

صوت

لو كنتِ عاتبةً لَسكَّنَ رَوْعَتي أَملي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقِبِ
لكن مَلِلْتِ فلم تكن لِيَ حيلةٌ صَدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

الغناء للعباس أخي بَحر رمَلٌ .

معابثته الأصمعي في مجلس الرشيد :

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ ومحمد بن العباس اليزيديّ قالا ، واللفظ لهاشم، قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال :

دخل عمي على الرشيد والعباسُ بن الأحنف عنده ؛ فقال العباس للرشيد : دَعني أعبَث بالأصمعيّ . قال له الرشيد : إنه ليس ممن يحتمل العَبَثَ . فقال : لستُ أعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه . قال : أنت أعلم . فلما دخل عمي قال له : يا أبا سعيد ، مَن الذي يقول :

إذا أحببتَ أن تصنــع شيئاً يُعجِب النـاسا
فصوِّرْ هاهنــا فَوزاً وَصَـوِّرْ ثَمَّ عبّاسا
فإنْ لم يَـدنوَا حتى ترى رأسَيهما راسـا

فكذّبها بما قاست وكذّبه بما قاسى

فقال له عمي يعرّض بأنه نبطيٌّ : قاله الذي يقول :

إذا أحببتَ أن تُبصِرَ شيئاً يُعجب الخلقا
فصوِّرْ هاهنا دورا وصوِّرْ هاهنا فلقا
فإن لم يَدنُوَا حتى ترى خلقيهما خلقا
فكذّبها بما لاقتْ وكذّبه بما يلقى

قال : فخجل العباس ، وقال له الرشيد : قد نهيتك فلم تقبل .

حدثني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن العباس للعباس بن الأحنف :

صوت

قالت ظلومُ سميّةُ الظُّلمِ مالي رأيتُك ناحلَ الجسمِ
يا مَن رمَى قلبي فأقصَدهُ أنت العليمُ بموضعِ السَّهمِ

فقلت له : إن أبا حاتم السِّجستانيّ حكى عن الأصمعيّ أنه أنشد للعباس ابن الأحنف :

صوت

أتأذنون لِصبٍّ في زيارتكم فعندكم شهواتُ السمعِ والبصرِ
لا يُضمِرُ السُّوء إن طال الجلوسُ به عفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعيّ : ما زال هذا الفتى يُدخل يده في جرابه فلا يُخرج شيئاً ، حتى

أدخلها فأخرج هذا؛ ومَن أدمَنَ طلب شيء ظفِر ببعضه . فقال إبراهيم بن العباس : أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ ، ولكن أنشدُك للعبَّاس ما لا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه ، ثم أنشدني قولَه :

واللهِ لو أنّ القلوبَ كقلبها ... ما رَقّ للولدِ الضعيفِ الوالدُ

وقوله :

لكن مَلِلتِ فلم تكن لي حيلةٌ ... صَدُّ الملولِ خلافُ صدّ العاتب

وقوله :

حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوى ... جاءت أمورٌ لا تُطاقُ كِبارُ

ثم قال : هذا والله ما لا يقدِر أحدٌ على أن يقول مثله أبداً .

حدّثني عمي قال حدّثني ميمون بن هارون قال : كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبنانَ : غنّيني:

أتأذَنونَ لِصَبٍّ في زيارتكم ... فعندكم شَهَواتُ السَّمعِ والبصرِ
لا يُضمِرُ السوء إن طال الجلوسُ به ... عَفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

قال : فضحكتْ ثم قالت : فأيُّ خيرٍ فيه إن كان كذا أو أيّ معنًى ! فخجِل الحسن من نادرتها عليه ، وعجبنا من حدّة جوابها وفِطنتها .

حدّثني الصُوليّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النَّصِيبيني قال سمعتُ سعيد بن جُنَيد يقول : ما أعرف أحسن من شعر العبَّاس في إخفاء أمرِه حيث يقول :

أريدُكِ بالسلام فأتّقيهم ... فأعمِدُ بالسلام إلى سِواكِ
وأكثِرُ فيهم ضَحِكي ليَخفى ... فسِنّي ضاحكٌ والقلبُ باكِ

حدثني الصوليّ قال حدثني عليُّ بن محمد بن نصر قال حدثني خالي أحمد بن حَمدون قال :

كان بين الواثق وبين بعض جواريه شَرٌّ فخرج كسلانَ ؛ فلم أزَل أنا والفتحُ ابن خاقانَ نحتال لنشاطه ؛ فرآني أضاحك الفتح فقال : قاتل الله ابنَ الأحنف حيث يقول :

عَدْلٌ من الله أبكاني وأضحكها   فالحمدُ لله عدلٌ كلُّ ما صنعا
اليوم أبكي على قلبي وأندُبُه   قلبٌ ألحّ عليه الحبُّ فانصدعا

فقال الفتح : أنت والله يا أمير المؤمنين في وَضع التَمَثُّل موضعه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ .

تمثل بشعره في عتاب جارية له :

أخبرني الصوليّ قال حدثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال :

قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جرى بينهما عَتْبٌ : إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعزّ الحبّ . أتُراكَ لم تَسمع بخليفة عشِق قبلك قطُّ فاستوفى من معشوقه حقَّه ؛ ولكنّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك . فقال الواثق : لله درُّ ابن الأحنف حيث يقول :

أما تَحسَبيني أرى العاشقينَ   بلى، ثم لستُ أرى لي نظيرا
لعلّ الذي بيديه الأمورُ   سيَجعل في الكُرْه خيراً كثيرا

مدح الزبير بن بكار شعره :

حدثني الصوليّ قال حدثني المُغيرةُ بن محمد المُهلّبيّ قال : سمعتُ الزبير يقول : ابن الأحنف أشعرُ الناس في قوله :

تَغْتَلّ بالشُّغل عَنّا ما تكلّمنا الشُّغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

ويقول: لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرِها وشرّها إلا وهو يصلح أن يُتمثَّل فيه بهذا النصف الاخير.

حدثني الصوليّ قال حدثني محمد بن سعد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظَرُف ابنُ الأحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوم:

قِفا خَبِّراني أيها الرجلانِ عن النوم إنّ الهجرَ عنه نَهاني
وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُه صِفا النّومَ لي إن كنتما تَصِفانِ

قال: على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

حدثني الصوليّ قال حدثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: رأيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العبّاس بن الأحنف، فعَجِبتُ منه وقلتُ: مثلُك - أعزّك الله - يحمل هذا! فقال: ألا أحمِل شعرَ من يقول:

صوت

أسأتُ أن أحسنتُ ظنّي بكم والحَزْمُ سوءُ الظنّ بالنّاسِ
يُقلقني الشوقُ فآتيكمُ والقلبُ مملوءٌ من اليأس

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحرز خفيفَ رملٍ بالوسطى. وأوّلُ الصوت:

يا فوزُ يا مُنيةَ عبّاس واحَرَبا من قلبك القاسي

أعجب أعرابي بشعره:

وروى أحمد بن إبراهيم قال: أتاني أعرابي فصيحٌ ظريف، فجعلت أكتب

عنه أشياء حساناً؛ ثم قال : أنشِدني لأصحابكم الحضَريين . فأنشدتُه للعبَّاس بن الأحنَف :

ذكَرْتُك بالتُّفَّاح لمَّا شَمِمْتُه ... وبالرَّاح لما قابلتْ أوجُهَ الشَّرْبِ
تذكَّرتُ بالتفاح منك سَوالفاً ... وبالرّاح طعماً من مُقبَّلك العَذْبِ

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عنّي ! لا أنشِدك حرفاً بعد هذا .

وحدثني الصوليّ قال حدثني الحسين بن يحيي الكاتب قال سمعت عبد الله بن العبَّاس بن الفضل يقول : ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف :

سبحانَ ربِّ العُلا ما كان أغفَلَني ... عمّا رمَتْني به الأيامُ والزمنُ
مَن لم يَذُقْ فُرقةَ الأحبابِ ثم يرى ... آثارَهم بعدهم لم يَدرِ ما الحزَنُ

قال أبو بكر : وقد غنّى عبد الله بن العبَّاس فيه صوتاً خفيفَ رملٍ .

حدثني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال : سمعتُ حسين بن الضحّاك يقول :

لو جاء العبَّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذِر ، وهو قولُه :

لَعَمْرُكَ ما يستريح المُحِبُّ ... حتى يَبوحَ بأسرارِهِ
فقد يكتُم المرءُ أسرارَه ... فتظهرُ في بعض أشعارِهِ

ثم قال : أمّا قولُه في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو :

أُحبُّ أملَكُ للفؤاد بقهره ... من أن يُرى للسِّتر فيه نصيبُ
وإذا بَدا سرُّ اللبيبِ فإنّه ... لم يَبْدُ إلّا والفتى مغلوبُ

أخبرني الصوليّ قال حدثني الغلابيّ قال حدثني الزُّبير بن بَكّار قال قال أبو العتاهية : ما حسَدْتُ أحداً إلا العباسَ بن الأحنف في قوله :

إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ على قُربٍ فذاك هو البعيدُ

فإني كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره . فقلت له : صدقت ، هو يُشبه شعرك .

أخبرني الصوليّ قال حدثني أبو الحسن الأنصاريّ قال : سمعتُ الكِنديّ يقول : العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ في شعره ، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ . فكان يُنشد له كثيراً :

صوت

ألا تَعجبون كما أعجبُ حبيبٌ يُسِيء ولا يُعتِبُ
وأبغي رضاهُ على سُخطِهِ فيأبى عليّ ويستصعِبُ
فيا ليتَ حَظِي إذا ما أسأ تَ أنك ترضى ولا تَغضَبُ

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا محمد بن الفضل قال حدّثني حماد بن إسحاق قال :

كان جَدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس ، فتغنّى في كثيرٍ من شعره ، فذكر أشعاراً كثيرةً حَفِظتُ منها :

صوت

وقد مُلِئتْ ماءَ الشّبابِ كأنها قضيبٌ من الرّيحان رَيّانُ أخضرُ
هُمُ كتموني سَيْرَهم حين أزمعوا وقالوا اتّعدْنا للرّواح وبَكّروا

ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّويه رمل ، وفي كتاب ابن المكيّ أنه لابن سُرَيج ، وهو غَلطٌ .

كلمة المأمون لما أنشد بيتاً له :

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهم قال :

أنشِد المأمون قولَ عبّاس بن الأحنف :

هُمُ كتموني سَيرَهم حين أزمعوا   وقالوا اتّعدْنا للرّواح وبكّروا

فقال المأمون : سَحِروا بأبي الفضل .

قال : وحفِظتُ منها :

صوت

تمنّى رجالٌ ما أحبُّوا وإنما   تمنّيتُ أن أشكو اليكَ وتَسمعا
أرَى كلّ معشوقين غيري وغيرها   قد استعذَبا طولَ الهوى وتمتّعا

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ثقيل أوّل بالوسطى يُنسبُ الى يزيد حوراء والى سُلَيم بن سلّام .

قال وحفِظتُ منها :

بكتْ عيني لأنواعِ   من الحزن وأوجاعِ
وأني كل يوم عنـ   ـدكم يَحظى بيَ الساعي
أعيشُ الدّهرَ إن عشتُ   بقلبٍ منكِ مُرتاعِ

وإن حـلّ بيَ البعدُ سيَنْعاني لـكِ النّاعي

الغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيم بن المهديّ فيه لحنَين: ثقيلاً أوّل وماخُورياً. وفيه هزَجٌ مُحدَثٌ.

أخبرني الصوليّ قال حدثنا أصحابُنا عن محمد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال:

ما غنّى جَدّي في شعر أحد من الشعراء أكثر ممّا غنّى في شعر ذي الرُّمّة وعبّاس بن الأحنف.

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله التّميميّ قال:

كنا في مجلس ابن الأعرابيّ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابنَ الأعرابيّ، وكان يحبه ويأنَسُ به، فقال له: ما أخّرك عنّي؟ فاعتذر بأشياء ثم قال: كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به، فاستكثر ذلك ابنُ الأعرابيّ واستهاله وعجِب منه، وقال: ما هو؟ قال: غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف:

بكت عيني لأنواعٍ من الحزن وأوجـاعِ
وأني كل يوم عنـدكم يَحظى بيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيّ: أما الغناء فما أدري ما هو، ولكن هـذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ.

حدثني الصُّوليّ قال حدثنا محمد بن الهيثم قال حدثني محمد بن عمرو الرّوميّ قال:

كنّا عند الواثق فقال : أريد أن أصنع لحناً في شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائناً من كان لا يقدِر على الاحتراس من عدوّه ، فهل تعرفون في هذا شيئاً ؟ فأنشدنا ضروباً من الأشعار؛ فقال : ما جئتم بشيء مثل قول عبّاس بن الأحنف :

قلبي الى ما ضرّني داعي يُكثِر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عدوّي بين أضلاعي
أسلمني للحبّ أشياعي لمّا سعى بي عندها السّاعي
لقلّما أبقى على كلّ ذا يُوشك أن يَنعاني النّاعي

قال : فعَمِل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الاول، النشيد بالوسطى .

حدثني الصوليّ قال حدثني محمد بن موسى أو حُدِّثتُ به عنه عن عليّ بن الجهم قال :

انصرفتُ ليلةً من عند المتوكل، فلما دخلتُ منزلي جاءني رسوله يطلبني، فراعني ذلك وقلت : بلاء تُتُبِّعتُ به بعد انصرافي، فرجعتُ اليه وَجِلاً، فأُدخِلتُ عليه وهو في مَرقَده . فلما رآني ضحِك، فأيقنتُ بالسلامة؛ فقال : يا عليّ ، أنا مُذ فارقتُك ساهرٌ؛ خطَر على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغنّي فيه أخي، قولُ الشاعر :

قلبي الى ما ضرّني داعي

الأبيات . فحَرَصتُ أن أعمَل مثلَ هذا فلم يَجِئني ، أو أن أعمَل مثلَ اللحن فما أمكنني؛ فوجدتُ في نفسي نقصاً، فقلت : يا سيّدي، كان أخوك خليفةً يغنّي وأنت خليفةٌ لا تغنّي؛ فقال : قد والله أهديتَ الى عيني نوماً ، أعطوه ألفَ دينار، فأخذتُها وانصرفتُ .

وجدتُ في كتاب الشّاهيني بغير إسناد :

انشد ابو الحارث جميز من شعره :

أنشد أبو الحارث جُمّيز قول العباس بن الأحنف .

قلبي الى ما ضرّني داعي

الأبيات . فبكى ثم قال : هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طبّاخةٍ مليحة؛ فقلت له : من أين قلت ذاك ؟ قال : لأنه بَدأ فقال :

قلبي الى ما ضرّني داعي

وكذلك الإنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه الى ما يضرّه من الطّعام والشّراب فيأكله ، فتكثر عِلله وأوجاعُه، وهذا تعريض؛ ثم صرّح فقال :

كيف احتراسي من عدوّي إذا　　كان عدوّي بين أضلاعي

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلا مَعِدتُه، فهي تُتلِف مالَه، وهي سببُ أسقامِه، وهي مِفتاح كلّ بلاء عليه، ثم قال :

إن دام لي هجرُكِ يا مالِكي　　أوشك أن يَنعانيَ النّاعي

فعلمتُ أنّ الطبّاخةَ كانت صديقتَه، وأنها هجرته ففقدها وفقد الطّعامَ، فلو دام ذاك عليه لمات جوعاً ونعاه الناعي .

وحدثني الصوليّ قال حدثني محمد بن عيسى قال :

جاء عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن بن وهب ، وعنده بَنان جاريةُ محمد بن حمّاد ، وهي نائمةٌ سَكرى وهو يبكي عندها . فقال له :

ما لكَ ؟ قال : قد كنتُ نائماً فجاءتني فأنبهتني وقالت: اجلس حتى تشربَ فجلستُ، فوالله ما غنَّتْ عشرةَ أصوات حتى نامت وما شربتُ إلّا قليلاً ، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم ، العبَّاس بن الأحنف :

صوت

أبكي الذين أذاقوني مودَّتهم   حتى إذا أيقظوني للهوى رقدُوا

فأنا أبكي وأنشِد هذا البيت .

وحدثني الصوليّ قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :

سمعت إبراهيم بن العبَّاس يقول : ما رأيتُ كلاماً مُحدَثاً أجزلَ في رقَّةٍ ، ولا أصعبَ في سهولةٍ، ولا أبلَغ في إيجازٍ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالَيْ نُجدِّدِ دارسَ العهد بيننا   كلانا على طول الجفاء مَلُومُ

قال الصوليّ : ووجدتُ بخطّ عبد الله بن الحسن : أنشد أبو محمد الحسن بن مَخلَد قال : أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف :

صوت

إن قال لم يَفعَل وإن سِيلَ لم   يَبذُل وإن عُوتِبَ لم يُعتِبِ
صبٌّ بعِصياني ولو قال لي   لا تَشربِ الباردَ لم أشربِ
إليك أشكو ربِّ ما حلّ بي   من صدِّ هذا المُذنِبِ المُغضِبِ

— غنّى في هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجاً بالوسطى . وفيها لحنٌ آخر لغيره —
قال الحسن بن مَخلَد : ثم قال لي إبراهيم بن العباس : هذا والله الكلامُ الحسنُ المعنى، السهلُ المورِدِ، القريبُ المتناوَل، المليحُ اللفظ، العذبُ المستمَع .

حدثني الصوليّ قال حدثني أحمد بن يزيد المهلّبي قال :

سمعتُ عليّ بن يحيي يقول : من الشعر المرزوق من المغنّين خاصّة شعر العباس ابن الأحنف، وخاصّة قوله :

نامَ من أهدى ليَ الأرَقَا ... مستريحاً سامني قَلقَا

فإنّه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق وغيرهما . قال: وكان يَستحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إياه حَمله على أن قال في رَوِيّه وقافيته :

بأبي واللهِ مَن طرَقَا ... كابتسام البرق إذ خَفقَا

وعمِل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصبع الوسطى . هكذا رواه الصُّوليّ . وأخبرني جَحظة قال حدثني حمّاد بن إسحاق قال : قال أبي : هذا الصوت :

نام من أهدى ليَ الأرَقَا

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصَّنعة واشتراك المغنّين في ألحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمدون أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق .

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

نام من أهدى ليَ الأرَقا ... مستريحاً زادني قَلقَا
لو يَبيتُ الناسُ كلُّهم ... بسهادي بيَّض الحدَقا
كان لي قلبٌ أعيش به ... فاصطلى بالحبّ فاحترقا
أنا لم أرزَق مودّتكم ... إنما للعبد ما رُزِقا

لإسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى في مجراها. ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل آخرُ. ولابن جامع فيه لحنان: رَمَلٌ مُطلَق في مجرى الوسطى في الاول والثالث، وخفيفُ رملٍ مطلَق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلها. وفيه لسُلَيم هزَجٌ، وفيه لعَلويه ثقيلٌ اول.

نسبة صوت عليّ بن يحيى

صوت

بأبي واللهِ مَن طَرَقا ... كابتسامِ البرق إذ خَفقا
زادني شوقاً بزَورَته ... وملا قلبي به حُرقا
مَن لقلبٍ هائمٍ دَنِفٍ ... كلّما سلّيتُه قَلِقا
زارني طيفُ الحبيبِ فما ... زاد أن أغرى بيَ الأَرَقا

الشعر لعليّ بن يحيي؛ وذكر الصوليّ أن الغناء له خفيفُ ثقيلٍ اول بالوسطى. وذكر أبو العُبَيس بن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته. وفيه لعَريب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً.

حدثني الصوليّ قال: سمعتُ عبد الله بن المعتزّ يقول: لو قيل: ما أحسنُ شيءٍ تعرِفه؟ لقلتُ: شعرُ العباس بن الأحنف:

صوت

قد سحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا ... وفرّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقا
فكاذِبٌ قد رمى بالحبّ غيرَكُمُ ... وصادقٌ ليس يَدري أنّه صدَقا

قال: وللمسدود في هذا الشعر لحن. قال: ولم يُغنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه في شعر العبّاس بن الأحنف. هكذا ذكر الصوليّ، ولم يأت بغير هذا. ولإسحاق

في هذين البيتين ثقيلٌ اولُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ولابن جامع ثقيلٌ اولُ بالوسطى عن الهشاميّ. وليزيد حوراء خفيفُ ثقيل عنه. وللمسدود رملٌ. ولعبد الله بن العباس الرَّبيعيّ خفيفُ رمَلٍ.

وأخبرني الصوليّ قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس اليه، فتأخّرت عن استرضائه، فغمّه ذلك، فوجّه الى أبي يُعلِمهُ ويشكوها اليه. فكتب اليه أبي: لك العزّة والشرف، ولأعدائك الذلّ والرَّغم. استعمِلْ قولَ العباس بن الأحنف:

تحمَّلْ عظيمَ الذنب ممن تحبّه وإن كنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ
فإنك إلّا تغفِر الذنبَ في الهوى يُفارِقك من تهوى وأنفُك راغِمُ

فقال: صدقتَ، وبعث اليها فترضّاها.

دافع مصعب الزبيري عن شعره:

أخبرني الصوليّ قال حدثني أبو بكر بن أبي خيثمةَ قال:

قيل لمُصعَب الزبيريّ: إن الناس يَستبرِدون شعرَ العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أليس الذي يقول:

صوت

قالت ظلومُ سميّةُ الظُّلْم ما لي رأيتُك ناحلَ الجسمِ
يا من رمى قلبي فأقصدَه أنت العليمُ بموقع السَّهمِ

الغناء لأبي العُبَيس أو ابنه إبراهيم، ماخوريّ .

قال شعراً في البكاء فأجازته أم جعفر :

أخبرني الصوليّ قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني أبو عبد الله الهشاميّ الحسن بن أحمد قال حدثنا عمرو بن بانَةَ قال :

كنّا في دار أمّ جعفر جماعةٌ من الشعراء والمغنّين ؛ فخرجتْ جاريةٌ لها وكمّها مملوء دراهم، فقالت : أيكم القائل :

من ذا يُعيرك عينه تبكي بها   أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

فأومىٔ الى العباس بن الأحنف؛ فنثرت الدراهمَ في حِجره فنفضها فلقطها الفرّاشون؛ ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلّ فرّاش بَدرةٌ فيها دراهم، فمضَوْا بها الى منزلِ العبّاس بن الأحنف .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال حدثني محمدُ بن موسى قال :

أنشِد الرشيدُ قولَ العبّاسِ بنِ الأحنف :

من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها

فقال : مَن لا صَحِبه الله ولا حاطه .

حدثني الصوليُّ قال حدثني عَونُ بن محمد الكِنديّ قال :

كنّا مع مَخلَد المَوصليّ في مجلس وكان معنا عبدُ الله بن ربيعةَ الرَّقّي ؛ فأنشد مَخلد المَوصليّ قصيدةً له يقولُ فيها :

كلُّ شيء أقوى عليه ولكنْ ليس لي بالفراق منك يدانِ

فجعل يستحسنه ويردّده، فقال له عبدُ الله: أنتَ الفِداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول:

سلبتْني من السُّرور ثِياباً وكستني من الهموم ثِياباً
كلما أغلقتْ من الوصل بابا فتحتْ لي الى المنيَّةِ بابا
عذِّبيني بكلِّ شيء سوى الصدّ فما ذقتُ كالصدود عذابا

قال: فضحك الموصليّ. والشعرُ للعباس بن الأحنف.

مدح الرياشي شعره:

وأخبرني الصوليّ قال حدثني أبو الحسن الأسديُّ قال:

سمعت الرِّياشيّ يقولُ، وقد ذُكِر عندَه العباسُ بنُ الأحنف: والله لو لم يقلْ من الشعر إلا هذين البيتين لكفَيا:

صوت

أحرَمُ منكم بما أقولُ وقد نالَ به العاشقونَ مَن عشِقُوا
صِرت كأني ذُبالةٌ نُصِبتْ تُضيء للناسِ وهي تحترقُ

وفي هذين البيتين لحنٌ لعبدِ الله بنِ العبّاس من الثقيل الثاني بالبِنصر. وفيه لخزرَج رمَل اولُ عن عبد الله بن العبّاس:

أنتِ لا تعلمينَ ما الهمُّ والحُزْ نُ ولا تعلمـين ما الأرَقُ

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال حدثني بعضُ مشايخ الأزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال :

كان الرشيد يقدِّم أبا العتاهية حتى يجوزَ الحدَّ في تقديمه، وكنت أقدِّم العباس ابنَ الأحنف؛ فاغتابني بعضُ الناسِ عند الرشيد وعابني عنده، وقال عقِبَ ذلك: وبحَسبِك يا أميرَ المؤمنين أنه يُخالِفُك في العباس بن الأحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذقِه وتجريبه، ويقدِّمه على أبي العتاهية مع مَيْلك اليه. وبلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد؛ فقال لي ابتداء: أيما أشعرُ عندك: العباسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلِمتُ الذي يريدُ، فأطرقتُ كأني مُستَثبِتٌ ثم قلت: أبو العتاهية أشعرُ. قال: أنشِدني لهذا ولهذا؛ قلت: فبأيّهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدتُه أجودَ ما أرويه للعبّاس، وهو قوله:

أحرَم مِنكم بما أقولُ وقد ... نال به العاشِقونَ مَن عَشِقوا

فقال لي: أحسَن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدِرُ عليه، وهو قوله:

كأنَّ عُتّابَةَ من حُسنها ... دُميَةُ قَسٍّ فتنتْ قَسَّها
يا ربِّ لو أنسيتَنِيها بما ... في جَنّةِ الفردوسِ لم أنسَها
إني إذاً مثلُ التي لم تَزل ... دائبةً في طحنِها كُدسَها [1]
حتى إذا لم يبقَ منها سوى ... حَفنةِ بُرٍّ قتلتْ نفسَها

قال: أتعيّره هذا! فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمدُ ولم يدرِ ما بي ... أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حقّا
فتنفّستُ ثمّ قلت نعم حُبّاً جرى في العروق عِرقاً فعِرقا

(١) الكدس: العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك.

ويحك ! أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا ، أو تعرف أحداً سبقه الى قوله : « فتنفَّستُ ثم قلت كذا وكذا » ! إذهب ويحك فاحفَظها؛ فقلت : نعم يا أميرَ المؤمنين، ولو كنت سمِعتُ بها لحفِظتُها . قال إسحاق : وما أُشكّ أني كنت أحفَظ لها حينئذٍ من أبي العتاهية، ولكني إنما أنشَدتُ ما أنشدتُ تعصُّباً .

قال محمدُ بنُ يزيد :

وُحدِّثت من غيرِ وجهٍ أنّ الرشيدَ ألِفَ العباسَ بن الأحنف ؛ فلما خرج الى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج الى أرمينيَةَ والعباسُ معه ماشياً الى بغدادَ، فعارَضه في طريقه فأنشده :

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفولُ فقد جئنا خراسانا
ما أقدرَ اللهَ أن يُدني على شَحَط ... سكّانَ دِجلةَ من سُكّان جَيحانا [1]
متى الذي كنتُ أرجوه وآمُله ... أمّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نظرَتْ ... وعذِّبتْ بصنوفِ الهجر ألوانا

— في هذين البيتين الأخيرين رمَلٌ بالوسطى يُنسَب الى مخارق وإلى غيره — قال فقال له الرشيد : قد اشتقتَ يا عبّاس وأذِنتُ لك خاصّة ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

أخبرني الصوليّ قال حدثنا محمدُ بن القاسم قال : سمِعتُ مُصعَباً الزبيريّ يقول :

العباسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف ما ابتذلا شعرَهما في رَغبة ولا رَهبة ، ولكن فيما أحبّاه، فلَزِما فنّاً واحداً لو لَزِمه غيرُهما ممن يُكثر إكثارَهما لضعُف فيه .

---

(١) جيحان : اسم نهر .

ذكر الأصوات التي تجمع النَّغَم العشر

منها :

صوت

توهَّمتُ بالَخيف رسماً مُحيلا   لعزَّةَ تَعرِفُ منه الطُّلولا
تَبدَّل بالحيّ صوتَ الصَّدى   ونوحَ الحمامة تدعو هَديلا

عرُوضه من المتقارِب . الَخيفُ الذي عناهُ كُثيِّر ليس بخيف مِنًى، بل هو موضع آخر في بلاد ضَمرَة . والطُّلول : جمع طلل، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار . والرَّسم : ما لم يكن له شخص وجسم . والصَّدى هاهنا : طائر، وفي موضع آخر : العطش . ويزعُم أهل الجاهليَّة أن الصَّدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح أسقوني حتى يُدرَكَ بثأره . قال طَرَفة :

كريم يروِّي نفسَه في حياتــه   ستعلم إن مِتنا صَدًى أيُّنا الصَّدي [١]

والحمام : القماريّ ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها .

الشعر لكثيِّر والغنــاء لعُبَيدِ الله بن عبد الله بن طاهر، ونَسَبه الى جاريته وكَنَى عنها، فذكر أنّ الصَّنعة لبعض من كثرت دُربَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت، وذكر أن طريقتَه من الثقيل الاول، وأنه ليس يجوز أن يَنسُبَه الى موضع إصبع مُفردة؛ لأن ابتداءه عــلى المَثنى مُطلقاً، ثم بسبَّابــة المَثنى، ثم وُسطى المثنى، ثم بِنصر المَثنى، ثم خنصر المَثنى، ثم

---

(١) الصدي : العطشان .

سبّابة الزّير، ثم وُسطاه، ثم بِنصره، ثم خِنصره، ثم النّغمة الحادّة، وهي العاشرة. وفيه لابن مُحرزٍ ثاني ثقيلٍ مطلَق في مجرى البِنصر. وفيه لابن الهِربذ رَمَلٌ بالوُسطى عن عمرو، وهذا الصوتُ من الثقيل الثاني، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النّغم وعِلَلها أن لحنَ ابن محرز فيه يَجمع ثمانياً من النغم العشر، وأنه لا يعرف صوتاً يجمعها غيرُه، وأنه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتيَ في صوتٍ واحدٍ بالنّغم العشر، بعد تعبٍ طويل ومُعاناةٍ شديدة. وذكر عُبيد الله أن صانع هذا الصوت الذي كَنّى عنه فعلَ ذلك وتلطّف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متواليةً من اولها الى آخرها، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرّقةً على غيرِ توالٍ إلّا أنها كلّها فيه، وذكر أن ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعاً وأحلى. وحكى ذلك ايضاً عنه يحيى بن عليّ بن يحيى في كتاب النّغم. وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكره وحكاه عُبيد الله في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي ألّا أُجريَ الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليةً في صوت واحد محالٌ لا حقيقة له، ولا يُمكن أحداً بتّةً أن يفعله. وأنا أُبيّن العلّةَ في ذلك على تقريبٍ، إذ كان استقصاء شرحها طويلاً. وقد ذكرتُه في رسالة الى بعض إخواني في علل النغم، وشرحتُ هناك العلّة في أن قُسِم الغناء قسمين وجُعِل على مجريَين: الوُسطى والبِنصر دون غيرهما، حتى لا يُدخِل واحدةً منهما على صاحبتها في مجراها قُربُ مخرج الصوت، إذا كان على الوُسطى منه او إذا كان على البنصر وشبهه به. فإذا أراد مُريدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بَتّةً على وجهٍ ولا سببٍ؛ ولا يُوجد في استطاعة حيوان ان يتلو إحداهما بالأخرى. وإذا أتبعت إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزّمر تفصّلت إحداهما من الأخرى. وإنما قلّت النغمُ في غِناء الأوائل لأنهم قسّموها قسمين بين هاتين الإصبعين، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يكن

ذلك إلا بعد أن يُفصَلَ بينهما بنغم أخرى للسبَّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما، ثم لا يكون لذلك الغناء ملاحةٌ ولا طِيبٌ للمضادّة في المجريَين، فتركوه ولم يستعملوه ؛ فإن كان صحَّ لعُبيد الله عمـلٌ في النغم العشر في صوت، فلعلّه صحَّ له في الصوت الذي ذكر أنه فرّقها فيه ؛ فأما المتوالية — على مـا ذكره هاهنا — فمحالٌ، ولستُ أقدر في هذا الموضع على شرحٍ أكثرَ من هذا، وهو في الرسالة التي ذكرتُها مشروح .

فهرس

المجلد الثامن من كتاب الاغاني

ذكر سائب خاثر ونسبه

ذكر جرادتي عبد الله بن جدعان وخبرهما وشيء من اخبار بن جدعان

ذكر سلّامة القس وخبرها

اخبار العباس بن الاحنف ونسبه

تراجم المجلد الثامن

جرير
جميل
يزيد بن الطثرية
جميلة
عنترة
عبد قيس بن خفاف
أبو دلف
سعيد بن عبد الرحمن
البردان
الاخطل
الثائب خاثر
جرادنا عبد الله بن جدعان
سلامة القس
العباس بن الاحنف